أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
www.alwaei.com

د. الأحمدي أبو النور:
مشاكل المسلمين تحتاج لخطاب جديد

العدد (٥٥٤) شوال ١٤٣٢هـ ـ أغسطس - سبتمبر - ٢٠١١م

قيمة الزمن في الحياة

الأسلوب القرآني في التعبير الاقتصادي

متى يُقْبل الغرب على الإسلام؟

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديد موقعنا الالكتروني

www.alwaei.com

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com

الافتتاحية

للزمن قيمة

ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير منفعة ، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل . . وهل الأعمار إلا أعوام؟ وهل الأعوام إلا أيام؟ وإن عمرا ينقضي مع الأنفاس لسريع الانصرام ، وإذا كملت العقول ، اكتمل اغتنام الزمان ، وتم إدراك شرفه ، ومن عرف قيمة الزمن لا يكون إلا صاحب قصد واعتدال ، فالزمن هو عمر الحياة ، وميدان وجود الإنسان ، ومساحة ظله وبقائه ونفعه وانتفاعه ، بل أنفس من الذهب والفضة ، وكل ساعة ودقيقة تمر فهي تدني من نهاية الإنسان ، ولذا عليه أن يعرف قيمة الزمن فيستغله بما ينفعه ويبعده عما يضره ، فقد حث النبي ﷺ أمته على اغتنام العمر ، فللزمن قيمة ، اعتبرتها الشريعة ، فيزداد الثمن بالأجل تقديرا للزمن ، فهو رأس مال الإنسان في حياته ، فإنه إذا ضاع لا يعوض ، فالمبالغ المالية التي تقع على شرط الزمن لها قيمة مختلفة ، وإن استوت من حيث الكم والمقدار ، فالحاضر خير من المؤجل ، والعين خير من الدين ، وهذا يدل على أن للزمن قيمة .

والفراغ مفسدة ، فلا تُمضي يومك في غير منفعة ، فالفراغ هو الباب الذي تلج منه الشهوات كما قيل «من الفراغ تكون الصبوة»

لقد هاج الفراغ عليه شُغْلا
وأسباب البلاء من الفراغ

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٤

شوال ١٤٣٢ هـ

العام الثامن والأربعون

أغسطس- سبتمبر- ٢٠١١ م.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

الأسلوب القرآني في التعبير الاقتصادي ٣٩

موضوع الغلاف

إدارة الوقت فيما ينفع الفرد والأمة قاعدة إسلامية ومسؤولية سيحاسب المسلم عليها يوم القيامة «وعن عمره فيم أفناه» وهي طريق أمتنا نحو الريادة والمساهمة الإيجابية في المسيرة الحضارية.

كيف تصبح أبًا ناجحًا؟ ٧٠

المدرسة الصاحبية الحنبلية ٨٤

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣
- السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣
(٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ للزمن قيمة	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد/ العيد محطة تربوية	التحرير
٦	حوار/ د. الأحمدي أبوالنور: مشاكل المسلمين تحتاج إلى خطاب جديد	دار الإعلام العربية
١٠	فكر/ نظرات في مفهومي الإفساد والإصلاح	أحمد عبدالجواد زايدة
١٢	فكر/ تهديد هوية أمتنا قديمًا وحديثًا	د.غازي التوبة
١٤	فكر/ متى يقبل الغرب على الإسلام؟	محمد الفاتح حمدي
١٧	سيرة/ معاملة النبي لغير المسلمين	شيرين علي
١٨	ملف العدد/قيمة الزمن في الحياة	التحرير
١٨	ملف العدد/ الانتفاع بالزمن	د.علي عبدالمنعم
٢٠	ملف العدد/ عمر الحياة	د.عبدالفتاح أبوغدة
٢٢	ملف العدد/رجال القول ورجال العمل	عبدالعزيز العسكر
٢٤	ملف العدد/ الوقت في حياة المسلم	د. سيد نوح
٢٧	ملف العدد/ عشر قواعد لإدارة الوقت الناجح	ليلى محمد محمد
٣٠	ملف العدد/ الزمن في الشعر العربي	عامر أحمد عامر
٣٢	ملف العدد/ صناعة الساعات عند المسلمين	جميل حسين الأحمد
٣٤	دراسات/ حكم زواج المصلحة في ضوء المقاصد الشرعية للزواج	د.وصفي عاشور
٣٩	دراسات/ الأسلوب القرآني في التعبير الاقتصادي	د. عبدالحميد البعلي
٤٢	دراسات/ الشكر	د. صالح النهام
٤٥	دراسات/ نظرات في رسالة أبي داود إلى أهل مكة	أشرف صلاح علي
٤٨	تراث/ علم النبات عند العلماء العرب	محمد مروان مراد
٥١	ملف الأدب/ أطفالنا وتراثنا الأدبي (مقدمة)	أحمد أبوعرقوب
٥٢	ملف الأدب/ النهضة الفكرية والأدبية في عصر الموحدين بالمغرب	محمد القاضي
٥٤	ملف الأدب/ أدب السيرة الذاتية ما له وما عليه	دار الإعلام العربية
٥٦	ملف الأدب/ حوار مع الكاتب والناقد د.صلاح فضل	دار الإعلام العربية
٥٩	ملف الأدب/ همهمة (شعر)	يس الفيل
٦٠	ملف الأدب/ صواب مهجور	حياة الياقوت
٦١	ملف الأدب/قصة العدد (الفرج)	محمد عبدالشافي القوصي
٦٢	تشريع/الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع	د.أحمد الحجي الكردي
٦٤	أنباء الكتب/ يوسف القرضاوي.. الإسلام والحداثة	د.رفيق الحليمي
٦٧	ملف الأسرة/ الوظائف التربوية للألعاب (مقدمة)	التحرير
٦٨	ملف الأسرة/ ادفعي زوجك إلى النجاح	منى السعيد الشريف
٧٠	ملف الأسرة/ كيف تصبح أبًا ناجحًا؟	نجاح إبراهيم
٧٢	ملف الأسرة/ علاقات الإنترنت... عندما ينكسر إناء الحياء	تسنيم الريدي
٧٥	ملف الأسرة/ مع افتتاح العام الدراسي	أميرة سليمان أبوجبة
٧٦	ملف الأسرة/ العطاء مفتاح الحياة الزوجية السعيدة	د.خالد سعد النجار
٧٨	ملف الأسرة/ خمسون قصة تحكيها لطفلك	دعاء حاتم
٨١	ملف الأسرة/ وتسألني ابنتي..	د. عبدالمنعم عبدالله
٨٢	أعلام/ أم السعد محمد علي نجم... الشيخة المجيزة لقراءات القرآن المتواترة	التحرير
٨٤	منارات/ المدرسة الصاحبية الحنبلية	تركي محمد النصر
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هيفاء حسن
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ العربية الخالدة	د.محمد حسان الطيان

كلمة العدد

العيد..محطة تربوية

بمناسبة عيد الفطر السعيد تتقدم إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» إلى المسلمين في شتى أرجاء العالم بأجمل التهاني وأطيب الأماني والتبريكات.. داعين الله عز وجل أن يكون هذا العيد منطلقًا لاجتماع المسلمين وتوحيد الأهداف وصفاء القلوب وتصالح المتخاصمين وتبادل التهاني ونشر المحبة والوئام.

إن المسلمين اليوم في أمسّ الحاجة لتحويل أعيادهم من أوقات للفرح والسرور مع التحرر من المسؤوليات إلى محطة تربوية يستفيدون من دروسها وعظاتها وينطلقون منها بطاقة جديدة تمكنهم من استئناف مسيرتهم الحضارية، وفي هذا الإطار جعلنا ملفنا لهذا العدد حول أهمية الوقت في حياة المسلم آملين من إخواننا الكتاب والقراء إثراء هذا الموضوع نظرًا لأهميته.. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وكل عام والمسلمون بخير.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير.للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف المصري الأسبق في حوار خاص:

مشاكل المسلمين تحتاج إلى خطاب جديد يتواكب مع تطلعات الشباب

القاهرة - دار الإعلام العربية

متغيرات عديدة شهدها العالم العربي خلال الشهور الأخيرة، دعت د.محمد الأحمد أبوالنور، وزير الأوقاف المصري الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية، إلى المطالبة بخطاب إسلامي جديد يستوعب هذه المتغيرات، ويعزز سماحة الإسلام ودعوته للبناء لا الهدم.. وطالب في هذا الصدد بضرورة استعادة علماء الدين والدعاة مكانتهم واحترامهم بين الناس، داعيًا إلى تسخير كل وسائل العصر في خدمة الدعوة الإسلامية وعدم الانغلاق.. وأكد في حوار خاص مع «الوعي الإسلامي» أن الأمة الإسلامية تمر بنفق مظلم، وأنه لا سبيل إلى اجتيازه بغير نبذ عوامل الفرقة، وتقوية الوازع الإيماني، وامتلاك عوامل القوة والتقدم في جميع المجالات.. واليكم نص الحوار:

الحملة على الإسلام يجب أن تستنهض هممنا للالتفاف حول كتاب الله وسنة نبيه

● أكد كثير من المعنيين أن أمة الإسلام تمر بنفق مظلم.. فكيف لأمتنا أن تخرج من هذا النفق؟

■ على الأمة أن تبدأ أولا بتحليل أسباب الدخول في هذا النفق أو المأزق الشديد الذي تعاني منه، والعمل على تجنب هذه الأسباب، مع ضرورة النأي بأنفسنا عن كل عوامل الفرقة والصراع، وتقوية الوازع الإيماني، وتوثيق الصلة بالله عبر الأصول الإيمانية التي توثق صلات المؤمن بجذوره التراثية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.. أيضا علينا بامتلاك عوامل القوة والتقدم في جميع المجالات، مع الوضع في الاعتبار أن حالة التشرذم التي نعاني منها لن تجعل أحدًا يلتفت إلينا، وأقول بشكل حاسم إن التمسك بتعاليم ديننا، ونفض غبار التخلف على الصعيد العلمي، سيعيد الاعتبار إلينا وينهي تداعي الأمم علينا التي تنهب ثرواتنا وتحتل أراضينا وتحولنا إلى أكبر مصدر للاجئين، وهي أوضاع لا نستطيع التغلب عليها بالتباكي على مجد زائل، بل باستحضار كل أسباب القوة؛ لتتبوأ أمتنا الإسلامية المقام المناسب لها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩).

خطاب عصري

● ربما كان من الأسباب أيضا تراجع وعي المسلم وثقافته الدينية.. فكيف نتصدى لمثل هذه المشكلة؟

■ ليس خافيا ما شهدته بعض البلدان العربية في الفترة الأخيرة من ثورات شعبية جراء تقاعس حكومات هذه الدول عن الاستجابة لمطالب هذه الشعوب، ويقف تراجع دور المؤسسات الدينية وافتقارها إلى خطاب ديني متجدد يستوعب روح الشباب ويراعي متغيرات العصر، ربما كان ذلك من بين الأسباب التي أفضت بهذه الدول إلى ما آلت إليه؛ لذلك لابد من تخصيص خطاب ديني يناسب فكر الشباب، على أن يستند إلى أسلوب علمي جذاب يعتمد على الحقائق وليس العاطفة، ليعيدهم مجددا إلى المساجد ويجعلهم يقبلون

على تلقي علوم دينهم من قبل الدعاة الذين يتحدثون لغتهم، شريطة أن يكون الداعية ملمًا بمجريات الأمور، وتغيرات العصر التي أحدثتها ثورة الاتصالات والتكنولوجيا، فشبابنا عانوا كثيرا بسبب عدم وجود خطاب ديني موجه لهم بشكل سمح، وعدم وجود دعاة عصريين يقدمون أصول الدين بلغة عصرية سهلة تجنبهم الانخراط في فكر ضال، أو تجعلهم أسرى لفضائيات مغرضة، وهذا ما يفرض على الدعاة تطوير خطابهم بشكل يناسب التطورات الحديثة مع الحفاظ على ثوابت ديننا واحترام تراثنا ونهج سلفنا الصالح.

● لم تحدد لنا معالم هذا الخطاب بصورة محددة، وكيفية تعاطي الشباب معه بشكل إيجابي؟

■ يجب أن يعتمد الخطاب على الحقائق، وتكون لغته لغة مقنعة، بل إن الداعية يجب أن يكون قدوة في علمه وسلوكه حتى يتمتع بالمصداقية لدى من يستمعون له، خصوصا أن افتقاد الداعية لكونه «قدوة» ومرجعية جعل كثيرًا من الشباب وفي مقدمتهم من لا يملكون ثقافة دينية رصينة يقعون فريسة لأفكار مضللة، من هنا أيضا أدعو أولياء الأمور في العالم الإسلامي إلى ضرورة امتلاك مكتبة صغيرة في كل منزل، ليتم الرجوع إليها في حالة التباس الأمر، مع ضرورة الرجوع إلى العلماء الثقات في تصحيح أي معلومة يعتريها التشويش.

● طرح البعض خلال الفترة الأخيرة إمكانية الاستفادة من تطبيقات التكنولوجيا فيما يتعلق بخطبة الجمعة عبر وضع شاشات عملاقة وغيرها لنقل الخطبة إلى خارج المسجد.. فما تعليقكم؟

■ تسخير التكنولوجيا فيما يخدم الإسلام أمر ننادي به دوما، وربما هذه الفكرة تصلح للمساجد الكبيرة التي يحتشد خارجها آلاف المصلين، أما المساجد الصغيرة فلا حاجة بها لهذه الفكرة. قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١)الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)﴾ (المؤمنون: ١-٢).

صحيح البخاري من أفضل الكتب خدمة لسنة الرسول ﷺ والمشككون دعاة شهرة

حملات تشكيك

● باعتباركم أحد أبرز المتخصصين في علم الحديث والسنة النبوية.. ماذا تقول في حملات الافتراء والتشكيك من قبل ما يطلق عليهم «القرآنيون» والفرق الضالة؟

■ العلاج الناجح لمثل هذه المسائل يتم عبر طريقين، الأول هو الثقافة المتخصصة في علوم القرآن والسنة سواء عبر اقتناء المراجع المتعلقة بهذا الموضوع، أو توجيه الأسئلة للمتخصصين في علوم القرآن والسنة، وأرى أن الحملة على السنة النبوية والتشكيك في أهلية الصحابة ما هي إلا جزء من الحملة على القرآن الكريم، باعتبار أن الصحابة هم من كتبوا القرآن وتولوا جمعه حتى صار على الصورة التي بين يدينا حاليا، ما يعني أن الحملة على السنة هدفها القضاء على الدعوة الإسلامية بشكل عام، ومما يرد على مزاعم هؤلاء أن الله تعالى لم ينزل القرآن وحده، بل كان والسنة متلازمين، مصداقا لقوله تعالى ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٣١)، ونحن لا نستطيع أن نفهم القرآن إلا بدراسة السنة ولا يمكن أن نستغني عن سنة نبينا أبدا، وقد حسم القرآن الأمر ودحض افتراءات ما يطلق عليهم القرآنيون، حيث قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧)، أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤)، فالسنة النبوية الشريفة تبيان لكتاب الله تفصل مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عامه.

● في هذا السياق أعلن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف عن إنشاء مركز متخصص لدراسات السنة والسيرة النبوية.. فماذا عن مهامه؟

■ هدفه التصدي لجميع حملات التشكيك في السنة والسيرة النبوية الشريفة، وإعداد ردود علمية موثقة، كما بدأ المركز بمخاطبة الدول الإسلامية لإرسال ما لديها من نسخ أصلية من كتب الحديث والسيرة النبوية لتحقيقها، وهي المهمة التي شرفني المجمع بالمشاركة فيها.

تفعيل الوقف

● من آن إلى آخر يثير البعض بعض الشكوك ضد الوقف الإسلامي رغم أن الثوابت التاريخية تؤكد دوره في مسيرة التنمية والعدالة في المجتمعات الإسلامية؟

■ هذا الأمر يقتضي أن ننظر إلى الوقف على أنه مال الله، وعلى أن المجتمع المسلم مؤتمن عليه لاستثماره والحيلولة دون أكله بالباطل، حيث يتوخى بهذا المال الموقوف أن يكون -بقدر الإمكان- مستثمرا استثمارا دائما بحيث يتم في هذا المال تطبيق ما توخاه النبي ﷺ، من أول وقف في الإسلام وهو وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث خاطب النبي ﷺ، الفاروق بقوله: «حبس الأصل وسبل الثمرة» بمعنى أن يظل أصل رأس المال

محافظا عليه؛ ليدر ما استثمر فيه وليكون كالنهر الجاري الذي لا ينضب، وهذا الأمر يقتضي أن يكون ناظر الوقف حريصا على استثماره كما قصد الواقف، وهذه المنهجية تشجع أهل الخير والميسورين أن يتنافسوا في الوقف تحقيقا للفائدتين الدنيوية والأخروية، وقد قال رسولنا الكريم في الصحيح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»، وكلما كان الوقف مستثمرا في المشاريع الإنتاجية كان إسهامه كبيرا في التنمية والقضاء على البطالة وتحفيز الناس على العمل والإنتاج.

ويختلف الوقف من بلد إلى آخر، فبعض البلاد تكتفي بتوزيع عائده في صورة أموال سائلة تشعر الموقوف عليهم بأنهم اليد السفلى التي تأخذ هذا المال وسرعان ما يستهلك ولا يبقى له أثر، وهذا النمط ينشئ جيشا من العاطلين بدلا من أن يقضي على البطالة رغم وجود أوعية كثيرة يمكن الاستفادة من الوقف عليها لتأمين وضع اقتصادي جيد لهذه الأسر كماكينات الحياكة والتطريز وبطاريات تربية الطيور والدجاج وغيرها.

● إذن توجيه الوقف إلى نمط إنتاجي هو الأفضل؟

■ استخدام عائدات الوقف أو ريعه في مشروعات إنتاجية هو الكفيل بخلق الوعي باستدامة الوقف من ناحية واستثماره في مشروعات التنمية، لاسيما تنمية الأسر المحتاجة من جهة أخرى؛ مما يدعونا إلى رفع شعار «نعم للوقف الإنتاجي ولا للوقف الاستهلاكي»، وفي المجمل يجب أن يدرك الجميع أنهم مؤتمنون على الوقف أو مؤدون لثمرته للفقير والمسكين، لكنَّ هناك فرقا بين أن أعطيها لاستهلاكها وبين إعطائها في صورة وسيلة إنتاج للأسرة، وأذكر

الحكومات لا تستطيع وحدها حل كل مشاكل الفقر.. لذا يجب تفعيل الوقف الإسلامي

هنا أن سيدنا عمر بن ﷺ، كان ناظر وقفه طوال حياته، فلما توفي كانت أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- ناظرة هذا الوقف، ومن الرائع والجميل أنها عندما تقلدت نظارة الوقف زادت عليه من حصتها الخاصة، ولما توفيت تولى إدارة النظارة أخوها عبدالله بن عمر -رضي الله عنهم جميعا- فزاده أيضا من ماله الخاص، وهو ما يشير إلى وجود قناعة تامة بأهمية الوقف وشرعيته من قبل الخليفة العادل.

● إذا كان أمير المؤمنين قد عمل على تنمية الوقف في حياته وسار أبناؤه على نفس الدرب.. فكيف نقارن بين فعل السلف الصالح وما يحدث الآن؟

■ لا يقارن ما أقدم عليه السلف الصالح بما يحدث حاليا، حيث تشهد عديد من الأسر ثورة على عائلها إن وقف بعض ماله لذوي القربى واليتامى وطلاب العلم، فهي إما أن تحارب الواقف في حياته باعتباره يستقطع من حصة كل وارث، أو تهمل رعاية الوقف بعد وفاته فلا يؤدي الغرض منه، ونحن هنا نهيب بالمسلمين ألا يكون هذا موقفهم من الوقف. ومن المؤسف أنه لا توجد سياسة دائمة لدعم الوقف وتحفيز المواطنين على تقديمه لتحقيق غايات شرعية وأهداف نبيلة تتمثل في رعاية الفقراء والمساكين وطلاب العلم، ويجب أن يكون الحض على دعم الوقف سياسة ثابتة لعلماء الإسلام والمؤسسات الدينية، وليعلم من أوقفوا أموالهم أن كل جزء من مالهم يتم وقفه لوجه الله به مثوبة قائمة ودائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا أمر ينبغي أن يكون مشجعا على تنامي الوقف لا على التباطؤ فيه أو التساهل حياله أو إهماله إن وجد، خصوصا أن هناك تراجعا ملحوظا في وقف الأموال على أوعيتها الشرعية خلال السنوات الأخيرة، وهو أمر غير مقبول جملة وتفصيلا في ظل الدوافع الدينية للوقف التي تبرز في تعدد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الإنفاق في سبيل الله بوجه عام.

● أشعر من حديثك بما يمثله الوقف من أهمية في تحقيق العدالة الاجتماعية وإيجاد نوع من الشراكة بين الحكومات ومؤسسات المجتمع المدني في قيادة مسيرة التنمية.

■ بالفعل نحن نعلم أن الحكومات لا تستطيع وحدها النهوض بكل المشروعات الخيرية، وبالتالي هناك واجب كبير على مؤسسات المجتمع المدني والميسورين بالإسهام الواضح مع الدولة فيما يكون معينا ودافعا لعملية التنمية الشاملة في ظل ما تواجهه الأمة الإسلامية من مشاكل عديدة فيما يتعلق بالفقر والجهل والأمية والمرض، ناهيك عن تفشي داء العنوسة بين الشباب، على أن يسبق ذلك استقراء لمشكلات المجتمع وقضاياه الملحة، بشرط أن تكون جهة إنفاق الوقف مرتبطة بنص الواقف وبشكل صريح على إسهام أموال وقفه في حل هذه المشكلات ولا بأس أن ينص الواقف على أن يخصص جزءا من مال وقفه للمبادرة بحل مشكلة العنوسة، انطلاقا من قوله تعالى:﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٣٢).

إعـــــلان

يسر مكتب التربية العربي لدول الخليج أن يعلن عن جائزته للدورة المالية ١٤٣٢و١٤٣٣هـ (٢٠١١و٢٠١٢م) وقيمتها ٢٠٠٠٠٠ مئتا ألف ريال سعودي تمنح لفائز واحد أو لمجموعة فائزين وشهادة تقدير، وقد خصصت للغة العربية: تعليمها وتعلمها في مراحل التعليم العام.

أولاً: موضوعات الجائزة:

١. التجارب والمشروعات التربوية الميدانية المرتبطة بمناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها.
٢. البحوث والدراسات التي تعالج مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها.
٣. التأليف والنشر المرتبط بالقضايا والموضوعات ذات الصلة باللغة العربية.

ثانياً: شروط التقدم:

١. أن يعالج العمل المقدم قضية تربوية مهمة في موضوعات الجائزة.
٢. أن يكون المرشح أو المرشحون من مواطني الدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج.
٣. يتحمل الباحث الذي يتقدم برسالة علمية إعادة صياغتها، بحيث يمكن إخراجها في كتاب يفيد الساحة التربوية في الدول الأعضاء.
٤. تقديم وصف متكامل للتجارب والمشروعات مع شرح وافٍ لآلية الاستفادة والمستهدفين، مع إرفاق جميع الوثائق ذات العلاقة.
٥. ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم.
٦. أن يكون الإنتاج باللغة العربية ويمكن قبوله بلغة أخرى شريطة أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.
٧. ألا يكون العمل المقدم قد أعد تنفيذاً لأحد برامج مكتب التربية العربي لدول الخليج أو مشروعاته أو نشر عن طريقه.
٨. يمكن قبول الأعمال من فرد أو مجموعة أفراد أو مؤسسات في الدول الأعضاء، وكذلك الأعمال الممولة من مؤسسات بعد الحصول على إذن من المؤسسة الممولة.
٩. يمكن قبول الترشيح من الجامعات ومراكز البحوث للأعمال البحثية والمشروعات التربوية المتميزة في الدول الأعضاء بالمكتب.
١٠. تعد قرارات لجنة الجائزة نهائية، ولا تقبل الاعتراض.

ثالثاً: إجراءات التقديم للجائزة:

- أن يتم تقديم نسختين من الإنتاج المرشح للجائزة إحداهما مطبوعة والأخرى إلكترونية.
- أن يتم تقديم السيرة الذاتية للمرشح، مع ذكر عناوين المراسلة: (العنوان البريدي للمرشح، رقم هاتفه وبريده الإلكتروني).
- أن يملأ النموذج المعد للترشيح للجائزة.
- أن يتم توجيه طلبات الترشيح إلى:

المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج
ص. ب: ٩٤٦٩٣ الرياض ١١٦١٤
المملكة العربية السعودية
email: prize@abegs.org
وللمزيد من المعلومات
www.abegs.org

على أن تصل طلبات الترشيح إلى المكتب في موعد لا يتجاوز الأول من جمادى الأولى ١٤٣٣هـ الموافق الرابع والعشرين من شهر مارس ٢٠١٢م

مكتب التربية العربي لدول الخليج
ARAB BUREAU OF EDUCATION FOR THE GULF STATES

نظرات في مفهومي «الإفساد» و«الإصلاح»

أحمد عبدالجواد زايدة

الناظر في كتاب الله وآياته يجد أن مفهوم الفساد والإفساد وكذلك ضده مفهوم الصلاح والإصلاح يتجليان في صور متعددة تتخطى الأفكار والأفراد إلى الأفعال والجماعات والأمم! وتتجاوز الإنسان لتصل إلى «الإفساد الاقتصادي» و«الاستبداد السياسي» في ظاهرة «قارون» و«فرعون» وبطانته المتمثلة في «هامان وملئه»!

حين تحدث القُرآن عن «الإصلاح» لم يقصد به الإصلاح بالمفهوم الغربي «التدريجي» الذي تُقابله «الثورة»، لأن مُصطلح الإصلاح في القرآن لا يُقابله مُصطلح «الثورة»، بل يُقابله مُصطلح «الإفساد»، فالإصلاح بالنظرة القُرآنية إنما هو «إصلاح جذري»، وانظر كخير مثالٍ إلى الإصلاح الذي أحدثته الرسالة حينَ نزلت في مُجتمع مكة وما صنعته «لا إله إلا الله» حين نزلت على أهل مكة في بادئ الأمر! فكان هذا المفهوم ثورة تحرير للعقول والقلوب والأبدان! ثورة على الفساد والإفساد بكل مُستوياته العقائدية والمُعاملاتية والخُلقية.

مستويات الفساد

حين تحدث القُرآن عن الفساد تحدث عنه عبر مستويات عدة، فهناك فساد الأفكار المتضمن لفساد العقائد وفساد المفاهيم وفساد منهج التفكير والتدبر، وفساد منهج المُحاججة والمُجادلة، وهُناك فساد القلوب حيث الأهواء والأحقاد والكبر، وهُناك فساد الأعمال الناتج إما من فساد الأفكار والعقائد وإما من فساد القلوب حيث تضعف سلطة الفكرة أمام سلطة الهوى! أو فساد العمل الناتج عن فساد الفكرة والقلب معًا! لذا فهي ثلاثية مُطردة في أغلب الأحوال «الأفكار- التصورات- التصرفات»!

وانظر إلى دعوة الأنبياء لأقوامهم، فقد كانت كلها في بدايتها تبدأ بالدعوة إلى التوحيد وعدم الشرك بالله! وإصلاح العقائد والتصورات! وكانت كلها مرتبطة بإصلاح عملي ومواجهة إفساد عملي واقع! فكان الأمر بالتوحيد مُرتبطًا بالأمر بإصلاح الفساد ومواجهته! وكأنها نتيجة مبنية على مقدمة! بل هي كذلك! فجاء سيدنا لوط داعيًا قومه إلى التوحيد ومُحاربة الفواحش! فأصر قومه على غلق عقولهم، فكان فسادًا وإفسادًا بل وتجاوز الأمر ذلك فأفسدوا المفهوم ذاته والفطرة ذاتها، وأمروا بإخراجه وأتباعه من القرية «لأنهم أناس يتطهرون»!

وجاء سيدنا شعيب داعيًا قومه إلى الله وإلى الوفاء بالكيل والميزان وأمرهم بالقسط وألا يعثوا في الأرض مُفسدين، فكان جوابهم ﴿إنما أنت من المُسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظُنك لمن الكاذبين﴾ (١٨٤-١٨٦: الشُعراء)، وفي آية أُخرى: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء...﴾، فلم يستطيعوا تصور أن هذه الدعوة وتلك الرسالة سوف تتجاوز تغيير عقائدهم وأفكارهم إلى تغيير جذري في مُعاملاتهم الفاسدة التي تظلم المجتمع وتخل بتوازناته وتجعله مُضطربًا مما يضر بمصالحهم وأهوائهم الشخصية الذاتية!

ولما جاء سيدنا صالح إلى قومه داعيًا إياهم كذلك ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، مُذكرًا إياهم بنعم الله وآلائه ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورًا وتنحتون الجبال بيوتًا﴾! فكان جوابهم ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾.

بل وتعدى الأمر إلى فساد منهج التفكير ومنهج المُحاججة، فبدلًا من أن يُفكروا ويُمحصوا الكلام في عقولهم كانت ردودهم ناضحةً بالاستكبار وسد سُبل التفكير وجعل الموروث القديم حجة على الدعوة والحُجة! ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كُنت من الصادقين﴾، ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾.

أما فساد القلوب والأهواء فقد يؤدي إلى فساد الأفكار وكذلك فساد الأعمال أو إلى كليهما، فإبليس لعنه الله رفض أن يسجد لآدم عليه السلام لكِبره! ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾، فآثر كِبره وهواه ومرض قلبه على أفكاره ومِن ثَم أفعاله!

وحين يَفسدُ القلب ويضل تفسد البصيرة وتبور الفطرة ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: ٤٦)، ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾، (الأعراف: ١٧٩)

وهناك علاقة وتلازم بين التدبر وإصلاح القلوب وبين الفساد والإفساد، قال تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن

باحث دراسات إسلامية

تفسدوا في الأرض وتُقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصرهم أفلا يتدبرون القُرآن أم على قلوب أقفالها﴾، (٢٢-٢٤: مُحمد).

وحينَ تفسد القلوب والعقول يحدث فساد الذوق والشعور والجمال والأفكار! فيظهر الفساد والشر والقُبح! وقد أشار الدكتور فريد الأنصارى- رحمه الله- إلى أثر جمالية العقيدة في جمالية الحضارة! وأجادَ- رحمه الله- أيما إجادة حيث أشار إلى أن المسيحية حين تأثرت بفكرة «التجسيد» ظهر هذا في حضارتها! فاهتموا بنحت التماثيل ورسمها، وظهر هذا في حياتهم! في حين أن الناظر في الحضارة الإسلامية يلمح جيدًا أثر التوحيد وتجلياته في الحضارة الملموسة، حيث تجد كثيرًا من التُراث المعماري، والفن يميل إلى التجريد والرسم بالزخرفة الممتلئة بعبق الروح، بعيدًا عن التجسيد!

وللمفكر المغربي المقرئ الإدريسي أبي زيد عبارة جميلة ألقاها في محاضرة له بعنوان «صناعة الحضارة» عن العلاقة بين العقيدة والعمارة! فقال «فقر العقيدة يؤدي إلى فقر العمارة»!

كذلك فإن فساد الأفكار والقلوب يؤدي إلى فساد الواقع والمُجتمع وتهارجه واختلال التناسب والتوازن في نسبه ولو تراءى للناظر غير ذلك.

وهناك الفساد المُتمثل في تزوير المفاهيم وإفسادها والخروج بها من تطبيقاتها السليمة لخدمة مصالح شخصية أو ذاتية، فتم تحويل مفهوم «السمع والطاعة» من كونه مفهومًا للتعاون والالتزام في المعروف إلى إطلاقه في الصلاح والفساد وفي طاعة الله ومعصيته تحت تبريرات عدة وإسكات الناس تحت مظلته! وبدلًا من أن يتحدث الناس عن مفهوم «الحق» والسعي إلى تحقيقه وتطبيق العدل ودفع ثمن ذلك والصبر على الأذى في سبيل ذلك والخوف من الله حين يتم السكوت عن الظلم وانتهاك الحقوق! انتشرت مفاهيم

الإسلام عمل على مقاومة الفساد والإفساد بتقديم البدائل من حيث الإصلاح

مُزيفة حول الصبر على الظُلم وانتهاك الحقوق وغياب العدل! وكأن الصبر ما أتى إلا ليكون تُربةً خصبة تُفرخ للاستبداد وتُطيل في عمره!

وخدمةً لذلك قام نفرٌ بترويج نصوص تخدم هذا الجانب بدون منهجية أصولية صادقة في التعامل مع النصوص وفى كيفية الجمع بنيها، فكثر الترويج لأحاديث من قبيل «لو جلد ظهرك وأخذ مالك»، وغيبوا أحاديث «إذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم منهم أنت الظالم فقد تودع منها»، «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بالعقاب»، «سيد الشُهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، وهكذا... فلم يتم التعامل بمنهج أصولي فقهي منضبط حتى تستقيم الأمور وتوضع في نصابها الصحيح.

وهُناك الفساد في تعريف الفساد!

وليس المثال هُنا هو مثال قوم لوط! فهؤلاء يتبجحون بفسادهم! بل المثال هُنا هو مثال فرعون حين قال لقومه عن نبي الله موسى عليه السلام ﴿ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يُبدل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد﴾، وكقوله تعالى:﴿وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مُصلحون ألا إنهم هُم المُفسدون ولكن لا يشعرون﴾.

وفي سورة القصص نماذج للفساد الاقتصادي والسياسي! وذكر لعواقبهما! فقارون كنز المال وقال ﴿أوتيته على علم عندي﴾، فكان عاقبته ﴿فخسفنا بهَ وبداره الأرض﴾، وفرعون لما قال: ﴿أليس لي مُلك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾، ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يُرجعون﴾ (القصص- ٣٩)، فكان جزاؤه ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ فانظر كيف كان عقبة الظالمين﴾ (القصص-٤٠)، ﴿فاليوم نُنجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾!

وإذا زاد الفساد في أمة ففسدت أخلاقها وضاعت قيمها وغابت مقاصدها العالية عن الترسخ في جذورها وفشلت في مأسسة هذه القيم والمقاصد وبلورتها في أنظمتها كانت هذه هي بداية نهايتها، ولذا يقول تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نُهلك قرية أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا﴾.

مواجهة الإفساد بالإصلاح

وقد عمل الإسلام على مقاومة الفساد والإفساد بتقديم البدائل من حيث الإصلاح الذي يدافع الإفساد ويُقلله ويُحجمه! فعمل الإسلام على بناء الإنسان (الجنان- الوجدان- البنيان)، فأمره بالتدبر والتفكر والسير والنظر (إصلاح منهج التفكير وطاقاته وقدراته)، كذلك بإحكام المفاهيم والتصورات عن طريق القصص والعبر والأمثال! والوجدان بالتزكية (تزكية النفوس وترقيتها) والبنيان (بالعمل والإنتاج وصناعة النهضة والحضارة)، وللعلامة الشيخ الطاهر بن عاشور كتاب بديع سماه «النظام الاجتماعي في الإسلام»، وتحدث فيه عن أربعة محاور (أصول إصلاح الأفراد- الإصلاح الاجتماعي- مكارم الأخلاق- ما على ولاة الأمور)، فتحدث في الفرع الأول عن إصلاح الاعتقاد- إصلاح التفكير- إصلاح العمل- إيجاد الوازع النفساني- آثار الوازع النفساني في الإصلاح الفردي والاجتماعي، وفي الإصلاح الاجتماعي: «إيجاد الجامعة الإسلامية- تكوين جامعة المسلمين- الأخوة الإسلامية- أصول نظام سياسة الأمة القائمة على أخلاق ومقاصد وضوابط»!

تهديد هوية أمتنا قديمًا وحديثًا

د. غازي التوبة

إن التهديد لهوية الأمة لم يتوقف منذ أن كوّن محمد صلى الله عليه وسلم هذه الأمة العربية الإسلامية، وجاءت هذه التهديدات في مرحلة مبكرة، وخلال الخلافتين الأموية والعباسية، وكان أبرز الحركات التي هددت الهوية ثلاث حركات هي: الحركة الشعوبية وحركة الزندقة والحركة الباطنية.

أولًا: الحركة الشعوبية:

هي حركة قامت على ازدراء اللغة العربية وبيانها، والتعالي على العرب واحتقار محصولهم الحضاري، وقد تولدت هذه الحركة في نهاية القرن الأول الهجري، وتضخمت في القرون العباسية الأولى، وأبرز من قادها رجالات من العرق الفارسي، تولّد حقدهم على العرب والدين الإسلامي لأنهما استطاعا إسقاط الدولة الفارسية، وخير من تصدى لها الجاحظ في كتابه عن البيان وغيره من الكتب الأخرى.

ثانيًا: حركة الزندقة:

وهي حركة تقوم على التشكيك في القرآن الكريم وتدّعي تناقض آياته الكريمة، وتباين بعض معانيه، وتقدم على ذلك بعض الأدلة من خلال استعراض بعض الآيات الكريمة من خلال قراءة زائفة فيها الكثير من المغالطات والأكاذيب. وتقوم دعوة الزندقة أيضا على القول بأن العقل وحده يكفي لهداية البشرية، وأنه لا حاجة لدعوة الأنبياء.

ومما يدل على خطورة حركة الزندقة هذه، وتهديدها للخلافة العباسية في بواكير نشوئها، تشكيل ديوان تابع للخليفة مباشرة لمحاسبة أولئك الزنادقة، وقد تشكل هذا الديوان في عهدي محمد المهدي وموسى الهادي ثالث ورابع الخلفاء العباسيين.

ثالثًا: الحركة الباطنية:

وهي حركة قامت على تأويل أحكام الإسلام وآيات القرآن الكريم تأويلًا باطنيًا، واستندت في تأويلاتها تلك إلى المواريث الباطنية التي كانت قائمة في المنطقة قبل الإسلام. وانبثقت عن الحركات الباطنية حركات سياسية في بعض الأحيان، وزعزعت هذه الحركات السياسية الخلافة العباسية في مناطق متعددة.

الفكر القومي العربي قاد التغريب في مرحلة الاستقلال

وكان أبرز هذه الحركات الباطنية الزنج والقرامطة وبابك الخرمي الذي استولى على شرقي الخلافة العباسية، وهدد العاصمة بغداد، ثم استطاعت الخلافة العباسية التغلب عليه ودحره بصعوبة شديدة في أيام الخليفة المعتصم.

كما تصدى علماء الأمة للشعوبية -وكان أبرزهم الجاحظ- واستطاعوا دحضها، كذلك تصدى علماء الأمة لأصول حركات الزندقة والباطنية، وكان أبرز من كتب في هذا المجال أحمد بن حنبل، وتصدى لحركتي الزندقة والباطنية، فألف كتابين هما: رسالة الرد على الزنادقة والجهمية، وكتاب الزهد.

ويعتبر هذان الكتابان من أهم الكتب التي واجهت هاتين الحركتين وأصّلا لمواجهتهما واعتبرا مرجعًا، واستفاد منهما عشرات العلماء في العصور الثانية من أجل مواجهة فروع هذه الحركات، ومن أجل التأصيل في مجال بناء العقيدة وبناء الباطن على أسس سليمة.

أما عن تهديد هوية الأمة حديثًا، فتتركز في حركتين:

الأولى: حركة التغريب

وجاء التغريب من الاستعمار الغربي الذي احتل معظم البلاد العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وحاول فرض نموذجه الغربي في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية... إلخ.

وبالفعل تأثرت طائفة من الأمة بهذا النموذج، وحملته ودعت إليه، واحتلت قمة الهرم السياسي والاجتماعي والثقافي في مجتمعنا، ورفضت طائفة أخرى تغريب الأمة، واحتدمت المعركة بين الفريقين، وكانت الأمور خلال القرنين الماضيين بين مد وجزر، ولم تحسم لصالح طرف من الأطراف، وإن كانت هناك محطات بارزة في مسيرة التغريب في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وأبرز هذه المحطات -التي نستطيع تسجيلها، والتي تعتبر انتصارًا للتغريب، والتي جاءت نتيجة ضغوط مادية ومعنوية من الدول الغربية على مختلف مكونات الأمة ومؤسساتها ورجالاتها، وأبرز هذه المحطات، هي:

١- إصدار السلطان العثماني خط كلخانة عام ١٨٣٩، الذي يعتبر بمثابة إعلان حقوق إنسان في الخلافة العثمانية، كما أصدر السلطان العثماني الخط الهمايوني الشريف عام ١٨٥٦ الذي ألحق اقتصاد الخلافة العثمانية باقتصاد السوق كما أصدر السلطان العثماني دستورًا عام ١٨٧٦ نص على وجود مجلس النواب وآخر

أكاديمي فلسطيني

للأعيان وعلى انتخابات تشريعية، وبالفعل جرت عدة انتخابات في أوقات متعددة... إلخ، كما أنشأت الحكومة نظامين من التعليم: أحدهما ديني والآخر مدني.

٢- إسقاط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، وقد أدى سقوط الخلافة العثمانية إلى خضوع معظم البلاد العربية للاستعمارين الإنجليزي والفرنسي، ونقل هذا الاستعمار حركة التغريب من حركة ثقافية كانت تقوم على دعوة بعض الأفراد إلى حركة تقوم بها الدولة، وتفرض أحكامها بقوة التشريع والقانون وبقوة السلطة من وزارات وهيئات، وبهذا دخلت معظم الشعوب العربية التي كانت مستعمرة تحت معطيات التغريب الإجباري.

٣- قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ في فلسطين بعد اقتلاع شعبها الأصلي وطردهم، ليصبحوا لاجئين خارج فلسطين، وقد مثلت إسرائيل قاعدة متقدمة للغرب، حضاريًا من جهة وعسكريًا من جهة أخرى، يهدد بها كل من لا يخضع لسياساته ومخططاته، وقد حرص الغرب على أن تكون إسرائيل دائما هي الأقوى والأغنى في المنطقة.

ثم جاءت مرحلة الاستقلال فاستقلت معظم الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية، ومن الجدير بالذكر أن الفكر القومي العربي والأحزاب القومية العربية، والشخصيات القومية العربية هي التي قادت التغريب في مرحلة الاستقلال، ونفذت ذلك من خلال المناهج التي صاغتها في مختلف المجالات الفكرية والتربوية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ. وذلك بعد أن حكمت معظم الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية، ومن أبرزهم جمال عبدالناصر في مصر وحزب البعث في سوريا والعراق وهواري بومدين في الجزائر ومعمر القذافي في ليبيا وجعفر النميري في السودان وعبدالله السلال في اليمن... إلخ.

لكن الفكر القومي العربي وأحزابه وشخصياته خسرت قيادة الأمة إثر هزيمة عام ١٩٦٧، حين احتلت إسرائيل سيناء والجولان والضفة الغربية، وبرزت الصحوة الإسلامية، يقودها التيار الإسلامي، وحاولت هذه الصحوة أن تدحض مشروع التغريب بشكل كامل، ولكنها لم تنجح إلى الآن وهي في معركة مستمرة معه.

الثانية: الحركة القطرية

والقطرية هي التهديد الثاني لهوية الأمة، وقد جاء ذلك من خلال تجزيء الأمة إلى أقطار متعددة، كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى فقد كانت بلاد الشام وحدة جغرافية واحدة، فتجزأت رسميًا إلى أربع دول هي سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

والأخطر في قضية القطرية هو تحويل هذه الأقطار إلى أمم مستقلة، وهذا ما يعمل عليه الغرب ودعاة القطرية، فهم يؤصلون لهذه القطرية في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية... إلخ، لتصبح هناك أمة أردنية وهناك أمة عراقية وهناك أمة مصرية، وهناك أمة سورية... إلخ. ولتصبح الحدود القائمة بين هذه الدول حدودًا نهائية، كالحدود بين دولتي فرنسا وألمانيا مثلًا، وهذا ما تراهن عليه المخططات الخارجية من أجل إنهاء وجود هذه الأمة الواحدة.

ومن الجدير بالتسجيل أن هناك فرقين بين التهديدات القديمة والجديدة لهوية الأمة، وهما:

الأول: وجود علماء مطلعين على الدين الإسلامي بشكل عميق في القديم من جهة، ومطلعين على ثقافة الخصوم بشكل تفصيلي من جهة ثانية، وهو ما لاحظنا مثالًا دقيقًا عليه في أحمد بن حنبل الذي تصدى لأكبر هجومين على هوية الأمة وهما اللذان صدرا عن الزنادقة والباطنية، ورأينا أن العاملين اللذين ساعداه على النجاح في مواجهة تلك التهديدات ليس هذا فحسب، بل في التأصيل للمواجهة لكل العصور التالية، هما وعيه العميق بالإسلام من جهة، وإدراكه التفصيلي لمحتوى ثقافة الخصوم من زنادقة وجهمية وباطنية من جهة ثانية، وهو ما نفتقده في المرحلة الحاضرة، فتجد أن كثيرا من العلماء لديهم اطلاع على الثقافة الإسلامية، وليس لديهم اطلاع على الثقافة الغربية، وقليل من العلماء المعاصرين هم من توفر فيهم الاطلاع على الثقافتين الإسلامية والغربية.

الثاني: وجود تدخل دول وهيئات خارجية في توجيه التغريب وتشجيعه ومتابعة شؤونه وقيام دعم خارجي له بالمال والإعلام والسلاح إن اقتضى الأمر، وغياب هذا التدخل الخارجي في دعم الحركات المهددة لهوية الأمة قديمًا.

ومما يزيد في وتيرة هذين الخطرين التدخل الخارجي السافر في كل شؤون حياتنا الثقافية والاجتماعية والتربوية... إلخ. ويقتضي هذا الوضع من أصحاب الفكر والرأي والعلماء الغيورين على هذه الأمة أن يتصدوا لهذه الأخطار بكل إمكاناتهم، وينبهوا الأمة عليها.

متى يُقبِل الغرب على الإسلام؟

محمد الفاتح حمدي

يعتبر الدين الإسلامي من أكثر الديانات انتشارًا في العالم، وإقبالًا عليه من قبل المعتنقين له، ويعتبر هذا الدين الوحيد الذي جمع بين ما هو مادي وروحي في الوقت نفسه من خلال ما جاء به القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة، يقول عز وجل في محكم تنزيله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (فصلت: ٩).

الملاحظ على المجتمعات الغربية أنها رغم ما وصلت إليه من تقدم وازدهار في الجانب المادي فإنها مازالت بعيدة في جانبها الروحي و المعنوي، الذي أهملته في بناء حضارتها الجديدة والقديمة، وهذا ما يجعلها مهددة بالانهيار والزوال مع مرور الأيام، مثلما وقع مع العديد من الإمبراطوريات التي صنعت لنفسها مكانة في الماضي، مثل الحضارة الرومانية، والتي شهد لها التاريخ بالتفوق والسيطرة على العالم، ولكن في وقتنا الحاضر لم يبق منها سوى الاسم فقط.

فإذا كانت الحضارات الغربية أساس بنائها مادي بحت فإن الحضارات الإسلامية كان عمادها وأساسها مبنيين على شقين: الروحي والذي كان مصدره الإسلام، والشق الثاني أساسه المادة والوسيلة، وهذا ما جاء به سيد الخلق أجمعين ﷺ في رسالته المحمدية التي كانت موجهة إلى جميع سكان هذه القرية العالمية دون تمييز، وما يميز هذه الرسالة الإسلامية أنها جمعت بين الجانب الروحي والمادي في الوقت نفسه، فهي رسالة فريدة في معانيها ومنهجها الرباني الشامل لكل المعاملات والعلاقات الإنسانية وامتدادها الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (الأنعام: ١٦٢)، فهذه الرسالة موجهة للناس كافة دون تمييز بين ألوانهم

الإسلام دخل إلى أوروبا عبر بوابات تاريخية عدة أهمها الفتوحات الإسلامية وخصوصًا الأندلس

وأشكالهم وأعراقهم، وإنما جمعت بين أفراد هذه الأمة تحت غطاء واحد اسمه الدين الإسلامي.. ولكن السؤال الذي يتبادر إلى ذهننا: كيف عرف الغرب الإسلام؟

كيف عرف الآخر (الغرب) الإسلام؟

لقد دخل الإسلام إلى أوروبا من بوابات تاريخية عدة، فكان الفتح الأندلسي أول باب يدخل منه الدين الإسلامي إلى بلاد الغرب سنة (١٣٢هـ-٤٢٤م) عن طريق الفتوحات التي كان قائدها طارق بن زياد الذي فتح الأندلس، وكان لهذا الفتح تأثير كبير في تعريف الناس بالدين الإسلامي في تلك الفترة، فدخل في الإسلام العديد من الذين استطاعوا أن يتعرفوا على ما جاء به الإسلام من قيم تدعو إلى العدل والمساواة ونبذ التمييز العنصري وتدعيم حرية الرأي، وثاني بوابة دخل منها الإسلام هي إقامة المسلمين لمملكة في شمال إيطاليا والتي دامت مائة سنة في جبال الألب غرب فرنسا، وحسب بعض الدراسات الأوروبية كان عدد المسلمين في هذه المملكة لا يتعدى ٨٠ شخصًا، ولكن رغم قلتهم فإنهم عملوا على نشر الإسلام في هذه المملكة.

كما عرف الآخر الإسلام عن طريق فتح جزيرة صقلية سنة ١٢١٢م، وظل فيها الحكم الإسلامي مدة قرنين من الزمن، وقد تلقى المسلمون معاملة حسنة من قبل أهل هذه الجزيرة إلى أن هاجمهم الجرمن، أما البوابة الثالثة فكانت من خلال موجة العثمانيين في القرن الثامن الهجري، وكان أكبر فتح قام به العثمانيون هو فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م من قبل السلطان الخامس محمد الفاتح، كما كان للتجار الذين كانوا يقطعون نهر الفولقا دور في نشر الإسلام في بلاد الغرب.

والبوابة الرابعة كانت من خلال الاستعمار الحديث ودخوله للعديد من البلدان العربية والإسلامية(١)، ومن خلال هذه الحملات تعرف الآخر على ما جاء به الدين الإسلامي من قيم ومعان تدعو إلى التسامح والتعارف والمحبة والمودة: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(الحجرات: ١٣). فإذا كان الغرب قد عرف الإسلام من بوابات عدة وفي فترات مختلفة وبآليات متنوعة، فإن الغرب مازال إلى وقتنا الحاضر معرضًا عن الدين الإسلامي، ورغم الجهود

إعلامي جزائري

الدعوية التي بذلت فإنها فشلت في إبلاغ الآخر رسالة الدين الإسلامي، وإيضاح حقيقة ما جاء به من أفكار ومبادئ وقيم تدعو في مجملها إلى نبذ العنف والعدوان، كما أن الآخر لم تسمح له الفرصة المواتية من أجل الاطلاع على المنهج الرباني المستقيم، ولهذا قد نتساءل مرة أخرى: ما هي رسالة المسلم في المجتمع الغربي؟

فهذه المجتمعات بلغت من الاكتشافات العلمية والتكنولوجيا الحديثة حدا لم يبلغه مجتمع من المجتمعات الإنسانية، سواء في الحاضر أو في الماضي القريب والبعيد، وفي مقابل ذلك نجد أن رسالة المسلم رسالة عقدية اجتماعية، لأن الأزمة الاجتماعية في هذه المجتمعات بلغت حدًّا أصبحت تهدده بالدمار الكامل، وستنتهي به إن استمرت إلى ما انتهى إليه المجتمع الروماني من قبل، فالصيحات تتوالى من علماء الاجتماع والنفس ورجال الدين ودوائر الأمن ومؤسسات الإصلاح الاجتماعي، معترفة بالفشل، منذرة بسوء المصير، والإنسان غريب حائر مرعوب يفترسه الخوف والضياع والانحلال، ويكفي أن نقدم ما كتبه باحث أميركي حيث قال: «إن أميركا مفككة إلى حد لا يطاق، ونحن في أمس الحاجة إلى الإحساس بالحياة الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم أميركا الضائعة الأرواح حيث لا يرتبط الفرد بشيء، فهو يبحث عن هويته، يبحث في العمل وفي المهنة وفي التقدم الاقتصادي عن علامة تميزه وتخبره من هو» (٢).

وهذه الأزمات التي تجتاح المجتمعات الغربية تحتاج إلى نوع من الإنسان يقوم وجوده أصلاً على حمل رسالة الإصلاح في العالم كله، بشكل يشغله عن أي هدف

آخر في الدنيا، فالقرآن الكريم يقرر أن المسلمين أخرجوا للناس كافة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، والقوم الذين يقصرون في هذا الواجب يستبدلهم الله بقوم آخرين لا يكونون مثلهم، فالرسول ﷺ يقرر أن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أبرهم بعياله، وهو ينذر المسلمين في أحاديث كثيرة بأن بقاءهم مرهون بحملهم لرسالة الإصلاح، فإن تقاعسوا لم يستجب الله لهم إذا دعوه، ولم ينصرهم إذا استنصروه، ولم يعطهم إذا سألوه، وإذا كانت رسالة الإسلام بدأت في غار حراء، فإن رسالة المسلم ومسؤوليته لن تتوقف حتى لا تكون فتنة في الأرض وفساد، ويكون الدين كله لله.

إذا كانت رسالة المسلم هي تبليغ هذه الرسالة المحمدية إلى جميع أقطار المعمورة، فقد وفق العديد من الدعاة في حمل مشعل الدعوة الإسلامية خارج البقاع العربية نحو المجتمعات الغربية، وخير قدوة الرسول الكريم ﷺ الذي وهب حياته وماله ونفسه وكل ما يملك في حياته من أجل نصرة الدين الإسلامي ورفع كلمة الله عز وجل لتكون هي العليا وكلمة المنافقين هي السفلى، كما كان ﷺ مؤسس جيل من الدعاة كانوا جديرين بحمل مشعل الدعوة الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية، ولكن ما نلاحظه اليوم في الواقع هو فشل وتراجع لدور دعاتنا في تبليغ هذه الرسالة التي منهجها القرآن والسنة النبوية الشريفة، كما أنهم فشلوا في عرض هذه الرسالة على المجتمع الغربي، وعلى ذلك فسؤالنا هذه المرة: كيف نوفق في عرض الإسلام في المجتمعات الغربية؟ وما هو المنهج الأصلح والأنسب لذلك؟

أسباب فشل المسلمين في تبليغ الغرب الدين الإسلامي

إن فشل المسلمين في إيصال وتبليغ الغرب وتعريفه بالدين الإسلامي يرجع إلى أمور عدة، وأسباب ترسخت في نفوس و عقول دعاتنا، فلم يستطيعوا التخلص من الخرافات والأساطير التي أصبحت تؤرق حياتهم، وجعلتهم عاجزين عن التقدم خطوة نحو دعوة الآخر للدخول في الإسلام، إلا من رحم ربي، فإذا كان المسلم ما زال مصابًا بداء اتهام الاستعمار بأنه سبب فشلنا وتخلفنا عن الركب الحضاري وعن مسايرة عصر المعلومات والتكنولوجيا الحديثة.. فهذا خطأ ولابد من إزاحته من أذهاننا، وأول من يجب اتهامه وتحميله مسؤولية تخلفنا هي أنفسنا، فإذا كنا اليوم أمة إسلامية وعربية غير متحدة في علاقاتها الخارجية والداخلية، فكيف ننجح في كسب الآخر ودعوته إلى الدخول في دين الإسلام؟ وخير مثال يصف لنا حالتنا الواقعية ما يحدث لإخوتنا في غزة بين البارحة واليوم، مئات القتلى من الأطفال والنساء والشباب، بين مساء يوم وصبيحة يوم تال أطفال ونساء يعانون الجوع والمرض والفقر تحت حصار

مدفعيات اليهود أعداء الله! إنه من العار علينا ومن الخزي على أمة إسلامية غنية كل هذا الغنى أن يترك إخواننا في غزة يأكلون علف الحيوانات! وهذا خير دليل على الفرقة التي يعاني منها المسلمون والعرب في أمة واحدة دينها الإسلام ولغتها العربية لغة القرآن، أبهذه الطريقة نثبت للآخر أننا أمة إسلامية متماسكة ومتحدة؟!

دعوة الآخر

من أجل دعوة الآخر إلى الدخول في الإسلام لابد من التجرد الكامل من الهوى وعدم تدخل الغايات والأهداف ذات المصلحة الشخصية، لأن هناك العديد من دعاتنا جعلوا من الدعوة طريقا من أجل الوصول إلى تحقيق أهداف وأغراض دنيوية، كالتجارة والدراسة وكسب المال، ونسوا رسالتهم التي ذهبوا من أجلها إلى الغرب، وصدق الإمام أبوحامد الغزالي حين قال: «طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله»، وكمثال للدعاة المخلصين في هذا العصر أذكر ذلك الداعية المتواضع الذي ترك الطب والدراجات العليا في العلم وفي كسب المال والثروات وفضل أن يكون مع أطفال أدغال إفريقيا، والذي أسلم على يديه أكثر من ثمانية مليون شخص، إنه الداعية الطبيب عبدالرحمن السميط.

ثم تأتي الموازنة بين الدراسة النظرية والتطبيق العملي للإسلام، فالإسلام ليس عرضًا نظريًا، بل هو سلوك عملي في حياة المسلمين، ولهذا يجب على دعاتنا أن يعيشوا الإسلام في حياتهم وسلوكاتهم قبل دعوة الغرب إليه مع الحذر من الذوبان في ثقافة الآخر.

أما المبدأ الثالث، فيتمثل في التواضع والشفقة على الآخرين؛ لأن المطلوب من دعاة هذا العصر أن يكونوا أحسن خلف لصحابتنا رضوان الله عليهم، وأن يجعلوا التواضع سمة لهم أثناء دعوتهم للآخرين، وأن يهتموا بأوضاعهم وشؤونهم الحياتية؛ لأن إعطاء قدر من الاهتمام للآخر يجعله يتخذك قدوة في حياته.

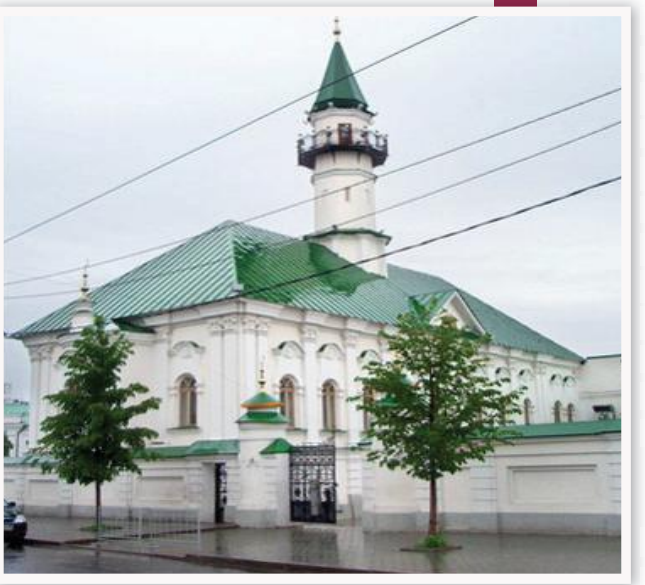

وكذلك يجب التركيز على الأصالة والتميز، لأن من الأمور التي يجب أن يحتاط منها الدعاة في بلاد الغرب الحذر من جعل الإسلام انتماء عرقيًا، لأن هذه السمة تعد عائقا في كسب الآخر ودعوته للإسلام، ولهذا يجب علينا في بلاد الغرب أن نجعل من بيوت الله أماكن توحد الجاليات المسلمة، وتجمع الطوائف والأقليات المختلفة تحت مظلة واحدة هي مظلة الإسلام، لأن الطائفية تزرع في مخيلة الآخر صورة سلبية عن الإسلام، كما يجب أن نحذر من التقاليد المحيطة التي تتعارض مع روح الإسلام في الأخلاق والأعمال و الممارسات الإدارية والعلاقات مع أفراد المجتمع.

أما المبدأ الخامس، فيتمثل في اجتهاد الدعاة في إدخال مفاهيم ومصطلحات جديدة إسلامية إلى المجتمع الغربي في وسائله الإعلامية، ولهذا يجب أن نعد العدة من أجل جعل وسائلنا الإعلامية تعطي صورة مشرقة عن الإسلام والمسلمين، واستغلال اللقاءات الشخصية، وعمل الجمعيات الخيرية واتحاد الطلبة وترجمة المعاني الإسلامية إلى اللغات الأجنبية، كما تلعب هذه الوسائل دورا رئيسيا في نقل المؤتمرات واللقاءات إلى الآخر، ورغم تعدد الوسائل المستخدمة في الدعوة الإسلامية فإن الهدف واحد وهو الدعوة إلى الإسلام بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في حوارنا مع الآخر، وهذا ما جاء في محكم التنزيل، يقول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥).

إن التزام دعاتنا بهذه المبادئ في دعوة الآخرين إلى معرفة دين الحق، يجعلهم يتقربون من هذا الدين خطوة خطوة، ويجعلهم مقبلين عليه عندما يدركون أنه منقذهم من الهلاك والضياع والانتحار والجريمة، ويوفر لهم الراحة النفسية والطمأنينة التي مازالوا يبحثون عنها إلى يومنا هذا، فوجدوها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة العطرة، إنه القرآن الكريم.. المنهج والمسلك المستقيم الذي يجب أن نسير عليه حتى نلقى الله عز وجل.

الهوامش

١- انظر أحمد عيساوي، محاضرات علمية في الدعوة الإسلامية، الجزائر: جامعة باتنة، كلية الشريعة، ٢٠٠٨ــ٢٠٠٧، بتصرف.

٢- ماجد عرسان الكيلاني، رسالة المسلم في المجتمع الأميركي، كتاب الأمة، عدد ٢٨، الدوحة، ١٩٩١، ص: ١٢٨.

إنَّ أساس علاقة المسلمين مع غيرهم يتمثَّل في قول الله عزَّوَجلَّ: ﴿لا ينهاكم الله عن الَّذين لم يقاتلوكم في الدِّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم إنَّ الله يحبُّ المقسطين. إنَّما ينهاكم الله عن الَّذين قاتلوكم في الدِّين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولَّوهم ومن يتولَّهم فأولئك هم الظَّالمون﴾. (الممتحنة: ٨، ٩).

معاملة النَّبيِّ ﷺ لغير المسلمين

شيرين علي

البِرّ والقسط مطلوبان من المسلم تجاه كلِّ الناس، ما لم يقفوا في وجهه ويضطهدوا أهله. ولأهل الكتاب من بين غير المسلمين منزلة خاصة في المعاملة، فالقرآن ينهى عن مجادلتهم إلا بالحسنى، ويبيح مؤاكلتهم والأكل من ذبائحهم ومصاهرتهم، وهذا هو أصل التسامح.

ولأهل الذِّمة في دار الإسلام حقُّ الحماية من كلِّ عدوان خارجي، ومن كلِّ ظلم داخلي. يقول رسول ﷺ. رواه أحمد في مسنده.

الله عزل وجل: «مَن ظلم معاهدًا، أو انتقصه حقًا، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» (رواه البيهقي وأبوداود).

ويقول عل وجل: «من آذى ذمّيًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» (رواه الخطيب بإسناد حسن).

وفي عهد النبي ﷺ لأهل نجران أنَّه لا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر (رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن).

ودماء أهل الذِّمة وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم معصومة باتّفاق المسلمين، وقتلهم حرام بالإجماع: «مَن قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا» (فيض القدير ٦/١٥٣).

وقال ﷺ: «إنَّ الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدُّنيا» (السنن الكبرى للبيهقي ٩/٢٠٥).

ويحمي الإسلام حريَّة حقِّ الاعتقاد، فلكلِّ ذي دِين دِينه ومذهبه: ﴿لا إكراه في الدِّين﴾. (البقرة: ٢٥٦). وقد اشتمل عهد النبي ﷺ إلى أهل نجران، أنَّ لهم جوار الله وذمَّة رسول الله على أموالهم وملّتهم وبيعهم.

وصان الإسلام لغير المسلمين معابدهم وشعائرهم، وكل ما يطلبه الإسلام من غير المسلمين أن يراعوا مشاعر المسلمين. يقول المفكر الفرنسي المعروف غوستاف لوبون: «إنَّ مسامحة محمَّد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية». ويقول روبرتسن: إنَّ المسلمين وحدهم جمعوا بين الغيرة لدينهم، وروح التسامح نحو أتباع الديانات الأخرى .

ولأهل الذِّمة الحقّ في تولّي وظائف الدولة كالمسلمين، إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية، إذا تحققت فيهم شروط الكفاية والأمانة والإخلاص.

وتتجلَّى سماحة الإسلام في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى، فقد كان ﷺ يزورهم ويكرمهم ويحنّ إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ النَّبيّ ﷺ عاد يهوديًا، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فخرج وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار» (رواه البخاري).

ومرَّت به ﷺ جنازة، فوقف لها، فقيل له: إنَّها جنازة يهودي، فقال عليه الصلاة والسلام: «أليست نفسًا» (رواه البخاري).

وقال ﷺ: «دعوة المظلوم . وإن كان كافرًا . ليس دونها حجاب» (رواه أحمد في مسنده).

وفي يوم الفتح المبين، حين مكَّن الله رسوله الكريم من رقاب مَن آذوه وسعوا لاغتياله، وقف أمامهم وقال: «لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطُّلقاء». هكذا بمنتهى البساطة ينسى الإساءة، ويتجاوز عمَّن دبَّروا أبشع المؤامرات لسفك دمه ﷺ، ودون أي شرط.

وحين رأى ﷺ عمَّه حمزة وقد بُقرت بطنه، ومُثّل به أسوأ تمثيل هو وبعض الصحابة، بكى وغضب وعزم على أن ينتقم ويُمثّل بسبعين منهم إن مكَّنه الله منهم، فنزلت الآية الكريمة: ﴿إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾. (النَّحل: ١٢٦).

فآثر النَّبيّ ﷺ وأصحابه الصبر الجميل، وعفوا عمَّا سلف من تمثيل بقتلاهم، فما كان للمؤمنين أن ينزلوا إلى تلك الهوَّة العميقة من جرائم الحقد الأسود، ولا أن يجرهم عدوهم إلى مثل هذه الميادين الدونية من التعامل، ولو في الحرب..

كاتبة صحفية

قيمة الزمن في الحياة

إضاعة الوقت وعدم استغلاله فيما يفيد سمة غالبية المسلمين، وللأسف في عصرنا الحاضر، ولو أجريت إحصائية دقيقة عن نسبة الوقت المستفاد منه عمليًا في حياة المسلم لوجدناها نسبة ضئيلة جدًا مقارنة مع نسبة استغلال الوقت عند الأمم المتقدمة، مما يفسر لنا سر تخلفنا وتراجعنا عن ركب الحضارة بعد أن كنا روادها لقرون عديدة.

إن نعمة الوقت من أجلّ النعم وأعظمها قدرًا ومكانة، وسيسأل المسلم عنها يوم القيامة.. حفظ أم ضيع؟

والله سبحانه وتعالى أقسم بالعصر، الذي هو الزمن، لما فيه من الأعاجيب.. ففيه تحصل السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، يقول رسولنا الكريم محمد ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه...» (رواه الترمذي).

لقد كان السلف الصالح ومن سار على منهجهم من الخلف أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير، وكانوا يسابقون الساعات، ويبادرون اللحظات ضنا منهم بالوقت وحرصًا على ألا يذهب هدرًا.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيديكم تسليط الضوء على هذه النعمة العظيمة، وكلنا أمل أن يحرص المسلمون عليها أشد من حرصهم على دنانيرهم ودراهمهم، فالوقت أمانة، وهو الحياة.. وهو سبيلنا إلى نهضة شاملة مفقودة في شتى مناحي الحياة.

التحرير

الانتفاع بالزمن

د.علي عبدالمنعم (يرحمه الله)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة» (رواه البخاري)[1]

البقاء في الدنيا قليل مهما طال، فمادام الأجل محدودا، والعيش موقوتا، ولكل نهايةٌ مؤكدةٌ، وغاية ينتهي إليها، فالزمن الموصل إلى الهدف لا يفوق العد ولا يتجاوز ما له من حد، وبين البدء والخاتمة، غدو الموجود ورواحه يستطيع بيقظته وجده وتقديره في لياليه وأيامه.. يجعلها عريضة أكثر منها طويلة فلا يدع لحظة تمر دون فائدة يجتنيها وثمرة يقتطفها، وعمل نافع يؤديه.. يدرس بنفسه ميول نفسه، ويعرف حقيقة وجوده من وجوده، ويتفاءل مع إنسانيته، فيروضها على الحسن من الانطباعات ويأخذها بالحسنى ليغرس فيها ما جناه حلوٌ شهي، ويدرب تفكيره على سلوك دروب الأنبياء والراشدين من عباد الله، ويتجافى عما ينزل بآدميته إلى درك العجماوات، وبهذا يؤثر في بيئته بالخير، ويقود مجتمعا يعيش فيه إلى النور، إلى الحق الأبلج، معرضا ما يلاقي من معوقات، صامدا للأحداث والخطوب، إذا مر باللغو مر به كريما وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاما، فيعلو على المثبطات، ويصبح أهلا لتحمل أعباء العبودية لله، والتمسك بحريته كاملة غير منقوصة فيما وراء ذلك، وحين يفيض عليه ربه رضاه ويمنحه عونه فسيصبح كل صعب لديه سهلا، وكل عظيم هينا:

إذا صح عون الله للمرء لم يجد
عسيرا من الآمال إلا ميسرا

ورسول الله ﷺ هو المثل والقدوة، وهو المصطفى لرسم الخطة المثلى للحياة الكريمة في هذه الدار الحائلة، وقد استطاعت تعاليمه الموحاة إليه من رب كل شيء أن تحول طبائع المخلوقين من ضعف إلى قوة، ومن جزع إلى صبر، ومن عجز إلى سلطان وسطوة، ومن استكانة وانطواء في رقعة معينة من صحراء العرب إلى انطلاق لا يعرف الحدود ولا القيود، ومن معرفة محدودة وثقافة ضيقة إلى علوم وإبداعات، فكان ممن أنطوى تحت لوائه القائد المحنك والعالم المدرك والسياسي الفطن، وتطورت معارفهم وتنوعت فلم تدع بحرا إلا خاضته ولا لجا إلا اقتحمته ولا ميدانا إلا جالت فيه، وشعر الذين انتفعوا بتراثهم أنهم لو غابوا عن الوجود لما ارتقى فكر إلى ما إليه ارتقى، أو على أحسن الفروض لاقتضى الوصول إلى درجتهم زمانا يطول، وجهدا يضني، ورأيا يعيا به أولو العزم.

وكان منهم عمر ومنهم من اخترمته منيته في ريعان الصبا، ولما يتجاوز الأربعين خريفا.

وفي الحديث الشريف موضوع الدرس حث أكيد على اغتنام فرص الحياة للتزود منها بكل ما يستطاع من عمل الخير الدنيوي فعن طريقه ينمو الجنى في الدار الآخرة، ولا يتفوق الإنسان على غيره إلا

المقال نشر في العدد: (٥٩) ذي القعدة: (١٣٨٩هـ)، كانون الثاني: (١٩٧٠م).

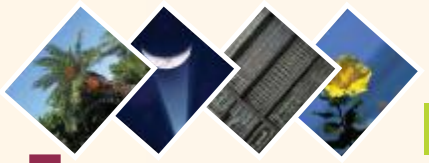

بنفاذ بصيرته، وصفاء روحه، وتساميه عن الانغماس في المادية القاتلة، وليس معنى هذا أن يتعلق بأهداب الخيال ويبني قصورا من رمال، وإنما في عمل سيدنا رسول الله الأسوة دائما، فهاهو ذا - كما ورد في سيرته المطهرة - يحفر بنفسه الخندق مع أصحابه، وبعضهم يحمل التراب ويلتفت إليهم في رحمة رحيمة، وحب عميق، ويقول: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.. فأكرم الأنصار والمهاجرة».

وفي لقاءاته الكريمة معهم، وما كان ليفارقهم أبدا، يغرس في نفوسهم النفور من التواكل والضعف ويحملهم حملا على اغتنام لحظات العافية والقوة للانتفاع بنتاجها ساعة الضعف والحاجة فيقول ﷺ معلما وهاديا ومرشدا: فيما أخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» فما أسماه من توجيه، وما أحكمه من قول فهاهي ذي فرص في الحياة خمس إن استغلت أثمرت وأينعت وآتت أكلها سعادة في العاجلة والآجلة.

ونص على الستين لأن استكمالها مظنة لانتهاء الأجل، فقد قيل إن المراحل الحياتية التي يجتازها المرء في عبوره أربع هي: الطفولة ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، وغالباً ما تكون الأخيرة بين الستين والسبعين حيث يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط وفيما أخرجه أبو يعلى عن أبي هريرة:

«معترك المنايا ما بين ستين وسبعين» فمن بلغها ينبغي له الإقبال على الآخرة، والليان بباب الله وطلب المغفرة مما أسرف فيه على نفسه، في شباب مضى، وعافية ذهبت ولن تعود.

وفي هذه السن يقوى العقل ويشتد، وكثير من العلماء على اختلاف نزعاتهم كان إنتاجهم الدسم الغزير الفائدة بعد الستين، بل منهم من استنارت بصيرته وانفتحت على مغلقات الكون بعدها فجاء بما صار مضرب الأمثال في الجودة العلمية والإتقان

من بلغ الستين ولم يكن له قدم صدق عند الله في حقل الدعوة فلا يلومن إلا نفسه

الفكري ومثالا للنبوغ الإنساني، وإن كان بعض من اخترعوا قبل هذه السن عبقريًا لا يبلغ شأوه، ولا يسبق في ميدانه.

ومن الميول الغريزية التي لا تفارق الإنسان مهما طال به الزمان ما نصت عليه أحاديث أخرى، تلك هي حب الدنيا وطول الأمل، قال ﷺ: «لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل».

وفسر الأمل هنا بالرغبة في طول العمر، وحب الدنيا بالعكوف على جمع المال، وقال ابن الجوزي: الأمل مذموم إلا للعلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا، ولكن هذا شيء مطبوع في جميع بني آدم، وفي الأمل سر لطيف فلولاه ما نعم أحد بعيش ولا شرع في عمل، وفي الحديث الشريف: «لولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا» وقد مدح رسول الله ﷺ طول العمر مع حسن العمل فقال: «خيركم من طال عمره وحسن عمله».

والباحث الفاقه لأصول الإسلام وقضاياه، العارف المتعمق في دراسته لكتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، مع إلمامه بما صارت إليه حال المجتمعات المادية المعاصرة، وما آل إليه أمرها من اضطراب عقائدي، وانهيار روحي، وانفصام عرى الصلات الإنسانية والروابط الروحية بين أهلها، لا يجد لها مناصا من سلوك الطريق الوسط السوي الذي حددته آيات الله في القرآن العظيم وأفاضت في تفصيله الأحاديث الشريفة، ولكن أنى يكون ذلك وأبناء الإسلام لا يفقهونه ولا يدركون مراميه فقد جهلوا كل شيء عنه إلا القشور التي لا تسمن ولا تغني من جوع عقلي وضياع فكري، وما يردهم إلى صوابهم إلا أن يعوا ويدرسوا من جديد كتاب الله فهو الوحي المنزل الذي لا تعتوره شبهة نفع مادي أو بحث وراء فائدة شخصية، وإنما يرجى بتطبيق أحكامه تحرير العقول من الشرك الحاصل والناجم في أزمنة بعيدة، ورفع الظلم الإنساني الذي استشرى حين تخلى البشر عن تعاليم السماء وركنوا إلى أنفسهم يستوحونها الهداية، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد.

والحديث الشريف موضوع البحث يدعو إلى استغلال لحظات الحياة فيما يخدم القضايا الإنسانية وذلك عن طريق الإسلام، وإذا بلغ الرجل الستين ولم يكن له قدم صدق عند الله في حقل الدعوة فلا يلومن إلا نفسه التي بين جنبيه فعليه وحده تقع مسؤولية ما سيلقى من جزاء عادل يوم القيامة: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧).

والإسلام لا يحتاج في إظهار عدالة قضاياه إلى الاستدلال بآراء أعدائه وإن كان الفضل ما شهدت به الأعداء كما هو المأثور، وإنما يحتاج بالدرجة الأولى إلى همة أبنائه فهو يستصرخهم صباح مساء أن هلموا إلى رحابي واحملوا رايتي، وتولوا القيادة التي ضل أهلها يوم أهملتموها، وإني لشديد الأمل واسع الرجاء في الجيل المعاصر إذا أُحسن توجيهه، وإذا فتَّح عيونه على حقيقة ما يتردى فيه البعيدون عن نور الله من شقاق وخلاف و تفرق وتناحر وضياع في تيه الحياة لا آخر له ولا منقذ منه إلا قيادة عربية إسلامية واعية، فالعربي هو أول من جاهد ورفع لواء الحق يوم بدا له نور الله لأول مرة، وسيكون هو الذي يتولى ردع الناس وردهم إلى لواء الإسلام آخر الأمر فهو الذي يستطيع فقه كتاب الله، واستخلاص الأحكام منه، وصنع الدواء لكل داء عياء في الأوساط الإسلامية المعاصرة، وإن غدا لناظره قريب، والتوفيق من الله وحده هو حسبنا عليه نتوكل وإليه ننيب.

الهوامش

١- الإعذار - إزالة العذر، والمراد أنه لم يبق له عذر كأن يقول: لو طال أجله لفعلت كذا وكذا من الخيرات، وقيل: إن معناه، أن الله لم يترك للعبد سببا في الاعتذار يستمسك به.

عمر الحياة

عبدالفتاح أبوغدة (يرحمه الله)

لهذا العنوان الصغير أطراف كثيرة وكبيرة من المعاني والمواضيع، تتجاذب الكلام فيها، فللزمن قيمة عند الفلاسفة غير قيمته عند التجار، وغيرها عند الزراع، وغيرها عند الصناع، وغيرها عند العسكريين، وغيرها عند السياسيين، وغيرها عند الشباب، وغيرها عند الشيوخ، وغيرها عند طلبة العلم وأهل العلم.

وأخص بحديثي (قيمة الزمن) عند طلبة العلم وأهل العلم فحسب، رجاء أن يكون ذلك حافزًا لهمم أصحاب العزائم من شبابنا طلاب العلم، في هذه الأيام التي فترت فيها همم الطالبين، وتقاعست غايات المجدين، وندر فيها وجود الطلبة المحترقين بالعلم، فمات النبوغ وساد الكسل والخمول، وبرز من جراء ذلك الضعف والتأخر في صفوف أهل العلم وآثارهم، فأقول:

إن نعم الله تعالى على عباده كثيرة لاتحصى، ولا يمكن للبشر أن يحصوها أويدركوها على حقيقتها، وذلك لكثرتها، واستمرارها، ويسرها، وتتابع إنعام الله بها، وتفاوت مدارك الناس بها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وإن تعدو نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (إبراهيم: ٣٤).

للنعم أصول وفروع

وإن للنعم أصولاً وفروعًا، فمن فروع النعم مثلًا: البسطة في العلم والجسم والمال، والمحافظة على نوافل العبادات، مثل قيام الليل والإكثار من تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والمحافظة على سنن الفطرة في الوجه واليدين والأطراف، وسنن الأعمال مثل التطيب للرجال عند الاجتماع، والمصافحة عند اللقاء، ودخول المسجد باليمنى، والخروج منه باليسرى، وإماطة الأذى عن الطريق، وما إلى ذلك من الآداب والسنن والمستحبات وبعض الواجبات، فكل أولئك من فروع النعم،، وما أجلها من فروع عند عارفيها.

أصول النعم

وأما أصول النعم فكثيرة أيضًا لا تحصى، وأول أصول النعم: الإيمان بالله تعالى وبماجاء من عنده، والعمل بمقتضى ذلك على ما أوجبه الله تعالى

أستاذ الشريعة في المملكة العربية السعودية

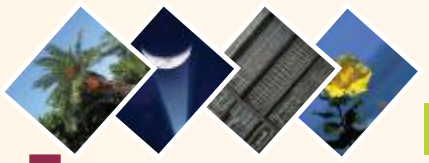

الزمن ... عمر الحياة وميدان الإنسان وساحة بقائه ونفعه وانتفاعه

وأمر سبحانه.

ومن أصول النعم أيضًا: نعمة الصحة والعافية، التي منها سلامة السمع والبصر والفؤاد والجوارح، وهي محور حركة الإنسان وقوام استفادته من وجوده.

ومن أصول النعم أيضًا: نعمة العلم، فهي نعمة كبرى يتوقف عليها رقي الإنسانية وسعادتها الدنيوية والأخروية جميعًا، فالعلم نعمة جُلى، كيفما كان، فتحصيله نعمة، والانتفاع به نعمة، والنفع به نعمة، وتخليده ونقله للأجيال المقبلة نعمة، ونشره في الناس نعمة، وهكذا.

وهناك أمثلة كثيرة لأصول النعم، لا أطيل بذكرها مراعاة لقيمة الزمن.

من أجل أصول النعم

ومن أصول النعم أيضًا، بل من أجل أصولها وأغلاها: نعمة (الزمن)، الذي جمعت هذه الصفحات للحديث عن قيمته، في جنب طلبة العلم وأهل العلم خاصة.

فالزمن هو عمر الحياة، وميدان وجود الإنسان، وساحة ظله وبقائه ونفعه وانتفاعه، وقد أشار القرآن الكريم إلى عظم هذا الأصل في أصول النعم، وألمع إلى علو مقداره على غيره، فجاءت آيات كثيرة ترشد إلى قيمة الزمن، ورفيع قدره وكبير أثره.

الغيرة القاتلة على الوقت عند العابد والعاقل

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، في كتابه «مدارج السالكين»(٣/٤٩) وهو يتحدث عن منزلة الغيرة وشمولها لكثير من الأمور، فذكر منها الغيرة على الوقت بقوله:

الغيرة على وقت فات! وهي غيرة قاتلة، فإن الوقت وحي التقضي- أي سريع الانقضاء- أبي الجانب، بطيء الرجوع، والوقت عند العابد: هو وقت العبادة والأوراد، وعند المريد: هو وقت الإقبال على الله، والجمعية عليه، والعكوف عليه بالقلب كله، والوقت أعز شيء عليه، يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك! فإذا فاته الوقت لايمكنه استدراكه ألبتة، لأن الوقت الثاني قداستحق واجبه الخاص، فإذا فاته وقت فلا سبيل له إلى الاستدراك، وأيضًا فالغيرة على التفويت تفويت أخر، كما يقال: الاشتغال بالندم على الوقت الفائت تضييع للوقت الحاضر! ولذلك يقال: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك (١).

فالوقت منقض بذاته، منصرم بنفسه، فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاته، وعظم فواته، واشتدت حسراته، فكيف حاله إذا علم عند تحقق الفوت مقدار ما أضاع! وطلب الرجعى فحيل بينه وبين الاسترجاع! وطلب تناول الفائت، وكيف يرد الأمس في اليوم الجديد؟ ﴿وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ (سبأ: ٥٢)(٢)، ومنع مما يحبه ويرتضيه، وعلم أن ما اقتضاه ليس مما ينبغي للعاقل أن يقتنيه، وحيل بينه وبين ما يشتهيه!

فيا حسرات، ما إلى رد مثلها

سبيل! ولو ردت لهان التحسر!

والواردات سريعة الزوال، تمر أسرع من السحاب، وينقضي الوقت بما فيه، فلا يعود عليك منه إلا أثره وحكمه، فاختر لنفسك ما يعود عليك من وقتك، فإنه عائد عليك لا محالة، لهذا يُقال للسعداء في الجنة: ﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ (الحاقة: ٢٤)، ويقال للأشقياء المعذبين في النار: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾(غافر: ٧٥)، انتهى بتصرف يسير.

جميع المصالح تنشأ من الوقت، فمن أضاعه لم يستدركه أبدًا.

وقال الإمام ابن القيم أيضًا، في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»: «أعلى الفكر وأجلها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة، فما كان لله فهو أنواع... النوع الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهم(٣)، كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدًا».

قال الشافعي رضي الله عنه: صحبت الصوفية، فلم أستفد منهم سوى حرفين، أحدهما قولهم: الوقت سيف، فإن لم تقطعه قطعك، وذكر الكلمة الأخرى و:نفسك إن شغلتها بالحق وإلا شغلتك بالباطل.

الهوامش

١- قال ابن أبي جمرة في كتابه «بهجة النفوس» (٣:٩٦): «معناه: اقطع الوقت بالعمل، لئلا يقطعك بالتسويف» انتهى، ويمكن أن يقال معناه : «أنك إذا لم تكن يقظا للاستفادة من الوقت والانتفاع به هلكت كما يهلك من وجهت اليه الضربة بالسيف، فإن لم يكن يقظا لردها والسلامة منها قطعته وأهلكته، فإن الوقت سيف قاطع وبرق لامع، ولهذا قال القائل:

وكن صارمًا كالوقت فالمقت في عسى
وإياك علا فهي أخطر علة!

وقالوا: من علامة المقت، اضاعة الوقت.

٢- والتناوش: التناول.. والآية الكريمة تتحدث عن حال الكفار في الآخرة الذين فوتوا على أنفسهم في الدنيا: الإيمان بالله تعالى. أي: ومن أين لهم في الآخرة تناول الإيمان والتوبة من الكفر؟ وقد كان ذلك قريبًا منهم في الدنيا فضيعوه!، وكيف يقدرون على الظفر به في الآخرة وهي بعيدة من الدنيا؟!

٣- أي الهمة والعزم.

رجال القول ورجال العمل

عبدالعزيز بن صالح العسكر

«إن الفتى من يقول هأنذا» هذه كلمة لم يقلها الشاعر فقط، وإنما قالها الآباء والخلفاء والأمراء والقادة والمخلصون جميعهم، ويقولها اليوم شباب مخلص من أبناء بلادنا، هأنذا مستعد للعمل، هأنذا تتحدث أعمالي قبل أقوالي، يقدمني فعل حسن، وإنجاز فريد وإبداع غير مسبوق، هأنذا أكمل نقصًا وأسد خللًا، وأعالج جرحًا، وأصل جديدًا بقديم.

هذا النوع من الشباب موجود بيننا، بهم تسعد البلاد وتحمى الحرمات، وتصان المكاسب وتنجح المشاريع وتتحقق الآمال، رأيناهم في السيول يدفعون خطرها، وفي التعليم يحققون أهدافه، وفي الأمن يبسطون سعادته، وفي الصحة ينشرون أثرها وإنجازها، كما رأيناهم في البيوت يصونون حرمتها ويرعون أمانتها، كما رأيناهم في المصانع والمتاجر والمزارع يدفعهم إخلاصهم، وتشهد بصدقهم أفعالهم، أكثر الله من هؤلاء وبارك في جهودهم ونفع بهم البلاد وأهلها.

وبجانب أولئك الكرام وجدنا «تجار الكلام» و«أعلام القول» و«رواد الخطابة» و«فرسان الثرثرة» يقول أحدهم: يجب أن يفعل الناس، ويقول الثاني: العلاج غير ممكن، ويقول الثالث: الإصلاح غير ممكن، وآخر يقول: لم أجد من يعمل غيري! وآخر: أريد عملًا مريحًا، وآخر: هذا عمل فات أوانه... سلسلة من الأعذار والأوهام يسوقها العاجزون ويرددها المنهزمون، ويتسلى بها القاعدون، وكل واحد من أولئك يكذب على نفسه ويستغفل غيره!

العاجزون عبء ثقيل على أمتهم، والمنهزمون أحجار عثرة في الطريق، والقاعدون أصفار على شمال العدد لا ينفعونه شيئًا، ولا أجد للعاجزين والمهزومين والقاعدين دورًا سوى التخذيل وبث الرعب في الأمة وإعاقة نهضتها.

أبطال الأفعال محبوبون من القاصي والداني متحررون من النفاق والشفاعات الزائفة

وهم قبل ذلك صيد ثمين للأعداء يوظفونهم لتحقيق مآربهم ويكثرون سوادهم، ففي إحدى معارك المسلمين مع أعدائهم جاء رجل إلى القائد المسلم وقال له: ما أكثر الروم وأقل المسلمين، قالها ذلك المسلم وقد هَالَه جيش الأعداء، فماذا كان جواب القائد المسلم؟

قال كلمة واحدة واضحة مشرقة: وددت لو برئ الأشقر وضاعفوا من عددهم! والأشقر فرسه وكان قد حفي من طول الطريق وأحجاره وأشجاره، فكان يتمنى أن يشفي الله فرسه ولو ضاعف الأعداء عددهم، المقاييس ليست في العدد، والميزان ليس في الكثرة، ولكنه الكيف والحال، فقد تعلمنا من الأحداث وأحوالها أن الكثرة مع الباطل، وأن الخمول فرسانه كثيرون وعُشَّاقه يزيدون، وأبطاله يتنافسون.

أبطال الأفعال ناجحون في دراستهم وعلاقاتهم، محبوبون من القاصي والداني، متحررون من الرشود والتزوير والنفاق والكذب والشفاعات الزائفة، وكما نتمنى أن يبعد الله تجار القيل والقال، ويقلل عددهم نسأل الله تعالى أن يبارك في العاملين من علماء الشريعة وعلماء العلوم جميعًا، وأن يعين العاملين في خدمة بلادهم وأمتهم، وأن يبارك في جهودهم.

إن قيام الممالك جاء بالعمل لا بالقول.. والمحافظة عليها يكون بالعمل لا بالقول.

وبناء الأسر والمجتمعات يكون بالعمل لا بالخطب والمواعظ، مع ما للخطب والمواعظ من دور كبير ورائع في التنبيه والتذكير، بالعمل بُني الإيمان، وبُني المجد، وعزَّ السلطان، وارتقت الأوطان، وبالاكتفاء بالقول فقط ضعف الإيمان وهُدم المجد وذل السلطان، وتأخرت الأوطان وأصبح المرء دُمية في يد أعدائه يلعبون به ويحققون أمانيهم وآمالهم.

قال الرسول ﷺ فيما رواه أبوهريرة: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (رواه مسلم) الصور والأشكال والآمال والأماني والوعود الكاذبة لا تنفع

كاتب سعودي

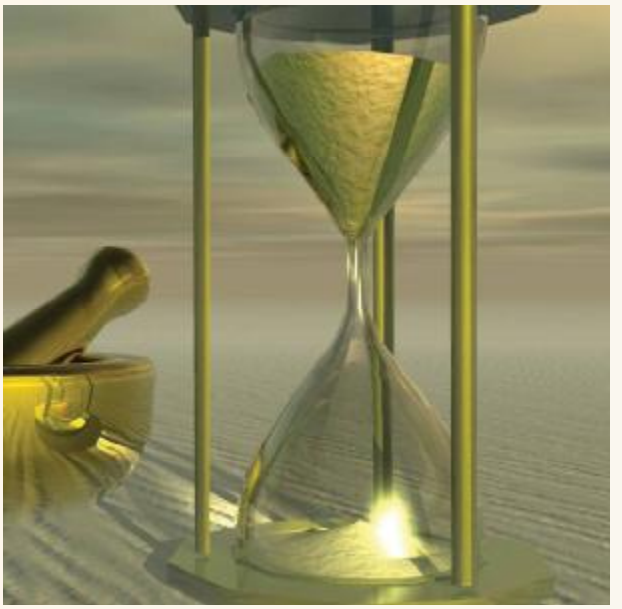

في الدنيا والآخرة، قال الرسول ﷺ: «الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله» (رواه الترمذي).

فالعاجز كل بضاعته أقوال وأماني ووعود وكذب! والعاقل هو الذي يتبع القول العمل أو يسبق عمله قوله، قال الرسول ﷺ: «حينما سأله سفيان بن عبدالله رضي الله عنه: قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك: قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» (رواه مسلم)، ولا يمتدح طول العمر إلا مع كثرة الأعمال الصالحة.. وإلا فإنه وبال على صاحبه قال رسول الله ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» (رواه الترمذي)، والعمل وإن كان صغيرًا خير من كثير القول والنقد وتجريح الناس ولومهم، وفي ذلك العمل الصغير القليل عظيم الأجر وجزيله.

قال ﷺ: «لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» (رواه مسلم)، ومما تقرر في الشريعة الإسلامية أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وهذا مشروع في حق كل فرد في الأمة وفي كل مكان.

والإسلام يدعم العمل ويؤيده ويدعو إليه، بل إنه يجعل ما يعين على العمل الصالح ويوصل إليه عملًا صالحًا فيه عظيم الأجر والمثوبة، فالبعد عن المسجد فرصة لكسب عظيم الأجر بكثرة الخطوات ومشقة الوصول إلى المسجد، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟» فقالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: «بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم» (رواه مسلم).

واستجاب أصحاب رسول الله لتوجيه رسولهم وسعدوا بطاعة ربهم، وعلت هممهم، وزاد شغفهم بالأجر وتكثيره، وهذا واحد منهم يضرب مثلًا أعلى في ذلك السمو الإنساني الكبير، وذلك حينما يرفض أن يركب ويصر على المشي إلى المسجد على قدميه وتأتيه البشرى من نبي الهدى بأن الله تعالى قد كتب له خطاه ذهابًا للمسجد وإيابًا، رضي الله عنهم وألحقنا بهم في الصالحين، تلك قصة حكاها الحديث الشريف، قال أبي بن كعب رضي الله عنه كان رجلًا لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة فقيل له، أو فقلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء؟ فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «قد جعل الله لك ذلك كله» (رواه مسلم).

هذا هو دين العمل، عمل ينفع الفرد وينفع الأمة، عمل يقطع الطريق على القيل والقال، وتدافع المسؤولية وأن يُحَمِّل كل فرد أخطاءه على الآخرين، وما أسعد مجتمعًا وأمةً يتسابق أفرادها إلى العمل ويهجرون التواكل والثرثرة والجدل.

إنَّ واحدًا من رجال العمل خير وأنفع للبلد من ألف من رجال الثرثرة والتنظير والتكسل.

الوقت في حياة المسلم

د.سيد نوح (يرحمه الله)

للوقت- كأي قيمة من القيم- خصائص ومزايا، كما أن له منزلة ومكانة في الإسلام، فقد خلق الله الإنسان، وكلفه تكاليف، وطلب منه أداءها، وأعانه على ذلك بنعم لا تعد ولا تحصى، ومنها نعمة الوقت لينفذ فيه ما كلفه به، وطلب منه أداءه، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور: ٤٤) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان:٦٢)، فالوقت سلاح ذو حدين ينفع إن أحسن استغلاله، ويضر إن أسيء استغلاله، فإذا أحسن الإنسان استغلاله وملأه بالنافع المفيد كان خيرًا وبركة، وإن أساء الإنسان استغلاله وملأه بالضار كان شرًا ونقمة، وقد ساق الله في كتابه صورتين: الأولى: لمن أحسنوا الانتفاع بأوقاتهم فكان مآلهم حسن العقبى، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٥-٢٨). والأخرى: لمن أساءوا الانتفاع بأوقاتهم، فكان مآلهم سوء العقبى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (فاطر: ٣٦، ٣٧)، والعمر محدود، ونهايته لا يعلمها إلا الله عز وجل، إذ هو هذه المساحة الزمنية التي تبدأ بمولد الإنسان وتنتهي بوفاته، ولا يعلم هذه النهاية إلا الله- عز وجل- قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (طه: ١٥).

إن الوقت سريع المرور والانقضاء، ولا يعود أبدًا إذ هو حركة الأفلاك، وتلك لا تتوقف أبدًا، فهو يمر بمرورها، وينقضي بانقضائها، ويبدأ مروره وانقضاؤه من لحظة الولادة، وإذا مر أو انقضى كله أو بعضه ولو يسيرًا، فلا يعود أبدًا، ولذا جاء عن الحسن البصري قوله: «ابن آدم أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك» (١)، وجاء عن ابن عباس قوله: «ما من يوم طلعت شمسه إلا يقول: من استطاع أن يعمل في خيرًا فيعمله، فإني غير مكرر عليكم أبدًا» (٢).

وقال بعضهم: «يقال: الوقت من ذهب، وهذا صحيح من حيث القيم المادية للذين لا يقيسون الوجود إلا بها، ولكن الوقت هو الحياة للذين ينظرون إلى أبعد من ذلك، وهل حياتك أيها الإنسان في هذا الوجود شيء غير الوقت الذي يمضي بين الميلاد والوفاة؟ وقد يذهب الذهب وينفد، ولكنك تستطيع أن يكون معك منه أضعاف ما فقدت، ولكن الوقت الذاهب، والزمن الفائت لا تستطيع له إعادة أو إرجاعًا، فالوقت إذن أغلى من الذهب، وأغلى من الماس، وأغلى من كل جوهر وعرض، لأنه هو الحياة» (٣).

منزلة الوقت في الإسلام

وللوقت في الإسلام منزلة رفيعة، ومكانة سامية تتلخص في إقسام الله عز وجل بالزمن في مختلف أطواره في كتابه العزيز، إشعارًا بقيمة الزمن، وتنبيهًا إلى أهميته، إذ أقسم- سبحانه- بالليل، والنهار، والفجر، والصبح، والشفق، والضحى، والعصر، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (الليل:١-٢)، وقال كذلك: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٣-٣٤)، وقال أيضًا: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر: ١-٢).

وبيَّن النبي ﷺ أن المستفيدين من الزمن قلة، وأن الكثير مفرط مغبون، فقال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ» (٤)، يقول الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): «قد يكون الإنسان صحيحًا، ولا يكون متفرغًا يشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه، وصحته

أستاذ الحديث في جامعة الكويت

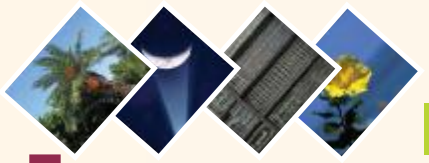

في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم لكفى» (٥).

وربط الإسلام بين نتائج العبادات، والأعمال الصالحات، وبين الأوقات حيث يقول النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه...» (٦)، ودعا الإسلام إلى استغلال المتاح منه الآن قبل فواته إيذانًا بأهميته وقيمته، يقول النبي ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل مماتك.

السبيل القويم لاستغلال الوقت

السبيل القويم لاستغلال الوقت

هل حياة الإنسان في هذا الوجود شيء غير الوقت الذي يمضي بين الميلاد والوفاة؟

أحسن استغلال تتمثل في اتباع هذه الخطوات:

١- تحليل الوقت على ما هو عليه الآن، بأن يتعرف المسلم على مناشطه المختلفة، والزمن الذي يقضيه في كل منشط، والعلاقة بينهما، ليدرك أين الخلل، ويسعى نحو العلاج، ويحسن عمل جدول يدون فيه كل المناشط التي يقوم بها يوميًا وبالتفصيل لمدة أسبوع، مع تدوين الزمن الذي يستغرقه كل منشط، ومدى تناسب الزمن مع المنشط، وسيظهر له إن كانت هناك أزمنة مهدرة أم لا، ثم يبحث عن سبب الهدر إن وجد وطريق العلاج.

٢- تحديد وقت ذروة النشاط، بأن يتعرف المسلم على منحنى نشاطه، إذ كثير من الناس يعظم نشاطهم في الصباح، وبعضهم يعظم نشاطه في المساء، وإذا تعرف المسلم على منحنى نشاطه، وجدد وقت ذروة نشاطه أمكنه تنظيم المناشط التي يقوم بها وفق ذلك، فيجعل المناشط الأهم في وقت الذورة، ويؤجل المناشط العادية أو التي لا تحتاج إلى جهد عقلي إلى وقت الفتور أو التراخي.

٣- تخطيط الوقت، ويكون ذلك عن طريق حصر الأهداف المطلوب تحقيقها، وتحديد الأساليب والوسائل الموصلة لهذه الأهداف، والزمن اللازم لذلك، وتاريخ البدء بالتنفيذ، ولا بأس أن تتضمن الخطة عدة مستويات، سنوية- شهرية- أسبوعية- يومية، وأن تكون مكتوبة، وفي متناول اليد، وألا يستغرق إعدادها فوق ما تستحق من وقت ومجهود، وأن يوضع في الاعتبار الظروف المحيطة، والعقبات والمعوقات، وسبيل تجاوز هذه العقبات والمعوقات، وأن تغطي الطموحات، وأن تكون قابلة للقياس، وأن يقدم فيها الأهم فالمهم.

٤- ترتيب وتنسيق مكان العمل، ذلك أن ترتيب وتنسيق مكان العمل لن يساعد فقط على توفير الوقت بل سيساعد كلك على إنجاز العمل بهدوء، ودون انقطاع، وهذا يتطلب:

أ- وضع كل شيء في مكانه مع ترك فراغات كافية بين محتويات المكان تسمح بحرية الحركة، ثم الحرص على نظافة المكان، وعدم وضع شيء على الأرض.

ب- لا يوضع شيء على المكتب إلا ما يحتاج إليه الآن، أو خلال اليوم نفسه، بحيث تترك مساحة كبيرة على المكتب للاستخدام الشخصي، وماعدا ذلك يكون في مكانه الخاص، أو في سلة المهملات إن لم تكن هناك حاجة إليه.

جـ- المحافظة على وجود إضاءة جيدة فوق المكتب.

د- التأكد من ترتيب المكتبة إن وجدت، مع تصنيف الكتب حسب موضوعها، ومع جعل مكان خاص للكتب ذات الاستخدام الأكثر.

هـ- توضع الأدوات مرتبة في أماكنها بحيث يكون لكل منها مكان خاص.

٥- تنفيذ الخطة هو المحك العملي الذي ينتقل به المرء من العشوائية إلى الحياة العملية المنظمة، وهذا يحتاج إلى البدء الفوري، وعدم التسويف، إذ هذه هي القوة الحقيقية، والعزيمة الصادقة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«من القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد» (٧).

٦- المتابعة: وهي مقارنة ما سبق تخطيطه بما تم تنفيذه، وإنجازه للوقوف على السلبيات، والبحث عن طريق العلاج والخلاص، ولابد أن تكون فورية، ومستمرة دون القطاع، ولا تأخذ فوق ما

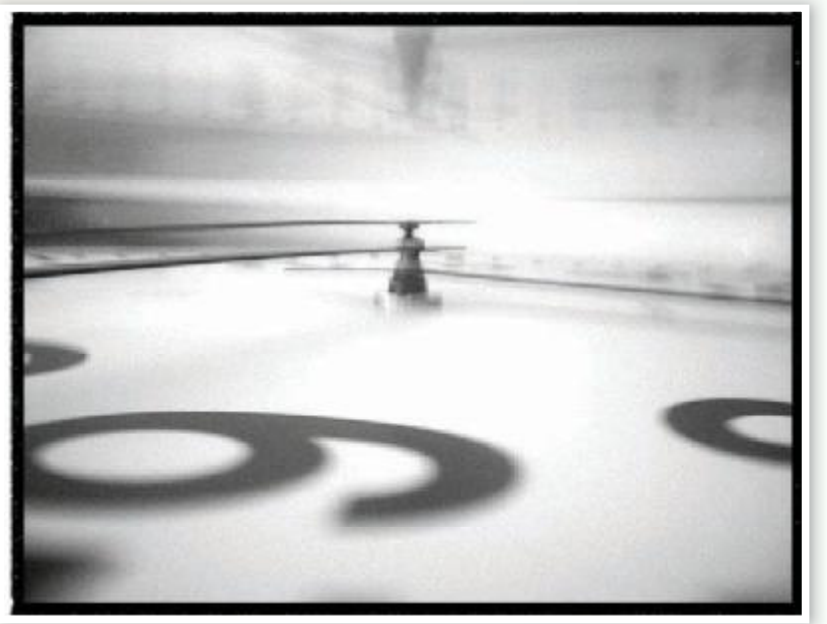

تسنحق من وقت وجهد ومرونة وواقعية، وهذه نماذج أو صور استغلال الوقت أحسن استغلال يمكن محاكاتها، والنسج على منوالها.

هذا الحافظ العلامة أبوالفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) يقول عن نفسه: «وإني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأني وقعت على كنز، فلو قلت إني قد طالعت عشرين ألف مجلد ما كان أكثر، وأنا بعد في طلب الكتب، فاستفدت بالنظر فيها ملاحظة سير القوم، قدر هممهم، وحفظهم، وعاداتهم، وغرائب لا يعرفها من لم يطالع» (٨)، وكانت له تجربة رائعة مع عقبات، ومعوقات تضييع الوقت إذ يقول:

«لقد رأيت خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس، ويجرون معه أحاديث الناس، وما لا يعني، ويتخلله غيبة، وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوق إليه واستوحش

الحسن البصري: يابن آدم أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك

من الوحدة، خصوصًا في أيام التهاني، والأعياد، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزحون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان، فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهازه بفعل الخير، كرهت ذلك وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان، فصرت أدافع اللقاء جهدي، فإذا غلبت قصرت في الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالًا لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغًا، فجعلت من المعد للقائهم قطع الكاغد- الورق- وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لابد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي» (٩).

وهذا عمر بن عبدالعزيز تصفه زوجته فاطمة بنت عبدالملك فتقول: «ما رأيت أحد أكثر صلاة، ولا صيامًا منه، ولا أشد فرقًا من ربه منه، كان يصلي العشاء، ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه، فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه، ولقد كان معي في الفراش، فيذكر الشيء من أمر الآخرة، فينفض كما ينتفض العصفور من الماء، ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف» (١٠).

الهوامش

١- انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ص٥٦ وفيات ١٠١ - ١٢٠هـ.
٢-أورده السيوطي في جمع الجوامع بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: «أخرجه البيهقي في الشعب عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس مرسلًا، والديلمي عنه، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس.
٣-انظر: قيمة الزمن عند العلماء للشيخ عبدالفتاح أبي غدة ص١٢٢- ١٢٣.
٤-الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الرقاق: باب ما جاء في الرقاق والأعيش إلا عيش الآخرة ١٠٩/٨ من حديث ابن عباس مرفوعًا بهذا اللفظ.
٥- انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٢٣٠/١١.
٦- الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب صفة القيامة: باب في القيامة ٦١٢/٤ رقم ٢٤١٧ من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعًا به، وقال عقيبة: «حديث حسن صحيح».
٧-انظر: سوانح وتأملات في قيمة الزمن لخلدون الأحدب ص٣٦-٣٧.
٨-انظر: سوانح وتأملات في قيمة الزمن لخلدون الأحدب ص٣٦-٣٧.
٩-انظر: سوانح وتأملات في قيمة الزمن لخلدون الأحدب ص٣٦-٣٧.
١٠-انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٤/٩.

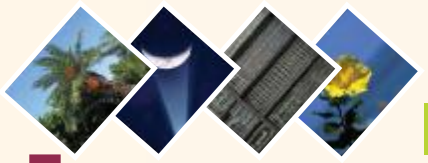

عشر قواعد لإدارة الوقت الناجح

الوقت من ذهب.. كيف تستثمره؟!

ليلى محمد محمد

يقول المثل الشائع عالميًا «الوقت من ذهب»، فهل يمكن شراؤه؟! حيث يشير بعض المراقبين إلى أن نحو ٤٣٪ من العاملين في الدول الصناعية يشكون عدم كفاية الوقت المتاح لهم لأداء مهامهم الوظيفية وضخامة الأعمال الموكلة إليهم.

من ناحية أخرى، نجد الأشخاص الناجحين، الذين يعد نجاحهم متمثلاً في قدرتهم على السيطرة على الوقت وعدم ترك الوقت يسيطر عليهم، يقومون بأداء أعمالهم على الوجه الأكمل.. ليس هذا فقط ولكنهم يجدون الوقت الكافي لممارسة أنشطتهم الرياضية أو السفر لقضاء العطلات.

وانطلاقًا مما تقدم فثمة حقائق لابد أن تؤخذ في الاعتبار:

أولاً: أن الوقت لا يشترى فلا أحد يستطيع شراءه، لأنه موزع على الجميع ولكلٍّ نصيب منه. ولا تأتي ظواهر عدم المساواة إلا لفشل البعض في اتباع الأسس السليمة لإدارة الوقت، بل إن البعض منا قد يتفنن في كيفية إضاعة الوقت وإهداره.

ثانيًا: إن الوقت لا يدخر، وذلك لأن الزمن يجري دون توقف وليس هناك من يستطيع إيقافه أو إيداعه في أحد المصارف.

ثالثًا: إن الزمن لا يمكن إيقافه والوقت المهدر غير قابل للاستعادة وذلك- مع الأسف- قانون الحياة الذي يحكم الجميع.

هناك خمس بدهيات ضرورية لابد من الالتزام بها لكل من يحاول إدارة وقته، وهي:

الأولى: «عادة استخدام الوقت»، إذ ان استخدامنا للوقت هو عادة طبيعية وممارسة يومية.

الثانية: «تحديد الأهداف المطلوبة»: فالوقت المتاح لنا موزع على اهتمامات شتى متعلقة بكل واحد منا وبالجو المحيط به وظيفيًا واجتماعيًا وروحيًا، ولكل منها مساحتها الخاصة بها ويجب ألا يطغى زمن

إحداهما على غيرها.

الثالثة: «تصنيف الأولويات»: إذ لا يمكنك الاستمرار في تأجيل التعامل مع قضاياك، وإلا ستجد نفسك غارقًا في هموم صنعتها بنفسك، ومثال ذلك: تأجيل البت في الأوراق والمراسلات داخل محيط عملك، مما يؤدي إلى ظهور جبل من الأوراق فوق طاولتك، فتحاول الاقلال منها، إلا أنك ستصادف صعوبات شديدة، وستجد نفسك غارقًا في ورطة كبيرة، إذ كلما طلبت منك ورقة ستبدأ في رحلة مضنية للبحث عنها بين جبل الأوراق هذا، ثم ستحاول أن تفعل ما وسعك تجاهها وستصادفك بخصوصها صعوبات ولوم من محيطك الوظيفي.

إن وقوعك في هذه الورطة ما كان ليتم لو أنك عالجت أوراقك بسرعة وذكاء، فكان باستطاعتك تنظيم أوراقك وتقسيمها إلى نوعين: يحوي الأول تلك الأوراق التي تحتاج إلى اتخاذ قرار فوري بخصوصها، وهذه عليك التصرف نحوها بسرعة أكبر، والثاني: تلك الأوراق التي تتطلب منك قراءة أو إجابة أو حفظًا في الملفات، وهذه لابد من توزيعها سريعًا إلى أوراق من أجل الحفظ، وأخرى يجب أن يطلع عليها زملاؤك ومرؤوسوك، حذار من تركها هكذا، إذ إنها ستؤدي إلى إضعاف تركيزك في الوصول إلى الهدف الذي تسعى إليه، ثم إنك كلما حاولت إنجاز مهمة ما، ستغوص في رحلة مضنية بين تلك الأوراق، وستجد نفسك مضطرًا شيئًا فشيئًا للقبول بهذا الضغط، وسيصبح التأجيل عنوانًا واضحًا لعملك، مقابل ذلك، وكي تكون ناجحًا في محيطك العلمي، حاول- ما استطعت- التخلص من كل الأوراق- الصادرة والواردة- الموجودة فوق سطح طاولتك بأسرع وقت ممكن، لكن لا تضعها في درج واحد بل وزعها ورتبها وفق أهميتها ونوعها على أدراج طاولتك واتجه نحو الإجابة عليها والتصرف سريعًا معها.

الرابعة: «عنصر الاتصالات»: إذ كثيرًا ما تتجه أصابع الاتهام نحو عنصر الاتصالات

كاتبة صحافية

كمثبط ضد نجاح المؤسسة، فيما يشير الآخرون إلى بطء الاتصالات وعجزها تحت عنوان «إنه الروتين»، إن اعتماد نظام اتصالات مرن وفاعل هو السبب الأول في نجاح المؤسسة، وهو أمر لابد من تطبيقه بذكاء في المستويات الادارية شتى كي يستطيع الجميع إنجاز المهام المطلوبة منهم.

الخامسة: «التأجيل»: وهو عقبة كأداء جاهزة في أي لحظة لبعثرة ما خططت للقيام به، إذ غالبًا ما نضع جدولًا للأعمال وأهدافًا مطلوبة وبرامج طموحة، لكن كل هذا لا جدوى منه إذا لم ينفذ فعلًا.. وللتأجيل أسباب ثلاثة هي:

١- عدم الرضى والتعامل مع المهام غير السارة.

٢- وجود صعوبة في العمل.

٣- التردد وعدم القدرة على اتخاذ القرار خوفًا من النتائج غير المرضية.

إن التأجيل سبب حاسم في إضاعة الوقت، أضف إلى ذلك أن العديد منا ينظر كل حين إلى عقارب ساعته على أمل أن تصل إلى تلك الوضعية المفرحة التي تشعره بوصول لحظة مغادرة موقع العمل، فينطلق مسرعًا خارج المكتب، ويبدأ بتسويغ تأجيل تنفيذ بعض مهامه تحت شكوى ضغط العمل وتذمره من مديره وزملائه ومرؤوسية، إضافة إلىضيق الوقت المتاح له!

إن أفضل سبيل لتجنب التأجيل هو توضيح أهداف العمل واعتماد مبدأ التخطيط اليومي وكتابة تفاصيل الأعمال اليومية، وإنجاز المهام المطلوبة أولًا بأول.

ضياع الوقت

يوجد عدد من الأسباب لقلة ونقصان الوقت وأسباب ضياع الوقت منها: الاضطرابات وهي إما خارجية أو ذاتية، وبتحليل الحالة الذاتية أولًا يمكن عندها تحديد الأوقات الضائعة والمفقودة.

عوامل الاضطرابات الخارجية لضياع الوقت

-التوقف والانقطاع بسبب الرؤساء أو

الزملاء.

-التنسيق غير الكامل أو المعلومات غير الوافية.

-الإكثار من المحادثات والمؤتمرات غير الضرورية أو سيئة التحضير.

-معوقات غير مرئية.

-ضجيج أو جو بيئي غير مريح في مكان العمل.

- عوامل الاضطرابات الداخلية لضياع الوقت:

عدم وجود هدف.

تنظيم ذاتي غير كاف.

نقص في الدوافع الذاتية.

عدم القدرة على قول لا.

البدء بمهام وعدم إكمالها.

تأجيل الأعمال غير السارة.

المغالاة ضد التناغم الذاتي.

كيفية الاستفادة من الوقت وإدارته

إن فن إدارة الوقت لا يمكن اكتسابه عبر الدراسة في الأكاديميات، ولكنه حصيلة لتجارب عديدة قام بها أفراد على نماذج مختلفة من البشر والمؤسسات، ونعرض هنا لبعض مظاهر الإدارة السيئة للوقت:

-الشعور الدائم بضخامة وجسامة أعباء العمل الذي يأخذ شكل عمل إضافي في العضلات.

-امتداد فترة الدوام العادي إلى أكثر من ٥٥ ساعة أسبوعيًا.

-العجز عن الالتزام بالمواعيد الضرورية.

- معالجة الموضوعات بشكل سطحي دون النفاذ إلى أعماقها وأسرارها.

- اتخاذ قرارات مستعجلة على الرغم من المخاطر التي قد تترتب عليها.

- عدم إعطاء العاملين بعض الصلاحيات وذلك لضعف الإدراك والإحساس بأهمية تشجيع المبادرة الحرة والخلاقة.

- المراهنة على المكاسب القريبة عوضًا عن المكاسب طويلة الأجل، فيما يسمى بسياسة إطفاء الحرائق، أي إدارة الأزمة بدلًا من وضع خطط طويلة الأجل تمنع حدوثها.

- فقدان السيطرة على مجمل المهام والواجبات الفرعية التابعة لها.

- تزايد الضغوط النفسية والعصبية.

- إهمال الحياة العائلية والعلاقات مع الأصدقاء.

ولكي تتضح الصورة أكثر فقد قام الباحثون في مجال العلوم الإدارية وعلم النفس الاجتماعي والطب المهني بعمل استطلاع للرأي روعي فيه الاستجابة لاحتياجات جميع الوظائف والمهن والتخصصات، وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة يمكن من خلالها لكل شخص القيام بإجراء تقويم ذاتي لأدائه الوظيفي، وإليكم جانبًا من تلك الأسئلة:

- هل حددت بشكل واضح الأهداف التي تنوي تحقيقها أثناء حياتك؟

- هل لديك أهداف قصيرة الأجل أي خلال الأشهر الستة المقبلة؟

- ما الأشياء الملموسة التي أنجزتها توًا؟ وما تأثيرها المباشر أو غير المباشر على مجمل خططك؟

- هل لديك برنامج واضح لما تنوي إنجازه في الأسبوع المقبل؟

- هل تعرف بدقة ذلك الجزء من اليوم الذي يكون فيه معدل إنتاجك أعلى من بقية أجزاء اليوم؟

- خلال أي ساعة من ساعات النهار

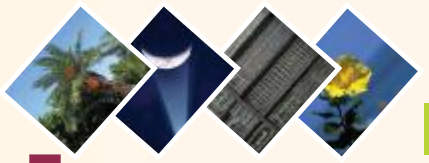

تنجز المهام الأكثر إلحاحًا وأولوية؟

-هل تقيم أداءك حسب الأهداف المحققة؟ أم حسب حجم الواجبات الوظيفية؟

- هل تحدد الأولويات على أساس الأهمية أم كيفما اتفق؟

- هل تمنع مرؤوسيك من الاتصال بمن هم أرفع منهم وظيفة؟

- هل تكلفهم بالأعمال الروتينية أم ببعض الأمور المهمة؟

- هل تعرف جيدًا حدود الصلاحيات والمسؤوليات التي تنطوي عليها عملية التكليف؟

- هل اتخذت أي إجراء تجاه المطبوعات والتقارير غير المفيدة المتراكمة على مكتبك؟

- هل تراجع الملفات لإزالة كل المستندات والمعلومات غير المجدية؟

- هل تستطيع إدارة الاجتماعات بشكل ناجح؟

- هل تستخدم الهاتف بشكل فعال لإنجاز المهام دون الرجوع للوثائق إلا نادرًا؟

- هل تستغل وقت الانتقال من البيت إلى المكتب وبالعكس بصورة فعالة؟

وبعد إجابتك عن هذه الأسئلة تستطيع أن تعرف، هل أنت سيد وقتك؟ وهل تستفيد منه إلى أقصى درجة ممكنة؟ أم إن إدارتك لوقتك تحتاج إلى تغيير وإعادة نظر؟

ومع ذلك إليك بعض الملاحظات المفيدة في إدارة الوقت:

- تحكم في استثمار الوقت المتاح لك.

- حاول أن تكون صبورًا، كلما كان مطلوبًا منك اتخاذ قرار ما، لأن من أحد أهم أسباب نجاح الإدارة اليابانية هو «التفكير بصبر أكثر والتنفيذ بسرعة أكبر».

- تعلم أداء مهامك بنجاح.

- اعتمد على تفويض المهام، وحاول إيجاد نظام اتصالات فعال، وحاول أيضًا اختيار نوع الاجتماعات حيث إن هناك الكثير من أنواع الاجتماعات التي تكون سببًا في ضياع الوقت، وخاصة أن الاجتماعات الروتينية لا فائدة ترجى منها.

- حاول فرز البريد وفق أهميته، وركز انتباهك على التعامل مع البريد الأكثر

الزمن لا يمكن إيقافه والوقت المهدر غير قابل للاستعادة

أهمية، وفوض أحد مساعديك أو مرؤوسيك في الرد على البريد الآخر.

- لا تستقبل جميع الزوار، حاول أن تنقيد بجدول خاص بالمواعيد وفي حال الضرورة، أن تستقبله داخل المكتب، أن تقول له: لدي اجتماع ومرتبط بأعمال ولكن لا مانع لبضع دقائق، ومحاولة وضع كتب وأوراق على أماكن الجلوس في مكتبك، لكي لاتشجع الآخرين على الجلوس.

-استخدام الاستراحة لفترة محددة، ومحاولة اختصار المكالمات الهاتفية لأن استخدام الهاتف سيدفعك فيمابعد إلى بعثرة ساعات من الوقت الضائع، بهدف محو سوء الفهم الذي حدث أثناء المكالمة الهاتفية.

عشر قواعد لإدارة الوقت الناجح

- تحليل ذاتي للوقت وتحديد الأوقات الضائعة.

- صياغة الرغبات، وتحديد وتثبيت الأهداف الخاصة والمهنية بشكل واضح وتوزيع الخطة، البرنامج الزمني، على أهداف طويلة- متوسطة وقصيرة الأجل.

- ضع أولوياتك ونظم قائمة بترتيب نشاطاتك.

- خطط كل شيء خطيًا، ونظم برنامجًا منطقيًا محددًا لكافة نشاطاتك، واستخدم لذلك مذكرة خاصة لتخطيط الوقت.

- نسق خططك اليومية مع ذروة إنجازك، منحنى إنجازك، وتناغمك وتواترك اليومي.

- خطط يوميًا بحيث يتضمن برنامجك اليومي وقتًا احتياطيًا للطوارئ وللأشياء والأحداث غير المتوقعة، أو للنشاطات التي تحتاج لوقت أطول مما هو مخطط.

- أنجز المهام الصعبة أو غير المحببة والسارة أولاً ويستحسن في أثناء قمة إنجازك.

- أكمل المهمة التي بدأتها قبل الشروع للبدء في مهمة جديدة.

- اختر الأوقات الخالية من الاضطرابات بحيث تتمكن من التركيز على المهام الهامة.

- حيثما أمكن، جرب أن تبسط روتين العمل، ووزع العمل كرئيس على مرؤوسيك قدر الإمكان.

خاتمة

إن الاهتمام بالوقت يعني الاهتمام بالأساسيات والأولويات في العمل، وتستطيع أن تقيّم أي فرد أو مجموعة أو جهة من خلال العناية الفائقة بالوقت، لأن تلك العناية إنما تعني الإخلاص ومثالية الأداء وحسن التخطيط المالي والبشري والإدارة، فلماذا لا تحاول أن تبحث عن أنسب طريقة ممكنة لتمضية ساعاتك، واستثمار وقتك بنجاح، والله من وراء القصد.

المراجع

١-محمد المدني البخاري: أفكار رئيسية في إدارة الوقت (طرابلس) الدار الجماهيرية للنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢- الدكتور نادر أحمد أبو شيخة: إدارة الوقت- دار مجد لاوي عام١٩٩١م.

٣- سهيل فهد سلامة: إدارة الوقت (عمان) المنظمة العربية للعلوم الإدارية ١٩٨٨م.

٤- تيمب دايل: إدارة الوقت، ترجمة: د.وليد عبداللطيف هوانة، معهد الإدارة العامة، ١٩٩١م - الرياض- المملكة العربية السعودية.

٥- بيترز، دوم، ثورة في عالم الإدارة: كيف نتغلب إداريًا على الفوضى؟ ترجمة: محمد الحديدي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، القاهرة- مصر.

٦-ويهلين، توماس، الإدارة الاستراتيجية، ترجمة: محمود عبدالحميد مرسي وآخرين، معهد الإدارة العامة، ١٩٩٠، الرياض- المملكة العربية السعودية.

٧- مجلة:الشبكات، العددان ٢٨-٢٩- دمشق ١٩٩٩، إدارة الوقت، إعداد: المهندس معن عقل.

الزمن في الشعر العربي

عامر أحمد عامر

ليس ثمّ شيء من الغرابة أن يحضر الحديث عن الزمن (ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا) في شعرنا العربي، بله في الأدب العربي كله، ذلك أن قضيته ما برحت تؤرق الأنام، فضلًا عن الأدباء والشعراء أصحاب الحس المرهف والعيون المبصرة لما لا يراه غيرهم، ولما كان الأدب الصادق مرآة تعكس ما في نفس صاحبها كان الحديث عن الأعمار والآجال والأزمنة الغابرة والذكريات الخالدة واستشرافات المستقبل يشغل مساحة لا بأس بها فيه.

الحديث عن الزمن في الشعر العربي عبر مراحله المختلفة تقولب في أشكال عدة وسلك مسالك شتى، منها الحديث عن الزمن الماضي، وتمثل في بكاء الأطلال والتغني بأجمل الذكريات، والحسرة والندم على ما مر من عمر الشباب دون بلوغ المراد، أو إحساس الشاعر بأنه أنفق من عمره في اللهو والضياع.

بلغ هذا الملمح في الشعر مبلغًا عظيمًا، لاسيما في الشعر الجاهلي، إذ كان بكاء الأطلال والحسرة على ما قد كان في الأيام الخوالي ركنًا ثابتًا في بناء القصيدة في الجاهلية، فهذا امرؤ القيس مثلًا يستهل خالدته به:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهذا طرفة بن العبد يستهل معلقته به أيضًا فيقول:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وليس ذلك بالخفي ولا بالقليل ولا يحتاج إلى جهد كبير للتنقيب عنه، سواء في العصر الجاهلي أو فيما جاء بعده، وإن كان بصورة أقل في العصور المتأخرة.

أما الحديث عن الشباب والشيب فقد كان حاضرًا بقوة في مراحل الشعر العربي المختلفة دون تمييز بينها، لاسيما في شعر الحكمة والشعر الديني، ولعل أول ما يقفز إلى الذهن في هذا الصدد الشعر المنسوب إلى أبي العتاهية:

ألا ليت الشباب يعود يومًا
فأخبره بما فعل المشيب

الزمن تمثل في الشعر في بكاء الأطلال والتغني بالذكريات والتحسر على الشباب

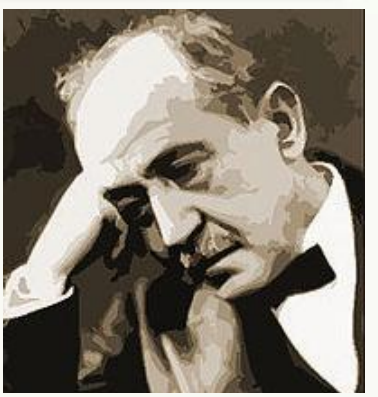

وهذا البوصيري صاحب البردة الشهيرة في مدح الرسول ﷺ والذي استهل بردته أيضًا بالحديث عن الأطلال والذكريات القديمة:

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم

يقول عن الشيب:

فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم
ولا أعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألمّ برأسي غير محتشم

«وجميل رأي ابن الفارض في الشيب، إذ يقول:

أهلًا وسهلًا بالمشيب فإنه
سمة العفيف وحلية المتحرج
ضيف ألمّ برأسي فقريته
رفض الغواية واقتصاد المنهج

ومنهم من استعجله كابن دقيق العيد، وهو خير من تحدث في الشيب إذ قال:

تمنيت أن الشيب جاور لمتي
وقرب مني في صباي مزاره

باحث لغوي

لآخذ من عصر الشباب نشاطه
وآخذ من عصر المشيب وقاره»(١).

ومن صور الحديث عن الزمن في الشعر العربي ما جاء من الكلام عن الزمن الحاضر، وذلك إما بالسآمة منه وتمني انقضائه عاجلًا أو العكس، ومن أشهر ما جاء في النوع الأول قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازًا ونآء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ومن النوع الثاني قول الشاعر:

يا ليل طل يا نوم زل
يا صبح قف لا تطلع

ومن ذلك (الحديث عن الزمن الحاضر) ما يخاطب به أبوالطيب المتنبي يومًا يمر به من المفترض أن يكون من أسعد الأيام، وهو يوم العيد، إلا أنه يراه غير ذلك، فلا يتمنى مجيئه، بل يطلب أن تحول بينهما صحار شاسعة، ذلك

الحديث عن الزمن في آداب العرب..ظاهرة تتطلب دراسات كاملة لأنه متشعب الفروع متعدد الأنماط متفرق الزوايا

أنه يذكره بأحبابه الذين من المفترض أن يكونوا معه فيه:

عِيدٌ بأيَّة حال عُدْتَ يا عيدُ
بِمَا مضى أمْ لأمر فيكَ تجديدُ
أمّا الأحبةُ فالبيداءُ دُونَهُمُ
فليتَ دُونَكَ بيدًا دونها بيدُ

ومن صور الحديث عن الوقت الكلام عن قيمته وأهميته، ولعل أشهر ما جاء في هذا قول أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته في رثاء مصطفى كامل التي مطلعها:

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما في مأتم والداني:
دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثانِ

وختامًا فإن الحديث عن الزمن في آداب العرب، شعرًا ونثرًا، ظاهرة يستغرق الحديث عنها دراسات كاملة، لأنه متشعب الفروع، متعدد الأنماط، متفرق الزوايا، مختلف بالطبع عند كل شاعر أو أديب عن غيره، وبالتالي تتعدد حوله الفلسفات والرؤى، وتختلف النظرة إليه باختلاف البيئات والعقائد والمذاهب الفكرية، وقد أعدت بالفعل دراسات حول هذا الغرض غير أن القضية مازالت ظمأى إلى المزيد، من هذه الدراسات قضية الزمن في الشعر العربي.. الشباب والمشيب للدكتورة فاطمة محجوب، والزمن في الشعر السعودي بين عامي ١٤٠٠هـ-١٤٢٠هـ.. دراسة تحليلية، وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب إعداد أسماء بنت عبدالعزيز بن محمد الجنوبي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الهوامش

(١) كتاب أطايب الكلام لحمد عيسى الكندري صـ٢٧ و٢٨

صناعة الساعات عند المسلمين

جميل حسين الأحمد

اهتم المسلمون بالساعات لأجل تحديد أوقات الصلاة والأعمال الفلكية وغيرها منذ بداية الدولة الإسلامية فقد ذكر الجاحظ أن حكام المسلمين وعلماءهم كانوا يستعملون بالنهار الإسطرلاب وبالليل البنكامات (مصطلح فارسي معناه الساعات) وهي الساعة المائية الدقاقة وكان هناك نوعان منها نوع كبير الحجم وتملأ معداته غرفة كبيرة والآخر صغير قابل للنقل ويسمى صندوق الساعات ومثال ذلك الساعة التي أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا (٧٤٢-٨١٤م) وهي ساعة مائية دقاقة صنعت من الجلد والنحاس الأصفر المنقوش وكانت تدل على الوقت بفرسان من المعدن يفتحون كل ساعة بابًا يسقط منه العدد المطلوب من الكرات على صنجة ثم ينسحبون ويغلقون الباب وقد أثارت هذه الساعة دهشة بلاط شارلمان وظنوا أن بها عفاريت يقومون بتحريك أجزائها وجعلها تدق في الوقت المناسب مما يدل على أن العرب كانوا على جانب كبير من المهارة الآلية الفنية وأن الأوروبيين كانوا على جانب كبير من الجهل والتخلف في ذلك الوقت ووصف الغزالي هذه الساعات بقوله «فيه آلة على شكل أسطوانة تحوي قدرًا معلومًا من الماء وآلة أخرى مجوفة موضوعة في هذه الأسطوانة فوق الماء، وخيط مشدود أحد طرفيه في هذه الآلة المجوف وطرفه الآخر في أسفل ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحته طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم ثقب أسفل الآلة الأسطوانية ثقبًا بقدر معلوم ينزل الماء فيه قليلًا قليلًا فإذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الظرف الذي فيه الكرة تحريكًا يقربه من الانتكاس إلى أن ينتكس فتتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطن وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة وإنما يتقدر الفصل بين الوقتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء».

شاع استخدام الساعات المائية الدقاقة في كل أنحاء الدولة الإسلامية وكانت من عجائب الدنيا في ذلك الوقت وكانت مقصد الزوار والرحالة وقد وصف ابن جبير ساعة باب جيرون وهو الباب الثاني للمسجد الأموي بدمشق والذي سمي «باب الساعات» فقال: «وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طارق كبير مستدير فيه طيقان (أقواس) صفر (نحاس) فقد فتحت أبوابًا صغارًا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرًا هندسيًا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان (كرتان) من صفر (نحاس) من فمي بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما: إحداهما تحت

هارون الرشيد أهدى ملك فرنسا ساعة مائية دقاقة وظن بلاط الملك أن بها عفاريت يحركون أجزاءها!

أول باب من تلك الأبواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين (الكرتين) فيهما تعودان داخل الجدار إلى الغرفة وتبصر البازيين يمدان أعناقهما بالبندقتين في الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحرًا وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لها دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود إلى حالها الأول ولها بالليل تدبيرًا آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة، مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فإذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للأبصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الأبواب وصرف الصنج إلى موضعها وهي التي يسميها

كاتب صحافي

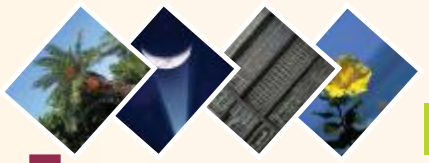

الناس المنجانة أي الساعة.

الجدير بالذكر أن هذه الساعة من صنع رضوان بن محمد الساعاتي المتوفى سنة (٦١٧ هـ) وقد تعرضت لحريق سنة (٦١٨ هـ) وقد جددت بعد ذلك وحينما زار دمشق الرحالة ابن بطوطة سنة (٧٢٦ هـ) وصف ساعات كانت على الباب الشرقي للجامع الأموي وقد اختلف وصف ابن بطوطة لتلك الساعات عن الوصف الذي ذكره ابن جبير فقال ابن بطوطة: وعن يمين الخارج من باب جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتحة لها أبواب على عدد ساعات النهار والأبواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فإذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهرًا والظاهر الأصفر باطنًا ويقال إن بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مشي الساعات.

ومن بين العلماء العرب الذين اهتموا بدارسة الساعات والمسائل العلمية المتعلقة بعلم السوائل والآلات الميكانيكية ابن الرزاز الجزري الذي ذاع صيته في القرن السادس الهجري وكان معاصرا لرضوان بن محمد الخراساني وصنع الجزري ساعة أثبتها في أول كتابه الجامع «بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» ثم ذكر كيفية صنعها هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الذين صنعوا ساعات في بغداد وديار بكر ومالطة ومصر وتونس والرباط وغيرها وقد صنع ساعة فاس السلطان أبوعنان الديني في سنة (٧٥٨ هـ) وكانت هذه الساعة تسقط أوتوماتيكيًا كل ساعة زمنية صنجة من النحاس في كأس من النحاس أيضًا وفي نفس الوقت ينفتح الطاق الدال على الساعة الزمنية.

ومازالت بقايا هذه الساعة ماثلة في مدينة فاس في المغرب ويقصدها السائحون من أنحاء الدنيا ولا غرو فقد كانت من أعاجيب الزمان في عصرها وتمثل قمة التقدم التكنولوجي في القرن الرابع عشر الميلادي.

وقد طور تكنولوجيا الساعات علي بن إبراهيم المعروف بابن الشاطر (٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م) فأخرجها من دائرة الماء إلى دائرة الميكانيكا ومن دائرة الخشب إلى دائرة المعدن وصنع ساعة صغيرة لا تزيد عن (٣٠ سم) بعد أن كانت تبلغ عدة أمتار وأدخل فيها الآلات المعدنية واستغنى عن الماء وآلاته الخشبية الكبيرة.

ونقل الفلكي والرياضي المصري علي بن عبدالرحمن يونس (٣٩٩ هـ/ ١٠٠٩ م) تكنولوجيا الساعات نقلة نوعية وذلك باختراعه البندول (رقاص الساعة) وكان يستعمل لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد كما استعمل في الساعات الدقاقة وسبق العربُ بهذا الاختراع جاليليو الإيطالي (١٥٦٤ – ١٦٤٢ م) بستة قرون وكانت لدى العرب فكرة عن قانون البندول الذي استنبطه جاليليو بعد تجارب عملية وأثبت من خلالها أن مدة ذبذبة الرقاص (البندول) تتوقف على طول الرقاص وقيمة عجلة التثاقل وساعد هذا القانون على توسيع مجال استعمالِ الرقاص.

وظل العرب يحسنون الساعات ويختصرون حجمها ويزيدون في دقتها حتى جعلوها ساعة حائط لا يزيد حجمها عن نصف ذراع بعد أن كانت آلات الساعة المائية غير المتنقلة تحتاج إلى غرفة لا تقل مساحتها عن ١٤×١٤ مترا مثل ساعة باب جيرون بالمسجد الأموي (وتعرف أيضًا بساعة الوزير الساعاتي نسبة إلى صانعها وهو رضوان بن محمد الساعاتي الخراساني الدمشقي (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) أحد وزراء دمشق أيام الملك عيسى بن الملك العادل).

ثم أخذ الأوروبيون تكنولوجيا الساعات عن العرب وأخذوا يدخلون عليها التحسينات حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن.

المراجع

- رضوان بن محمد الساعاتي: مقدمة في علم الساعات والعمل بها – تحقيق محمد أحمد دهمان مكتبة الدراسات الإسلامية ، دمشق ١٩٨١.
- رحلة ابن بطوطة – دار التراث – بيروت ١٩٦٨.
- رحلة ابن جبير – دار مكتبة الهلال – بيروت ١٩٨٦.
- كتاب الحيوان لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ – شرح عبدالسلام محمد هارون – مكتبة الحلبي.
- وتاريخ العلوم والتكنولوجيا – د.مصطفى محمود سليمان – الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٦.

حكم زواج المصلحة في ضوء المقاصد الشرعية للزواج

د. وصفي عاشور أبوزيد

زواج المصلحة هو نوع حديث من عقود الزواج قائم على قضاء المصالح فقط دون لقاء بين الزوجين، فلا يجمع الزوجين فيه بيتٌ واحد، ولا يتعاشران معاشرة الأزواج.

عُرف في بلاد الغرب، وليس الغرض منه أن يكون زواجًا مستقرًا كالزواج الذي نعرفه، وله صور عديدة منها:

الصورة الأولى: يتفق رجل وامرأة على عقد زواج مقابل مبلغ من المال يدفعه إليها، وقد يكون هذا المبلغ مقطوعًا أو موزعًا على سنوات- حسب الاتفاق- وذلك في مقابل أن تذهب معه إلى مصلحة شرطة الأجانب عند تجديد الإقامة كل سنة، إلى أن يحصل على الإقامة الرسمية، ومن ثم يفسخ العقد، وفي تلك الأثناء إما أن يعيش الرجل مع هذه المرأة عيشة الزوجين؛ فيضمهما بيت واحد يتعاشران فيه معاشرة الأزواج غير أنهما يتفقان على فسخ العقد عند حصول الزوج على الإقامة الرسمية، وهذا الاتفاق لا يصرح به طبعًا عند الجهة العاقدة، لأن القانون لا يسمح بذلك.

الصورة الثانية: لا يعيش الرجل مع المرأة التي عقد عليها أمام السلطات، ولا يخالطها ولا تخالطه، بل يتفقان على أن تذهب معه عند تجديد الإقامة كل سنة، كي تقول للسلطات إنها مرتبطة به كزوج، وتأخذ المبلغ المتفق عليه، ويذهب بعد ذلك كل واحد إلى حال سبيله، مع العلم بأن هذا اللون من ألوان الزواج قد يقدم عليه الرجل لأجل أن يحصل هو على الإقامة، وبالمقابل قد تفعله المرأة مع الرجل لتحصل على الإقامة، ويمكن أن يكون أحدهما غير مسلم، ويمكن أن يكون الاثنان مسلمين! وفي كل الأحوال فإنه خلال هذه المدة تكون الزوجة محسوبة على زوجها من الناحية القانونية، ويكون هو محسوبًا عليها من الناحية القانونية كذلك، ولو افترضنا أن هذه المرأة عاشرت رجلا آخر، وأنجبت منه، فإن المولود يسجل باسم الزوج المؤقت، ولو جاء هو يطالبها بحق المعاشرة الزوجية فإنها لا تستطيع أن تمتنع عن ذلك قانونًا، وخاصة إذا كانت هي المحتاجة إلى الإقامة.

وهذا العقد بصورتيه المذكورتين إنما يتم في البلدية كسائر العقود المدنية في هذا البلد، وقد يكون عقدًا شرعيًا بشروطه الشرعية المعتبرة، ولكن الجانبين لا يصرحان بذلك الاتفاق في صلب العقد، وإنما هو اتفاق بينهما بحضور بعض أفراد العائلتين: (عائلة الزوج، وعائلة الزوجة).

الصورة الثالثة: أن يتزوج الرجل المرأة بصداق، ولكنه مضمِرٌ في نفسه، ويصرح لأصدقائه وأقاربه أن غرضه ليس الزواج، وإنما هو الحصول على الإقامة، فمتى حصل على الإقامة طلق زوجته هذه، وهو لا يستطيع أن يصرح بهذا أمام المرأة، خوفًا من أن تطرده قبل الحصول على الإقامة .

آراء للفقهاء المعاصرين

اختلف الفقهاء المعاصرون في هذا الزواج بصوره المذكورة ما بين محلل ومحرم، وقد التزمنا بإيرادها؛ لأن المسألة معاصرة، وخاصة ببلاد الغرب، حيث لم ترد هذه الصور عند الفقهاء القدماء.

أولا: رأي المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

فصل المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث القول في الصور الثلاث، لأنه هو الذي أوردها، فقال:

الصورة الأولى: حرام يأثمان عليه؛ وذلك بسبب منافاة هذا العقد لمقصد الشريعة في الزواج، إذ هو عقد صوري مقصود به أمر آخر غير الزواج، فهو لو استوفى شروط العقد، فإنه لا يحل لهذا المعنى، وكذلك لأجل أن قانون البلاد لا يسمح به، يتأكد المنع بمجيء هذه الصورة مخالفة لقانون البلد، والقانون هنا متفق مع المقصد الشرعي، كما أن هذه الصورة

باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

لا تخلو من شبه بنكاح المتعة الذي حرمه النبي ﷺ كما في حديث سبرة بن معبد أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يأيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا» (١)، من جهة التوقيت الذي فيه إلى فترة الحصول على الإقامة ثم يفسخ العقد بعد ذلك.

والصورة الثانية: مثل الأولى في التحريم وفيها قضية مقطوع بحرمتها وهي زواج المسلمة بغير المسلم، فإن مجرد العقد فاسد، سواء للغاية المذكورة في السؤال، أو لمجرد الزواج.

وأما الصورة الثالثة: فالعقد وإن كانت صورته صحيحة، إلا أن الزوج آثم بغشه المرأة، وذلك لإضماره نية الطلاق من حين العقد، والزواج في الإسلام يعنى الديمومة والبقاء والاستقرار للحياة الزوجية، والطلاق طارئ بعد العقد، ولهذا السبب حرم الزواج المؤقت واعتبر فاسدًا.

كذلك فإن الإيجاب والقبول في الزواج شرطان أساسيان فيه، والمرأة حين قبلته زوجًا، فإنما كان مقصدها حقيقة الزواج ولو علمت أنه قبلها زوجة مؤقتة يطلقها متى شاء لرفضت ذلك، فإذا كان عازمًا الطلاق عند العقد أثر ذلك في صحة العقد، لأن المرأة بنت قبولها على غير ما أراد (٢).

ثانيًا: رأي الشيخ عبدالله بن بية

أما الشيخ عبدالله بن بية فقد نقل الحالات التي أوردها المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ونقل إجابة المجلس عليها، ثم عقب قائلا: «قلتُ: إن بطلان هذا العقد ليس

زواج المصلحة اشتهر في بلاد الغرب وليس الغرض منه أن يكون زواجًا مستقرًا

صحيحًا؛ فالزواج في الإسلام ليس مقصودًا منه الديمومة والبقاء، وإنما له قصود مختلفة ذكرها النبي ﷺ في قوله: «تنكح المرأة لأربع خصال لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها..» (٣) ولهذا فلا عبرة بقصد الطلاق عند النكاح لتحقق هذه القصود أو بعضها بالنكاح، ثم إن الزواج إذا وقع بشروطه فإنه زواج صحيح حتى ولو نوى عدم الاستمتاع بها»(٤) والذي تطمئن إليه النفس أن ما ورد في حديث أبي هريرة لا يعبر عن مقاصد الزواج، وإنما عن الأسباب التي تدعو الناس للزواج، وهو عرض من النبي ﷺ لأحوال الناس وعاداتهم في الخصال التي بسببها يكون الإقبال على اختيار الزوجة، ثم فيه إرشاد للظفر بذات الدين، أما مقاصد الزواج وغاياته فأمر مختلف عن هذا.

الرأي المختار

لمناقشة هذه المسألة وترجيح رأي فيها، فإنه يجب علينا أن نتحدث عن أمرين:

الأول: عرض موقف الفقهاء من مسألة الألفاظ والقصود عند التعاقد، وموقفهم من قاعدة: «العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني» إذ الزواج عقد من العقود.

الثاني: عرض مقاصد الشريعة من الزواج، ودور ذلك في الحكم على هذه المسألة.

أولا: آراء فقهاء المذاهب في معتمد العقود بين الألفاظ والمقاصد

اختلف الفقهاء في أثر القصود في صحة التصرفات والعقود، فمنهم من اعتبرها دون التفات إلى ظاهر الألفاظ والشروط والموانع، إذ إن الألفاظ موضوعة لمقاصدها ومعانيها، ومنهم من أهدرها ولم يعتبرها واكتفى بالظاهر فقط دون رعاية لمآلات العقود وتحقيق مضامينها ومعانيها.

فالحنفية يغلب عليهم الأخذ بظاهر الألفاظ في العقود، والأهم هو استجماع الشروط دون اعتبار للمعاني والقصود والبواعث، ومن هنا رأوا أن نكاح المحلل صحيح، قال السرخسي: «فإن تزوج بها الثاني على قصد أن يحللها للزوج الأول من غير أن يشترط ذلك في العقد صح النكاح ويثبت الحل للأول إذا دخل بها الثاني وفارقها، فإن شرط أن يحللها للأول فعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى. الجواب كذلك ويكره هذا الشرط، وعند أبي يوسف رحمه الله تعالى النكاح جائز ولكن لا تحل به للأول، وعند محمد رحمه الله تعالى النكاح فاسد» (٥).

ومن يبيع العصير لمن يتخذه للخمر أجازوا بيعه، قال السرخسي: «بيع الكرم ممن يتخذ الخمر من عينه جائز لا بأس به، وكذلك بيع الأرض ممن يغرس فيها كرمًا ليتخذ من عنبه الخمر، وهذا قول أبي حنيفة وهو القياس، وكره ذلك أبويوسف ومحمد- رحمهما الله- استحسانًا؛ لأن بيع العصير والعنب ممن يتخذه خمرًا إعانة على المعصية وتمكين منها، وذلك حرام» (٦).

وأما المالكية فإنهم يعتبرون البواعث والقصود في العقود، ويحكمون بحلها

أو حرمتها، أو بطلانها وصحتها، انطلاقًا من بواعثها ومقاصدها، ولا يتوقفون عند شروطها الظاهرة لنشوئها؛ ولهذا أبطلوا نكاح المحلل، قال ابن جزي: «ولا- أي لا يحل الزوجة- نكاحُ التيس، وهو المحلل الذي يتزوجها ليحلها لزوجها اتفاقًا، ونكاحه باطل مفسوخ خلافًا لهما- يعني أبا حنيفة والشافعي- والمعتبر في ذلك نية المحلل لا نية المرأة ولا نية المحلل له وقال قوم من نوى ذلك منهم أفسد» (٧).

وكذلك نكاح المريض والمريضة لا ينعقد، ولا يترتب عليه توارث بينهما، جاء في المدونة: «قلت: أرأيت المرأة تتزوج وهي مريضة أيجوز تزويجها أم لا؟ قال: لا يجوز تزويجها عند مالك، قال: فإن تزوجها ودخل بها الزوج وهي مريضة؟ قال: إن ماتت كان لها الصداق إن كان مسها، ولا ميراث له منها، وإن مات هو وقد مسها فلها الصداق ولا ميراث لها، وإن كان لم يمسها فلا صداق لها ولا ميراث» (٨).

وأما الشافعية فإنهم يعتمدون الظاهر دون النظر للمعاني في العقود، قال الإمام الشافعي: «أصل ما أذهب إليه أن كل عقد كان صحيحًا في الظاهر لم أبطله بتهمة ولا بعادة بين المتبايعين، وأجزته بصحة الظاهر، وأكره لهما النية إذا كانت النية لو أظهرت كانت تفسد البيع».

ويضرب لذلك أمثلة فيقول: «كما أكره للرجل أن يشتري السيف على أن يقتل به ولا يحرم على بائعه أن يبيعه ممن يراه أنه يقتل به ظلمًا؛ لأنه قد لا يقتل به، ولا أفسد عليه هذا البيع، وكما أكره للرجل أن يبيع العنب ممن يراه أنه يعصره خمرًا، ولا أفسد البيع إذا باعه إياه؛ لأنه باعه حلالا، وقد يمكن أن لا يجعله خمرًا أبدا، وفي صاحب السيف ألا يقتل به أحدًا أبدًا، وكما أفسد نكاح المتعة ولو نكح رجل امرأة عقدًا صحيحًا وهو ينوي ألا يمسكها إلا يومًا أو أقل أو أكثر لم أفسد النكاح، إنما أفسده أبدًا بالعقد الفاسد» (٩).

وأما الحنابلة فإنهم يعتبرون البواعث والمقاصد في العقود، ولهذا حرموا نكاح المحلل، قال ابن قدامة: «نكاح المحلل حرام باطل في قول عامة أهل العلم، منهم: الحسن والنخعي وقتادة ومالك والليث والثوري وابن المبارك والشافعي، فإن شرط عليه التحليل قبل العقد ولم يذكره في العقد ونواه في العقد أو نوى التحليل من غير شرط، فالنكاح باطل أيضًا» (١٠).

وقال في كشاف القناع عبارة صريحة واضحة: «لا يصح نكاح المحلل؛ لأنه ليس المقصود منه بقاء المرأة مع زوجها، والعقد لا يقصد به نقيض مقصوده» (١١).

وأما الظاهرية فمذهبهم مثل الشافعية، حيث يهدرون القصود في العقود ويقيمونها على ظاهرها؛ إذ إنهم يتركون الرأي والقياس، ويتوقفون عند ظواهر النصوص؛ ولهذا أباحوا نكاح المحلل وغيره، قال ابن حزم: «والذي نقول به- وبالله تعالى التوفيق-: إن كل نكاح انعقد سالمًا مما يفسده، ولم يشترط فيه التحليل والطلاق فهو نكاح صحيح تام لا يفسخ، وسواء اشترط ذلك عليه قبل العقد أو لم يشترط؛ لأن كل ناكح لمطلقة ثلاثًا فهو محلل ولا بد، فالتحليل المحرم هنا هو ما انعقد عقدًا غير صحيح، وأما إذا عقد النكاح على شرط التحليل ثم الطلاق فهو عقد فاسد، ونكاح فاسد، فإن وطئ فيه فإن كان عالمًا أن ذلك لا يحل فعليه الرجم والحد؛ لأنه زنا، وعليها إن كانت عالمة مثل ذلك، ولا يلحق الولد، فإن كان جاهلًا فلا حد عليه ولا صداق، والولد لاحق، وبالله تعالى التوفيق، وهكذا القول في كل عقد فاسد بالشغار، والمتعة، والعقد بشرط ليس في كتاب الله تعالى، أي شرط كان، وبالله تعالى التوفيق» (١٢).

يتبين من ذلك أن الحنفية والشافعية والظاهرية لا يعتبرون البواعث والقصود في العقود، وإنما يحكمون بالصحة على العقد بناء على ظاهر ألفاظه واستجماع شروطه وانتفاء موانعه، أما المالكية والحنابلة فإن مبنى الأمر عندهم على النيات والبواعث والقصود متى اتضحت وظهرت، حتى لو توافرت الشروط وانتفت الموانع.

والذي يترجح من هذه الأقوال هو ما ذهبت إليه المالكية والحنابلة باعتبار النيات والبواعث والقصود، وأن العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني، ولا يعني هذا إهمال تحقق الشروط وانتفاء الموانع، بل لابد من مسايرة الشروط والظواهر للمعاني والمقاصد؛ وذلك لعدة أمور:

الأول: أن هذا الرأي يتسق مع روح الإسلام ومقاصد الشريعة ومقرراتها العامة.

الثاني: أن هناك نصوصًا شرعية تقضي بهذا الرأي، ولا يمكن تجاوزها، من ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ

ضـرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ٢٣١)، وقوله:﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾. (النساء: ١٢)، فبينت الآيتان الكريمتان حرمة هذه التصرفات إذا كانت بقصد الإضرار، وحديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»)، وهو أصل في إبطال الحيل وتحريم الوصول إلى أشياء محرمة، وإن كانت الذرائع إليها مشروعة، أو بوسائل ظاهرها الصحة، وقد سبقت الإشارة في فصل الوظائف إلى أنه من المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أطالا النفس في الحديث عن الحيل، قال ابن تيمية: «الحيل يستحلها من لم يفقه حكمة الشارع، وهو أبعد الناس عن فهم مقصود الشارع ومعرفة العلل، وعن الفقه في الدين» (١٣)، وفصل فيه ابن القيم بما لا مزيد عليه، وبخاصة في كتابيه: إعلام الموقعين، وإغاثة اللهفان، وعقد البخاري في جامعه الصحيح كتابًا للحيل، وأخرج فيه الأحاديث الدالة على إبطالها، وتحدث عنها السرخسي في آخر مبسوطه في أكثر من مائة صفحة، والإمام الشاطبي في موافقاته، والطاهر بن عاشور في مقاصده، وغيرهم.

والثالث: أننا لو قلنا إن العقود تصح بشروطها وظواهرها دون النظر إلى معانيها ومقاصدها يلزم منه أمور تنزهت عنها الشريعة، إذ «الشريعة قبل أن تكون ألفاظًا وعبارات، هي معانٍ وأغراض ومقاصد تعبر عن إرادة المشرِّع» (١٤)، ومن هذه الأمور إباحة نكاح المحلل، وهو الذي لعن النبي فيه المحلِّل والمحلَّل له، وإباحة بيع العينة، ومنها قبول الولاة للهدية من الرعية، ومنها قبول الدائن الهدية من المدين، وهي ربا، إلا إذا كانت عادة بينهما، والله تعالى لعن اليهود حينما تحايلوا على حكمه؛ إذ حرم عليهم الصيد يوم السبت، وحينما دبغوا الجلود فباعوها... وهكذا.

مقاصد الزواج تتلخص في طلب النسل الصالح وتحقيق عمارة الله في الأرض

والخلاصة أن القول بإهدار القصود والمعاني في العقود يفتح النوافذ أمام ارتكاب الحرام، ويفسد الحياة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، ويفرغ الأحكام الشرعية من مضمونها.

وهذا لا يعني التوسع في الأخذ بالقصود بما يهدر النصوص أو ظواهرها، وإنما يلزم الأخذ بالمقاصد والمعاني حين يكون المقصد ظاهرًا ومكشوفًا، أما إذا لم تظهر المقاصد ولم تتكشف فالحكم يكون على ظاهر الألفاظ، وبهذا فإن بناء الحكم على قصد قد ظهر يكون بناء على ظاهر معلوم لا على مغيب مجهول (١٥).

ثانيًا: مقاصد الشريعة من الزواج

ودور ذلك في الحكم على للمسألة التي نحن بصددها، وللحكم على زواج المصلحة وبيان دور المقاصد الجزئية في الاستدلال على حكمه ينبغي أولًا أن نعرف مقاصد الزواج، وقد تحدث الإمامان الغزالي والشاطبي عن ذلك.

أما الإمام الغزالي فقد أورد في كتابه العظيم: «إحياء علوم الدين» كلامًا عن حكم وأسرار ومقاصد وفوائد الزواج نورده باختصار من إحيائه؛ حيث قال: «وفيه فوائد خمسة: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن» (١٦).

وأما الإمام أبوإسحاق الشاطبي فقد تحدث عن مقاصد الزواج عرضًا، وهو يتكلم عن أن للشارع في شرع الأحكام العادية والعبادية مقاصد أصلية ومقاصد تابعة، ومثَّل لذلك بالنكاح فقال: «إنه مشروع للتناسل على المقصد الأول، ويليه طلب السكن والازدواج، والتعاون على المصالح الدنيوية والأخروية، من الاستمتاع بالحلال، والنظر إلى ما خلق الله من المحاسن في النساء، والتجمل بمال المرأة، أو قيامها عليه وعلى أولاده منها أو من غيرها أو إخوته، والتحفظ من الوقوع في المحظور من شهوة الفرج ونظر العين، والازدياد من الشكر بمزيد النعم من الله على العبد».

قال: «وعند ذلك يتبين أن نواقض هذه الأمور مضادة لمقاصد الشارع بإطلاق، من حيث كان مآلها إلى ضد المواصلة والسكن والموافقة، كما إذا نكحها ليحلها لمن طلقها ثلاثًا، فإنه عند القائل بمنعه مضاد لقصد المواصلة التي جعلها الشارع مستدامة إلى انقطاع الحياة من غير شرط، إذ كان المقصود منه المقاطعة بالطلاق، وكذلك نكاح المتعة، وكل نكاح على هذا السبيل، وهو أشد في ظهور محافظة الشارع على دوام المواصلة، حيث نهى عما لم يكن فيه ذلك» (١٧).

وهذه المقاصد- كما لا يخفى- مستخرجة من التأمل في النصوص الشرعية التي تحدثت عن الزواج، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم

مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ". (النحل: ٧٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم بسنده عن عبدالله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١٨) ، وعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: «لا». ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثرٌ بكم الأمم» (١٩).

يمكن من خلال ما سبق القول إن مقاصد الزواج تتلخص في: طلب النسل، الصالح، وتحقيق عمارة الله في الأرض، وهو مقصد مترتب على طلب النسل، لأنه بكثرة النسل تكون العمارة، وتحقيق السكن النفسي، والإشباع الجنسي، والتراحم بين الزوجين، وإعفاف الزوج نفسه؛ فالزواج أغض للبصر وأحصن للفرج، وإعفاف الطرف الآخر؛ فهو من التعاون على البر والتقوى، وإقامة الأسرة الصالحة التي تقام فيها أحكام الشرع، وتحقيق الاستقرار في المجتمع نفسيًا وخلقيًا، وتقوية أواصره، وهو ما يؤدي إلى حفظ نظامه الكلي وأمنه العام؛ حيث إن الشهوة لها ضرام في ظهر الإنسان، وما لم يتيسر لها الطريق؛ فتُصرف في مسارها المشروع، فإن ذلك يؤدي إلى سلوك طرق غير مشروعة، ومسايرة الفطرة وعدم مصادمتها، فاستبقاء الفطرة نقية صافية كما خلقها الله، والحفاظ عليها، والسير مع مقتضياتها وفق الشرع، وعدم مصادمتها لا شك أنه مقصد عام من المقاصد المهمة.

الحكم المختار لزواج المصلحة في ضوء مقاصد عقد الزواج

ومن خلال ما سبق يمكن الاتفاق مع المجلس الأوربي للإفتاء، أو مع المالكية والحنابلة؛ خلافًا لرأي العلامة ابن بية، أو الحنفية والشافعية؛ فزواج المصلحة بصوره التي سبق إيرادها لا يجوز بناء على أنها فرغت العقد من مضمونه ومعانيه ومقاصده، بناء على أن المقصد منه مكشوف وواضح، وإذا كان كلام الفقهاء وخلافهم الذي سبق ذكره في العقود عامة، فكيف بعقد الزواج الذي وصفه الله بـ «الميثاق الغليظ» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا. وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾. (النساء: ٢٠-٢١).

فلا شك أن الاحتياط لهذا العقد أولى، والحرص عليه والورع فيه يكون أكثر، وإجراءه على معانيه ومقاصده يكون أدعى وأعلى، ولذلك فإن الصورة الثالثة من صور زواج المصلحة وإن أجازها المجلس الأوربي للإفتاء لاكتمال شروطها وانتفاء موانعها فإنه أتَّم الزوج في هذه الصورة؛ لأنه يضمر في نفسه الطلاق بعد قضاء مصلحته، ولأن هذا غش للزوجة وأهلها.

وكذلك يحظر هذا الزواج؛ لأن هذا العقد بصوره يُنافي ما شرع الزواج لأجله؛ ولهذا وجدنا ابن قدامة «يحرم»، ويبطل نكاح المحلل، سواء شرط فيه التحليل قبل العقد ولم يذكره في العقد ونواه في العقد أو نوى التحليل من غير شرط، ورأينا الشاطبي يقول إن الزواج مشروع للتناسل على المقصد الأول، وذكر مقاصد تبعية ثم قال: «نهى- يعني الشارع- عما لم يكن فيه ذلك».

إذا أضيف لذلك أن إجراء قصد الزواج للمصلحة فقط يشوه صورة المسلمين في الغرب، ويُعرِّض الإسلام- دينًا وملة- للقيل والقال هناك في وقت لسنا بحاجة فيه إلى مزيد مطاردة ومزيد اتهامات تبين بما لا تردد فيه أن هذا الزواج غير جائز، وبهذا يتضح دور مقصد الحكم في الاستدلال على حكمه، والإفادة منه في الاستدلال للتوصل إلى حكم في نوازله ومستجداته.

الهوامش

١- صحيح مسلم.
٢- قرارات وفتاوى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، المجموعتان الأولى والثانية: ٥٧-٥٨.
٣- متفق عليه.
٤- صناعة الفتوى وفقه الأقليات: ٥٠٨، ٥١١.
٥- المبسوط: ٦/١٦.
٦- المبسوط: ٢٤/٤٩، وحاشية ابن عابدين: ٤/٥٩٢.
٧- القوانين الفقهية: ١٤٠، والكافي في فقه أهل المدينة: ٢/٥٣٣.
٨- المدونة: ٢/١٧٠، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩- الأم: ٣/٧٤. محمد بن إدريس الشافعي أبوعبدالله، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ.
١٠- المغني: ٧/٥٧٤.
١١- كشاف القناع عن متن الإقناع: ٥/٢٣١، مكان النشر بيروت
١٢- المحلى: ١١/٢٤٩-٢٥٠.
١٣- بيان الدليل على بطلان التحليل: ٣٤٢.
١٤- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: ٢٠٨، لأستاذنا د.محمد المنسي.
١٥ - مجموعة بحوث فقهية: ٢٦٧-٢٦٨، د. عبدالكريم زيدان.
١٦- إحياء علوم الدين للغزالي: ٢/٢٤.
١٧- الموافقات: ٣/١٣٩-١٤٠.
١٨- صحيح مسلم.
١٩- سُنَنُ أبي دَاوُد.

الأسلوب القرآني في التعبير الاقتصادي

د. عبدالحميد البعلي
خبير اقتصادي

الأصل في الاقتصاد أنه وفق أصول المنهج الإسلامي، ولذلك لم نحرص على أن ننعت الاقتصاد بالإسلامي فهذا هو الأصل، وعلى هذا الأساس نقدم المقصود بالاقتصاد على أنه إسلامي وما سواه يجب أن ينعت فيقال الاقتصاد الاشتراكي أو الشيوعي، والاقتصاد الرأسمالي، وهكذا أما إذا أطلق الاقتصاد على ذلك الأصل فيه فهو الاقتصاد الإسلامي.

لقد تعددت وتنوعت الأساليب القرآنية في التعبير عن المسائل الاقتصادية مما يعكس طريقة قرآنية فذة تفيد وتخدم أساليب التناول والتحليل الاقتصادي المعاصر بأنواعها وأشكالها المختلفة.

فالقرآن الكريم يستخدم:

١- الأسلوب القصصي.

٢- ويستخدم أسلوب ضرب الأمثال.

٣- ويستخدم أسلوب الإشارة.

كما أن هناك ألفاظًا ومصطلحات وتراكيب تدل على خصوصية قرآنية في التعبير الاقتصادي.

أولًا: أسلوب القصص القرآني ونموذج التخطيط الاقتصادي الرشيد

إن الله سبحانه وتعالى يحكي لنا في القصص القرآني حكاية لكي نحاكيها، وننسج على منوالها باعتبارها نموذجا عمليا، تم تطبيقه فعلا، وأثبت فعاليته فصار نموذجا لنا نأخذ منه ما يناسبه ويحل مشاكلنا.

يقول الله تعالى: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون. قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلًا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلًا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾(يوسف: ٤٦-٤٩).

يقول الألوسي في روح المعاني: (١)

«لعلهم يعلمون» أي يعلمون بما أفتى ويعملون بمقتضاه. و«دأبا» تنشأ من مداومة العمل اللازم له التعب وانتصابه على الحال من ضمير (تزرعون) أي: دائبين، و«إلا قليلا مما تأكلون» أي اتركوا ذلك في السنبل إلا ما لا غنى له من القليل الذي تأكلونه في تلك السنين وفيه إرشاد إلى التقليل في الأكل.

و«يأكلن ما قدمتهم لهن» أي ما ادخرتم في تلك السنين من الحبوب المتروكة في سنابلها لأجلهن. «إلا قليلاً مما تحصنون» أي تحرزونه وتخبئونه لبذور الزراعة مأخوذ من الحصن، وهو الحرز والملجأ.

- وعلى أساس هذا النموذج القرآني في التعبير الاقتصادي نقول:

ثانيًا: المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي وقطاعاته

تتمثل المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي في ثلاثة:

١- ما يطلق عليه الاقتصاديون «المدخلات» أو عوامل الإنتاج، وتشمل الموارد والطاقات المتاحة للاستغلال والاستثمار من أجل إنتاج السلع والخدمات التي يحتاجها المجتمع.

وتأتي القوة العاملة في مقدمة تلك الموارد باعتبارها قوة الإنتاج الأساسية في الاقتصاد، وكذلك رأس المال يمثل موردًا رئيسيًا لجهود التنمية والإنتاج، ويشتمل بالطبع على الموارد والثروات الطبيعية بكل أشكالها، ويكون الهدف من العملية الاقتصادية هو تعظيم الافادة من الموارد وعلاج المشكلات الاقتصادية.

٢- العمليات الاقتصادية الرئيسية الثلاث وهي ما يسمى «بالأنظمة» وهي: الاستثمار - الادخار - الاستهلاك.

ويكون الهدف هو كيف أن هذه العمليات الاقتصادية الأساسية تعمل في توافق واتساق لتحقيق التوازن المستهدف للاقتصاد.

العمليات الاقتصادية الرئيسة هي «الاستثمار والادخار والاستهلاك»

٣- «المخرجات» حيث يقاس نجاح الاقتصاد:

- بمدى قدرته على إنتاج السلع والخدمات التي تشبع حاجات الناس في المجتمع.

- وقدرته كذلك على عملية «التكوين الرأسمالي» لأغراض الاستثمار.

وينقسم النظام الاقتصادي في الأغلب الى القطاعات التالية:

١- قطاع الاستثمار والإنتاج.
٢- قطاع الاستهلاك أو العائلي.
٣- القطاع الحكومي.
٤- القطاع الخارجي.

ويشتمل قطاع الأعمال أو القطاع الخارجي على الوحدات والمشروعات الاقتصادية الإنتاجية من أجل السوق النهائية.

ويشتمل القطاع العائلي أو المستهلكين على جميع أفراد المجتمع بوصفهم من المستهلكين من جهة ومن أصحاب عناصر الإنتاج من جهة أخرى ويشتمل كذلك على المنشآت الخاصة التي لا تهدف إلى الربح مثل الجمعيات الخيرية.

أما القطاع الحكومي، فيشتمل على جميع المرافق العامة التي تقدم الخدمات العامة مجانًا أو بمقابل لا يتناسب مع التكلفة ولا يدخل فيه المشروعات الحكومية التي تدخل في نطاق قطاع الأعمال، وقطاع المؤسسات المالية، مثل البنوك والمصارف وشركات الاستثمار والتأمين.

والقطاع الخارجي، يشتمل على المعاملات التي تجريها مختلف القطاعات في الاقتصاد مع العالم الخارجي، وقد تكون هذه العمليات تجارية أو مالية وخدمات... الخ.

وتنقسم قطاعات السوق الكويتي إلى:

١- قطاع البنوك.
٢- قطاع الاستثمار.
٣- قطاع الخدمات.
٤- القطاع العقاري.
٥- قطاع التأمين.
٦- القطاع الصناعي.
٧- قطاع الأغذية.

ثالثًا: التخطيط ومتطلباته

أ- التخطيط منهج للتفكير وأسلوب للعمل

وفي إطار النظام الاقتصادي بمكوناته المختلفة يأتي التخطيط كمدخل أساسي يعمل وفق آلية النظام الاقتصادي، ومن هنا كان التخطيط منهجًا للتفكير وأسلوبا للعمل في آن واحد.

والتخطيط يسفر دائما عن وضع خطة ذات اهداف محددة في عدة مستويات باعتبار ان التخطيط عملية تفكير، ومفاضلة، واختيار بين بدائل وصولا الى هدف، أو أهداف كنتيجة محددة مطلوب الوصول إليها من خلال تقدير الفرص المتاحة، والعمل على استثمارها، والتنبؤ بالمشكلات، والإعداد لمواجهتها، وتجنبها، والعمل أيضا على توفير الظروف والأوضاع المناسبة والمساعدة على تحقيق الأهداف، ومتابعة وتقييم المنجزات.

ب- متطلبات نجاح الخطة الاقتصادية

إن نجاح الخطة الاقتصادية يشترط طائفة من الشروط اللازمة لضمان نجاحها ومن أهمها:

١- واقعية الأهداف ووضوحها إذ يساعد ذلك في تحديد أنواع

الأعمال والأنشطة المرغوبة وتوضيح «المستلزمات الضرورية» كما يعتبر أساسًا للمتابعة والتقييم.

٢- التناسق بين الأهداف بعضها البعض، وبين الوسائل بعضها البعض، وبين الوسائل والأهداف.

٣- تحديد الأهداف العامة الأولية ثم الأهداف الخاصة المشتقة.

في قصة يوسف انطبق كل ذلك ومنها نستخلصه.

رابعًا: المؤشرات الاقتصادية في هذا النموذج اليوسفي

ونموذج التخطيط القرآني في قصة سيدنا يوسف عليه السلام - تتضمن العديد من المؤشرات منها ما يلي:

١- التخطيط في حالة الرواج الاقتصادي بظروفها، والتخطيط في حالة الكساد الاقتصادي بظروفها على السواء، فكلا الحالين لا يغني عن التخطيط الرشيد والسديد لإمكان معاملة حالة الغني ومعالجة حالة الفقر والرمادة والحرمان، فلا يضل الناس بغناهم، ولا يشقى الناس بفقرهم ويحل بهم الضيق والحرج بسبب سوء التخطيط والتدبير والترتيب.

٢- القدرة والقوة على «التخطيط» للمستقبل، وهو ما أخبر به سيدنا يوسف، فلا تخطيط اقتصادياً رشيداً ولا خطة سوية بغير قدرة فائقة على «التنبؤ» بالمشكلات ووضع الحلول لها عن روية وبصيرة.

وجاء في تفسير الألوسي (٢) إن هذه البشارة منه عليه السلام لم تكن عن وحي بل لأن العادة جارية بأن انتهاء الجدب يعقبه الخصب، أو لأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده سبحانه بعد ما ضيق عليهم، ثم إنه عليه السلام بعد ان فقههم وارشدهم وبشرهم كان يتوقع وقوع ما أخبر به ونقول وهذا شأن التنبؤ الصادق.

بل إن ابن كثير فسر البقر بالسنن

في قصة «السبع العجاف» تشير الآيات إلى ضرورة وضع «السياسات» اللازمة لتنفيذ الخطط الاقتصادية

لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر (٣).

٣- الاهتمام القطاعي في النظام الاقتصادي «بالزراعة» أو بالنشاط الزراعي كنموذج لتحديد الهدف في الخطة الاقتصادية الرشيدة.

٤- تتضمن خطة سيدنا يوسف القرآنية الاهتمام بعوامل الإنتاج الاقتصادي بعناصرها الاستثمارية والادخارية، والقوة البشرية العاملة والمنتجة والمستهلكة ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون﴾.

بل كلمة يعلمون تدل على القوة البشرية المدربة العالمة، حتى لا تهدر الموارد إنتاجا أو استهلاكا أو توزيعا، وكذلك تدل كلمة «دأبا» على العمل المتواصل الدؤوب.

كما يشير الاهتمام القطاعي في النظام الاقتصادي الى «الصناعة» المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾، أي: يعصر الناس ما كانوا يعصرونه على عادتهم من زيت ونحوه، وسكر ونحوه، حتى قال بعضهم يدخل فيه حلب اللبن أيضًا، ويقول الألوسي وفيه يعصرون من العصر المعروف أي يعصرون ما من شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها، أو كما قيل للإشعار باختلاف ما يقع فيه زمانا وعنوانا.

٥- تشير خطة سيدنا يوسف عليه السلام الى ضرورة وضع «السياسات» اللازمة لتنفيذ الخطط الاقتصادية يدل على ذلك الإجراءات المحددة التي ذكرتها الخطة متمثلة في قول الله تعالى: ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون﴾ ﴿الا قليلا مما تحصنون﴾ وما تدل عليه من عدم الإسراف بل التقليل في الأكل، وترشيد الطاقة الادخارية سواء كان ذلك الادخار لأغراض الاستهلاك والمتمثل في قوله تعالى: ﴿فذروه في سنبله﴾ إلى قوله: ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ أي ادخرتم. أو لأغراض الإنتاج أو الاستثمار المتمثل في ﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ أي تحرزونه وتخبئونه لبذور الزراعة.

وهكذا اشتمل هذا النموذج من المنهج القرآني في الاقتصاد على ما يلي:

١- المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي من المدخلات والعمليات والمخرجات.

٢- القطاعات الاقتصادية.

٣- التخطيط ومتطلب نجاح الخطة الاقتصادية.

٤- المؤشرات الاقتصادية لقياس الأداة وتحقيق الأهداف في هذا النموذج اليوسفي الرشيد الذي جاء به القرآن الكريم ليكون نموذجًا علميًا ومثالًا تطبيقيًا عمليًا للخروج من الأزمات الاقتصادية وصدق الله العظيم القائل ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد: ٢٤).

الهوامش

١- ج١٢ص٢٥٤-٢٥٥- انظر أيضا تفسير ابن كثير ٣١٨/٤- تفسير القرطبي ٢٠٢:٩ وما بعدها.

٢- روح المعاني ج١٢ ص٢٥٦، ٢٥٧.

٣- ٣١٨/٤

الشكر

د. صالح النهام

لا ريب أن نعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى؛ إذ إن إحصاءها خارج عن مقدور البشر؛ مصداقًا لقول الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(النحل: ١٨)، وكثرة النعم من المنعم، والإنسان لا يمكنه أن يُؤدي حقها إلا بالشُّكر عليها ومن هذه النعم أنه تبارك وتعالى أحسن إلينا بإتمام فريضة الصيام، ثم إقامة شعيرة صلاة العيد في يوم أعظمَ اللهُ قدرَه، والذي نسأله جل في علاه القبول والتوفيق للتمسك بالدين وشرائع الإسلام.

الشُّكر اعتراف بالمنعم والنعمة، بل هو سبب من أسباب حفظ النعمة وزيادتها، قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(إبراهيم: ٧)، فهذا وهيب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال، كالطواف ونحوه، فيقول: لا تسألوا عن ثوابه، ولكن سَلُوا ما الذي على مَن وُفِّقَ لهذا العمل من الشُّكر، للتوفيق والإعانة عليه.

وقد قيل:

إذا أنت لم تَزْدَدْ على كُلِّ نعمة
لمولِيكَها شُكرًا فلستَ بشاكرِ

فكل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها، ثم التوفيق للشُّكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، ثم التوفيق للشُّكر الثاني نعمة أخرى تحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبدًا فلا يقدر العباد على القيام بشكر النعم.

ولأهمية موضوع الشُّكر في حق الله والعباد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى للوقوف على حقيقته وبيانه، جعلته في عدة مسائل أسوقها على النحو التالي:

المسألة الأولى: التعريف بالشكر:

الشُّكر لغة: مصدر شَكَرَ يَشكُرُ، وهو مأخوذ من مادة: (ش ك ر) التي تدل على: « الثناء على الإنسان بمعروف يُوليكَهُ»، قال الراغب: الشُّكر تصور النِّعمة وإظهارُها(١)، وقال ابن منظور: الشُّكر عرفانُ الإحسان ونشرُه، والشُّكر من الله: المجازاةُ والثناءُ الجميل(٢). قال الفراء: شكرتك وشكرت لك، ونصحتك ونصحت لك، والفصيح الأول، والشُّكر معرفة الإحسان والتحدث به؛ وأصله في اللغة: الظهور.

وقد ذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾(البقرة: ١٥٢)، أن شكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذلك إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له؛ إلا أن شكر العبد نطقٌ باللسان، وإقرارٌ بالقلب بإنعام الرب مع الطاعات(٣).

الشُّكر اصطلاحًا:

قال المناوي: الشُّكر شُكران: شُكر باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخر شُكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النِّعمة بقدر الاستحقاق، والشكور الباذل وسعه في أداء الشُّكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا (٤).

وقال ابن القيم: الشُّكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً(٥).

المسألة الثانية: الأدلة الشرعية على الشُّكر:

لا غرو أن الأدلة الشرعية على الشُّكر كثيرة جدًا، وردت في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وأيضًا في آثار السلف الصالح رحمهم الله تعالى، إليك بعضًا منها:

القرآن الكريم:

لقد قرن الله تعالى الشُّكر بالذكر في كتابه مع أنه قال سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ﴾(العنكبوت: ٤٥)، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾(البقرة: ١٥٢).

وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(البقرة: ١٧٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾(آل عمران: ١٤٥).

وقال جل جلاله إخبارًا عن إبليس اللعين: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الأعراف: ١٦)، قيل: هو طريق الشُّكر، ولعلو رتبة الشُّكر،

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

طعن اللعين في الخلق فقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧).

الأحاديث النبوية:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للطاعم الشَّاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر»(٧).

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»(٨).

أقوال السلف الصالح:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن النعمة موصولة بالشكر، والشُّكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشُّكر من العبد» (٩).

قال مُطَرِّفٌ رحمه الله: «لأَن أُعافى فأشكر، أحبُّ إلي من أن أُبتلى فأصبر»(١٠).

من الأشعار التي قيلت بالشُّكر:

قال رجل من غطفان:

الشُّكر أفضل ما حاولت ملتمسًا
به الزيادة عند الله والناس

وقال آخر:

إذا كان شُكْري نعمةَ الله نِعمةً
عليَّ له في مثلِها يجبُ الشُّكرُ
فكيف بُلُوغُ الشُّكرِ إلا بفضله
وإن طالت الأيامُ واتَّصلَ العُمُرُ

وقال الإمام الشافعي:

وشاكرُها يحتاج شُكرًا لشُكرِها
كذلك شُكرُ الشُّكرِ يحتاجُ للشُّكرِ

قال بعض أهل العلم: «مَن أُعطي أربعًا لم يُمنع أربعًا: مَن أُعطي الشُّكر لم يُمنع المزيدَ، ومَن أُعطي التوبةَ لم يُمنع القَبولَ، ومَن أُعطي الاستخارةَ لم يُمنعَ الخِيَرَةَ، ومَن أُعطي المشورةَ لم يُمنع الصَّوابَ»(١١).

المسألة الثالثة: معنى اسم الله الشَّكور:

قال ابن منظور: الشَّكور من صفات الله- جل اسمه- معناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده: مغفرته لهم وإنعامه على عباده وجزاؤه بما أقامه من العبادة، وقد فرق المناوي بين الشَّاكر والشَّكور، بقوله: إن الشَّاكر من يشكر على الرخاء، والشَّكور من يشكر على البلاء. وذكر غيره: أن الشَّاكر من يشكر على العطاء، والشَّكور من يشكر على المنع.

المسألة الرابعة: القواعد التي يقوم عليها الشُّكر:

قال الفيروز آبادي: الشُّكر أعلى منازل السالكين، وفوق منزلة الرضا، فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والرضا مندرج في الشُّكر، إذ يستحيل وجود الشُّكر بدونه، وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد: (خضوع الشَّاكر للمشكور- حبه له- اعترافه بنعمته- الثناء عليه بها- ألا يستعملها فيما يكره)، فمتى فُقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشُّكر(١٢).

المسألة الخامسة: أنواع الشُّكر:

للشُّكر أنواع ثلاثة: شكر بالقلب، وشكر باللسان، وشكر بالجوارح.

الأول: الشُّكر بالقلب: وهو أن يقصد الخير، ويضمره للخلق كافة.

والثاني: الشُّكر باللسان: وهو إظهار الشُّكر لله بالتحميد.

والثالث: الشُّكر بالجوارح: وهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه، فهذا يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء.

والشُّكر باللسان: إظهار الرضا عن الله تعالى، وهو مأمور به، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر»(١٣).

المسألة السادسة: العلاقة بين الشُّكر والصبر:

قال ابن حجر: الشُّكر يتضمن الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، وقال بعض الأئمة: الصبر يستلزم الشُّكر ولا يتم إلا به، وبالعكس فمتى ذهب أحدهما ذهب الآخر، فمن كان في نعمة ففرْضُه الشُّكر، والصبر، أما الشُّكر فواضح، وأما الصبر فعن المعصية، ومن كان في بلية ففرْضُه الصبر والشُّكر، أما الصبر فواضح، وأما الشُّكر فالقيام بحق الله في تلك البلية، فإن لله على العبد عبودية في البلاء، كما له عليه عبودية في النَّعماء(١٤).

وقد اختلف الناس في بيان أيهما أفضل: الصبر أم الشُّكر؟ وقد نتج عن ذلك أقوال عدة(١٥):

القول الأول: اعتبر أن الصبر أفضل من الشُّكر. والقول الثاني: عد الشُّكر أفضل. والقول الثالث: قال: هما سيان. والقول الرابع: بين أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال.

وقد استدل كل قول بما عنده من دليل، إلا أن خلاصة تلك الأقوال في ذلك:

إن لكل واحد من الصبر والشُّكر درجات: فأقل درجات الصبر: ترك الشكوى مع الكراهية، ووراءها الرضا، وهو مقام وراء الصبر، ووراء ذلك الشُّكر على البلاء، وهو وراء الرضا.

ودرجات الشُّكر كثيرة، فإن حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شُكْرٌ، ومعرفته بتقصيره عن الشُّكر شُكْرٌ،

والمعرفة بعظيم حلم الله وستره شُكْرٌ، والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله بغير استحقاق شُكْرٌ، والعلم بأن الشُّكر نعمة من نعم الله شُكْرٌ، وحسن التواضع في النعم والتذلل فيها شُكْرٌ،...وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شُكْرٌ، فما يندرج من الأعمال والأقوال تحت اسم الشُّكر والصبر لا ينحصر، وهي درجات مختلفة، فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر؟

لكن يقال: إذا أضيف الصبر إلى الشُّكر الذي هو صرف المال إلى الطاعة، فالشُّكر أفضل؛ لأنه تضمن الصبر أيضًا، وفيه فرح بنعمة الله عز وجل، وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء، وترك صرفه إلى التنعم المباح، فهو أفضل من الصبر بهذا الاعتبار.

وأما إذا كان شكر المال ألا يستعين به على معصية، بل يصرفه إلى التنعم المباح، فالصبر هنا أفضل من الشُّكر، والفقير الصابر أفضل من الممسك ماله الصارف له في المباحات، لأن الفقير قد جاهد نفسه وأحسن الصبر على بلاء الله تعالى، وجميع ما ورد من تفضيل أجزاء الصبر على الشُّكر، إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص، لأن السابق إلى أفهام الناس من نعمة الأموال والغنى بها، والسابق إلى الأفهام من الشُّكر أن يقول الإنسان: الحمد لله.

إذن فالصبر الذي يعتمده العامة أفضل من هذا الشُّكر الذي يفهمونه، ومتى لحظت المعنى الذي ذكر، علمت بأن لكل واحد من القولين وجهًا في بعض الأحوال، فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما ذكر، ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر، وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير الذي لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة، ويصرف الباقي في الخيرات، أو يمسكه على اعتقاده أنه خازن للمحتاجين، وإنما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف إليها، وإذا صرفه لم يصرفه لطلب جاه ولا تقليد منه، فهذا أفضل من الفقير الصابر(١٦).

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عن أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغني الشَّاكر؟ أجاب: بأن أكرمهم عند الله اتقاهم؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات: ١٣).

المسألة السابعة: الفرق بين الشُّكر والحمد:

الشُّكر كالحمد في أنهما وصف باللسان بإزاء النعمة، إلا أن الحمد يكون باللسان وبالقلب، بخلاف الشُّكر فإنه يقع بالجوارح، والنعمة مقيدة في الشُّكر بوصولها إلى الشَّاكر بخلافها في الحمد، ويختص الشُّكر بالله تعالى، بخلاف الحمد(١٧). فالشُّكر يكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

أي أن الشُّكر يكون بالقول والفعل والنية، ومتعلق الشُّكر النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشُّكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشُّكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشُّكر من غير عكس، فإن الشُّكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان.

ولهذا قال أهل العلم: في الفرق بين الشُّكر والحمد أن الشُّكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد عكسه.

المسألة الثامنة: أحكام الشُّكر:

● شكر الله تعالى: حكمه واجب شرعًا من حيث الجملة، فلا يجوز تركه بالكلية؛ إذ إن الإكثار منه مستحب؛ وذلك في مواضع، منها: أن تحمد الله عز وجل على الطعام والشراب واللباس والصحة.

● شكر العباد: لقد شكر الله جل جلاله عباده المحسنين وهو سبحانه غني عنهم، فمن باب أولى أن يشكر العبد من أحسن إليه بمعروف، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء»(١٨). ولا يخفى أن الله تعالى أمر بالشُّكر للوالدين وقرن ذلك بالشُّكر له؛ وذلك لعظم فضلهما، فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(لقمان: ١٤).

المسألة التاسعة: مواضع الشُّكر ثلاثة(١٩):

الشكر لله تعالى على جلب نعمة.
الشكر لله تعالى على دفع نقمة.
الشكر لله تعالى عند المصائب.

الهوامش

(١) انظر: المفردات: (ص: ٢٦٥).
(٢) انظر: لسان العرب: (٤/٢٣٠٥-٢٣٠٨).
(٣) انظر: الجامع للقرطبي: (٢/١٧٢).
(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف: (ص: ٢٠٦-٢٠٧).
(٥) انظر: مدارج السالكين لابن القيم: (٢/٢٤٤).
(٦) أخرجه أبو داود، برقم: (١٥٢٢)، والنسائي، برقم: (١٣٣٦).
(٧) أخرجه الترمذي، برقم: (٢٤٨٦)، واللفظ له، وأحمد في المسند، برقم: (٧٧٩٣).
(٨) أخرجه مسلم، برقم: (٢٩٩٩).
(٩) انظر: عدة الصابرين لابن القيم: (ص: ١٢٣).
(١٠) انظر: مختصر منهاج الصابرين لأحمد بن قدامة المقدسي: (ص: ٢٩٥).
(١١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/١٦٠).
(١٢) انظر: بصائر ذوي التمييز: (٣/ ٣٤، ٣٣٤).
(١٣) أخرجه أحمد في المسند. برقم : (١٨٤٧٢).
(١٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١١/٣١١).
(١٥) انظر: تفصيل ذلك في إحياء علوم الدين: (٤/٤٠٢ وما بعدها).
(١٦) انظر: الكليات للكفوي: (ص: ٥٣٥).
(١٧) انظر: مختصر منهاج القاصدين: (ص: ٥٣٥).
(١٨) أخرجه الترمذي، برقم: (٢٠٣٥)، واللفظ له، النسائي، برقم: (٧٥).
(١٩) انظر: تفصيل ذلك في الموسوعة الفقهية الكويتية: (٢٦/١٧٤-١٨٢).

نظرات في رسالة أبي داود إلى أهل مكة

أشرف صلاح علي

تعد نصوص أبي داود في رسالته إلى أهل مكة من النصوص المهمة عند أهل الحديث، وذلك لما تضمنته من إشارات في بيان منهج أهل الحديث في التصحيح والتضعيف، ولمكانة أبي داود رحمه الله تعالى، مع بيان خطته في كتابه السنن، ولما كنت قد شرحت تلك الرسالة لبعض طلبة الحديث فقد لفت نظري بعض نصوص الرسالة، حتى ظننت أن فيها سقطا أو تحريفا مما حداني إلى جمع مخطوطاتها ومطبوعاتها، فتبين لي بعد البحث أن الرسالة على ضوء ما تيسر لنا من مخطوطات وما رأيت في نصوصها من إشكالات في ثبوتها عن أبي داود وقفة، وهاك أدلتي على ما أقول:

الأول: لم أر حسبما تيسر لي لهذه الرسالة بعد البحث سوى مخطوطتين بإسنادين:

المخطوطة الأولى: من محفوظات المكتبة الظاهرية، رواية الحافظ عبدالغني المقدسي بإسناده.. قال: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جميع الغساني بصيدا فأقر به، قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن الفضل بن يحيى بن القاسم بن عون بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي بمكة يقول: سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (بالبصرة) (١) وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة وغيرها جوابا لهم، فأملى علينا: سلام عليكم.. فذكر الرسالة.

قلت: ومحمد بن عبدالعزيز الهاشمي لم يترجمه- بحسب اطلاعي- إلا ابن جميع الصيداوي(٢) راوي الرسالة عنه عريا عن الجرح والتعديل ولم يذكره

السيوطي وصف رسالة أبي داود إلى أهل مكة بأنها مشهورة لكنها عزيزة الوجود

إلا برسالته تلك، وبهذا الإسناد رواها من وقعت له كابن حجر والسيوطي وغيرهما.

المخطوطة الثانية: من محفوظات جامعة برنستون- مجموعة يهوذا- رقم: ٥٩٧، أميركا، وقد عُلق إسنادها هكذا: رواها أبوجعفر أحمد بن عيسى بن ماهان الهمذاني، (قال: ني) حامد بن بشر أبوالعباس، قال: أملى علي أبوعبدالله محمد بن أيوب من كتاب أبي داود بخط يده رحمه الله تعالى، قال أحمد: يعني ابن عيسى (ونى) حمدان بن أحمد أبوالحسن التمار قال: كتب إليَّ أبوداود وهو بمكة يزيد كلام بعضهم على بعض.. وذكر الرسالة.

قلت: وأحمد بن عيسى فيه كلام شديد، فقد قال أبونعيم: صاحب غرائب وحديث كثير(٣)، وقال السمعاني: تكلموا فيه وفي رواياته(٤)، وذكره الذهبي في الميزان(٥) لروايته حديث كذب، وأورده ابن عراق في تنزيه الشريعة(٦) في أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الأحاديث ويقلب الأخبار ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار.

وحامد بن بشر وحمدان بن أحمد أبوالحسن التمار لم أعثر لهما على ترجمة، وللآن لم أقف على نسخ أخرى- بأسانيد مختلفة- مع حرصي وسؤالي لأهل العلم بالمخطوطات.

الثاني: أني لم أر من تابع محمد بن عبدالعزيز المكي ولا أحمد بن عيسى مع جهالة الأول وضعف الثاني على رواية تلك الرسالة عن أبي داود، وبخاصة من رواة السنن مع أهميتها القصوى في بيان منهج أبي داود في كتابه.

الثالث: أن أبا بكر بن داسة روى مثل هذا الكلام عن أبي داود فلم يذكر فيه إلا ما جاء في آخر الرسالة، فقد قال الخطيب: ..سمعت أبا بكر بن داسة يقول: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، يعني كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ويكفي الإنسان لدينه

باحث دراسات إسلامية

من ذلك أربعة أحاديث: أحدها: قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات»، والثاني: قوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والثالث: قوله: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه»، والرابع: قوله: «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات» الحديث(٧).

وابن داسة حافظ ومن كبار رواة السنن، ولم يذكر ما ذكره محمد بن عبدالعزيز الهاشمي وأحمد بن عيسى الهمداني، وهذه مخالفة شديدة، إذ كيف يهمل ابن داسة ما جاء في رواية الهاشمي وأحمد بن عيسى رغم أهميته البالغة في بيان مذهب أبي داود في السنن.

والملفت للنظر إن المزي روى هذه الرسالة في أول كتابه تهذيب الكمال قائلا: وقال أبوبكر محمد بن عبدالعزيز الهاشمي المكي: سمعت أبا داود السجستاني بالبصرة وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة جوابا لهم فأملى علينا: سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ. أما بعد: عافانا الله وإياكم، فهذه الأربعة آلاف والثمانمائة حديث كلها من الأحكام، فأما أحاديث كثيرة من الزهد والفضائل وغيرها من غير هذا فلم أخرجها والسلام عليكم ورحمة الله وصلى الله على محمد النبي وآله(٨).

فهل اختصر المزي الرسالة؟ ولماذا يختصرها وهي الأصل في معرفة منهج أبي داود في سننه وكان ينبغي أن يسوقها بكاملها، وخصوصا إن كتابه تهذيب الكمال خاص بالكتب الستة ورجالها، أم أنها وقعت إليه كذلك، ويكون محمد بن عبدالعزيز قد رواها مرة مختصرة ومرة مطولة، ومن في حال محمد بن عبدالعزيز لا يحتمل منه ذلك والله أعلم.

الرابع: أن سياق النص يظهر أن

الرسالة كانت قد بعث بها إلى أهل مكة وإن أبا داود إنما سئل عن نص ما أرسله سلفا ففي أول الرسالة: .. محمد بن عبدالعزيز .. بمكة يقول: سمعت أبا داود .. (بالبصرة) وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة وغيرها جوابا لهم فأملى علينا سلام عليكم... .

قلت: فظاهر السياق إنه كان قد بعثها قبل، والسؤال: أين تلك الرسالة التي بعثها وأين رواتها من مكيين وغيرهم؟ ومحمد بن عبدالعزيز مكي، وقد سمع حكاية أبي داود لنص الرسالة في البصرة، ولم يوقف على روايتها عن غيره من المكيين، وسواء سمعها بالبصرة أو بمكة أو بغيرهما فالسؤال: أين المكيون من تلك الرواية وهم الذين ابتدأوه بالسؤال عن منهجه في السنن؟ أيتكلفون إرسال تلك الرسالة ثم يضربون عن روايتها بأجمعهم؟!

الخامس: أن أبا داود ما استُخْبِرَ من أهل مكة وحدها بل ومن غيرها مَن الأمصار، فقد قال محمد بن عبدالعزيز: سمعت أبا داود.. بالبصرة وسئل عن رسالته التي كتبها إلى أهل مكة وغيرها..، وعبر عنها الزركشي بقوله: وقد حكى أبوداود.. في رسالته التي كتبها إلى أهل الأمصار في سبب كتابة السنن(٩)، والسؤال: أين الرسائل المرسلة إلى أهل تلك الأمصار؟ حتى يتفرد بحكايتها رجل شبه مجهول، بل وعلى الهيئة السابق ذكرها.

السادس: احتواء تلك الرسالة على أشياء مناقضة لما عرف عن أهل الحديث والأثر كقول أبي داود رحمه الله تعالى: إن أهل الحديث كانوا على الاحتجاج بالمرسل حتى جاء الشافعي فتكلم فيه وتبعه أحمد وغيره، وهذا مناقض لإجماعهم على رد المرسل، فقد قال مسلم: والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالحديث ليس بحجة(١٠)، وقال ابن عبدالبر: وقال سائر أهل الفقه وجماعة أصحاب الحديث في كل الأمصار فيما علمت: الانقطاع في الأثر علة تمنع من وجوب العمل به(١١)، وهذا كالإجماع كما استظهر ابن حجر (١٢)، وأبوداود من كبار أهل الحديث فكيف فاته ذاك الإجماع حتى يحكي ضده تماما.

السابع: نصه على أن الشافعي يرد المرسل مطلقا وهذا مخالف لنص الشافعي في الرسالة وتصرفاته.

الثامن: نصه في الرسالة على أن الأوزاعي ومالكا يحتجان بالمرسل وهذا معارض بقول الحاكم: والمراسيل واهية عند جماعة أهل الحديث.. ومالك بن أنس الأصبحي، وعبدالرحمن الأوزاعي.. (١٣) وهم من أئمة أهل الحديث الداخلين في دعوى مسلم الإجماع على ردهم للمرسل.

التاسع: أن الرسالة تنص على أن العلماء كانوا على الاحتجاج بالمرسل- بإطلاق- وأن الشافعي هو أول من تكلم فيه- بإطلاق- وأن أحمد تابعه على هذا الكلام، فيلزم على هذا أن الشافعي خرق إجماع الناس قبله في الاحتجاج بالمرسل، وأن أحمد تابعه على هذا، وهو القائل للميموني محذرا ومشفقا: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام(١٤)، وأن

أبا داود تكلم بلا علم حيث إن رد العلماء للمرسل من قبل الشافعي مستفيض مشهور، وتفصيل الشافعي في المرسل في كتابه الرسالة متيقن موجود، وقد كتبها قديما لعبدالرحمن بن مهدي إبان شبابه كما يظهر في رواية جعفر ابن أخي أبي ثور: سمعت عمي يقول: كتب عبدالرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن.. فوضع له كتاب الرسالة..(١٥)، فهل يعقل أن أبا داود لم يطلع على رسالة الشافعي وقد طار بها أهل الحديث والعلم كل مطار؟! فإن علمت أن عبدالرحمن وأبا داود بصريان زاد استغرابك.

العاشر: وجود دعاوى في الرسالة على خلاف الواقع وذلك كقوله: .. فإن ذكر لك عن النبي صلى الله عليه وسلم سنة ليس مما خرجته فاعلم أنه حديث واه..، وهذا حصر عجيب وخطأ من جهتين:

أ – الحكم بالوهاء على كل ما خرج من سنن أبي داود من أحاديث الأحكام وهذه دعوى خطأ.

ب – الادعاء بأن أحاديث الأحكام في سنن أبي داود كافية للمجتهد وهذا أيضا خطأ.

وقد رد كلا الخطأين الحفاظ والفقهاء فقال النووي رحمه الله تعالى رادا للقول بكفاية سنن أبي داود للمجتهد: لا يصح التمثيل بسنن أبي داود فإنها لم تستوعب الصحيح من أحاديث الأحكام ولا معظمها، وكم في صحيح البخاري ومسلم من حديث حكمي ليس في سنن أبي داود(١٦).

الحادي عشر: حكى ابن حجر في النكت أن ابن كثير قال في مختصره إنه رأى في بعض نسخ الرسالة ما نصه: وما سكت عليه فهو حسن وبعضها أصح من بعض(١٧)، هذا على الرغم من أن النسخة التي كانت بحوزة ابن حجر والسيوطي والنسخ التي بأيدينا ليس فيها هذا الكلام، وقد وصف ابن حجر نسخته التي بيديه بقوله: النسخ المعتمدة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا..، ونسخة ابن حجر كما في معجمه المؤسس هي نسخة الظاهرية برواية الصيداوي، فإن صح بأن ابن كثير رأى نسخا من الرسالة فهذا اضطراب لا يخفى لمخالفته ما جاء في الروايات المتداولة بإقرار ابن حجر نفسه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أبا داود يسكت عن أحاديث ضعيفة وبعضها منكر والضعيف والمنكر لا تجامع الحسن.

الثاني عشر: أن ابن كثير لما حكى كلام أبي داود في مختصره أطلقه وما قيد بأنه في رسالته إلى أهل مكة ولا غيرها بل قال: رُوي عنه أنه يذكر في كل باب أصح ما عرفه فيه، وقال: ويروى عنه أنه قال: وما سكت عنه فهو حسن، ثم أشكل قائلا: فقوله: وما سكت عليه فهو حسن، ما سكت عليه في سننه فقط أو مطلقا؟

قلت: وهذا يفيد أن كلام أبي داود الذي ساقه ابن كثير لم يكن في الرسالة وإلا ما جاز لابن كثير أن يشكل ذاك الإشكال والرسالة أصلا وموضوعا لخطة أبي داود في كتاب السنن، ولاحظ تصديره الكلام بقوله: روي عنه، ويروى عنه، وتلك اللفظة غالبا ما تستخدم للتمريض كما هو معلوم.

الثالث عشر: أن السيوطي وهو المتوفى ٩٠٥ هـ وصف الرسالة بأنها عزيزة الوجود، فقال: رسالة أبي داود إلى أهل مكة في وصف سننه مشهورة لكنها عزيزة الوجود فلنسقها هنا لتستفاد(١٨).. فإن علمنا أن وفاة ابن جميع الصيداوي والذي انتشرت عنه الرسالة كانت سنة ٤٠٢ هـ، علمت ما يلقيه تعبير السيوطي بأن الرسالة نادرة الوجود من ظلال الشك على ثبوت تلك الرسالة.

وقد يشكل على ما تقدم احتمال وجود نسخ أخرى بأسانيد صحيحة ولم نقف عليها وذلك لصغر الرسالة حيث لا تبلغ وجهًا ونصف الوجه كما في نسخة برنستون، فيجوز أن تكون موجودة في وسط مجموع أو مجاميع من المخطوطات المتناثرة في أرجاء المعمورة ولم تفهرس على الوجه الأمثل.

ونقول: رغم أن هذا الاحتمال قائم فلا يصلح الاعتراض به على ما حققناه، فإن ثبت بعد ذلك أن للرسالة أسانيد أخرى صحيحة، فلهذا شأن وبحث آخر، هذا والله تعالى أعلم(١٩).

الهوامش

١-من تهذيب الكمال (١٣٦/١) والبحر الذي زخر (١١١٣/٣) وطبعة الشيخ عبدالفتاح أبي غدة، وليست في مخطوطتي الظاهرية وبرنستون، ولا في طبعة الكوثري ولا الصباغ ولا النورستاني.
٢-معجم ابن جميع الصيداوي (١٢٦) .
٣- أخبار أصبهان (١١٧/١).
٤- الأنساب للسمعاني (١٠٤/٢) .
٥- تنزيه الشريعة المرفوعة (١٧/١).
٦- ميزان الاعتدال (رقم ٥١٣) .
٧-تاريخ بغداد (٧٨/١٠) .
٨- تهذيب الكمال (٣٦/١)
٩- النكت على كتاب ابن الصلاح (٤٩٣/١) .
١٠- السابق (٣٠/١) .
١١- التمهيد (٥/١) .
١٢-النكت على كتاب ابن الصلاح (٤٩١/١) .
١٣- المدخل إلى الإكليل (٩) والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٥٦٨/٢).
١٤- المسودة (٥٤٣) .
١٥- معرفة السنن والآثار (٨٣) .
١٦- إرشاد الفحول للشوكاني (٢٠٨/٢)
١٧- النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٤٣٢/١) .
١٨- البحر الذي زخر (١١١٠/٣) .
١٩-هذه المقالة مختصرة من بحث طويل في تلك المسألة وقد ضمنته كتابي: التوقيف على ما في «التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف» من الخطأ والمجازفة والتحريف، يسر الله إخراجه.

علم النبات عند العلماء العرب

محمد مروان مراد

يشير المؤرخون المنصفون بإعجاب وتقدير إلى ريادة العلماء العرب المسلمين في ميادين العلوم المختلفة، وإلى اقتباس علماء الغرب الكثير من أفكارهم ومنجزاتهم التي تعد في الواقع أساسًا للنهضة الأوروبية الحديثة، ويعددون في هذا المجال أسبقية العشرات من علمائنا في ميادين التقنية والابتكار وفي القائمة الطويلة أسماء الخوارزمي في علم الجبر واللوغاريتمات، والبيروني في الحساب والهندسة والفلك، وابن الهيثم في العلوم الطبيعية والرياضيات والرازي في الطب، والزهراوي في الجراحة، وجابر بن حيان في الكيمياء، والكندي وابن الشاطر في الفلك وابن خلدون في علم الاجتماع، والإدريسي في الجغرافيا، وغيرهم كثيرون.. كذلك تطول القائمة حين يكون محور الدراسة أسبقية العلماء العرب في علم النبات.

بدأ اهتمام العلماء بتدوين أنواع الزرع والأشجار والأثمار والأعشاب والبقول وغيرها في بغداد والبصرة والكوفة التي كانت مراكز عمل للعلماء المشتغلين في هذا المجال، باعتبارها موئلًا لفصحاء العرب يغدون إليها من البادية وهم يحملون فصيح اللغة وصحيحها، وبالعكس راح العلماء بدورهم ينزلون من الأمصار إلى البادية للتحقيق والتمحيص، ولاسيما فيما يختص بأسماء الأعشاب والنباتات.

على أن اهتمام العرب الفعلي بعلم النبات، بدأ في مطلع العصر العباسي، حين ترجم العلماء مؤلفات اليونان الخاصة بعلم النبات و«الأقرابازين»، وكان مفتتح ذلك العمل نقل زمن الخليفة المتوكل. وفي عام ٣٣٧هـ/٩٤٨م أهدى ملك القسطنطينية إلى الخليفة الناصر بالأندلس مؤلف «ديسقوريوس» باليونانية، ولم يكن في الأندلس من يجيد هذه اللغة، فطلب الخليفة الناصر من الإمبراطور أن يرسل إليه مترجمًا ماهرًا في اللغتين اليونانية واللاتينية، فاستجاب لطلبه وأوفد الراهب «نيقولا» في أواخر القرن العاشر الميلادي، وبتعاون مع الأطباء المحليين الذين يعرفون اللاتينية والعربية، وضعت الأسماء العربية التي تركها «ابن باسيل» دون ترجمة لجهله بها، ومع مطلع القرن الحادي عشر ألف الطبيب الأندلسي «ابن جلجل» كتابًا ضمنه المعلومات التي أغفلها «ديسقوريدس» وضم هذا الكتاب إلى كتاب «ابن باسيل» المترجم عن «ديسقوريدس» فجاء الكتابان مؤلفًا كاملًا.

وقد استند العرب في دراساتهم لعلم النبات على دقة الملاحظة والمعاينة واستمرار المتابعة، واعتمادًا على هذا المنهج التجريبي تمكن العلماء العرب من دراسة الكثير من النباتات الطبيعية التي لم تسبق دراستها، وأدخلوها في العقاقير الطبية واستولدوا نباتات لم تكن معروفة كالورد الأسود، وتمكنوا من أن يكسبوا بعض النباتات خصائص العقاقير في أثرها الطبي، وفي عصر المقتدر بالله نقل العرب «الأترج» المدور من الهند وزرعوه في عُمان ثم نقلوه إلى البصرة والعراق والشام.

يحفل سجل الريادة في علم النبات - عملًا وتأليفًا - بعشرات أسماء العلماء العرب الذين دونوا في مؤلفاتهم النباتات والأعشاب، وبينهم أبوعبيدة البصري والأصمعي، وأبوزيد الأنصاري، وابن الأعرابي الكوفي، وابن السكيت، وتألق بشكل خاص أبوحنيفة الدينوري - ت٢٨٢هـ/٨٩٥م، وهو أول من ألف بالعربية في علم النبات، وأبوجعفر الغافقي الأندلسي (ت ٥٦١هـ/١١٦٥م) وأبومحمد ابن البيطار المالقي (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) أبرز علماء النبات العرب ومؤلف كتاب «الجامع في الأدوية المفردة» الذي يعد أفضل الكتب في فن المداواة بالأعشاب والأغذية، وأبوبكر أحمد بن وحشية أول من كتب من العرب عن الزراعة في كتابه «الفلاحة النبطية»، والطبيب الضرير داوود الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ/١٥٥٩م)، ومن المتميزين في هذا المجال أيضًا: رشيد الدين الصوري، وأبوزكريا يحيى بن العوام، وأبوالعباس بن الرومية، وسنعرض فيما يأتي صفحات من سير الأعلام الثلاثة الذين أسهموا بشكل واضح في تقدم علوم النبات والأعشاب والأدوية.

● رشيد الدين الصوري (٥٧٣هـ = ١١٧٧م)

ولد رشيد الدين بن أبي الفضل بن علي الصوري في مدينة صور بالشام سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، ونشأ فيها، وعكف في مرحلة مبكرة على دراسة علوم الأوائل دراسة متأنية، ثم تنقل بين بعض

باحث تراثي

المدن العربية ودرس الطب في دمشق على مشاهير العلماء كموفق الدين عبدالعزيز، وموفق الدين عبداللطيف البغدادي والشيخ أبي العباس الجياني وغيرهم، وقد أظهر في عمله سعة اطلاع ودقة في الملاحظة، وغزارة في التجارب والبحوث، وكانت دراسات «الصوري» لأنواع النبات دراسة دقيقة اتبع فيها المنهج العلمي الحديث الذي سبق في تطبيقه علماء الغرب بسبعة قرون، وكانت بحوثه في ذلك المجال رائدة بكل معنى الكلمة، وأكد فيها إخلاصه في البحث عن الحقيقة العلمية وتكريسه الجهد والوقت لعلمه المتميز، لقد كانت من أبرز مميزات «الصوري» استناده في دراسته علم النبات على دقة الملاحظة والمعاينة ودوام المتابعة وقد تجسد ذلك في تصويره للنبات تصويرًا ملونًا في سائر مراحل عمره، منذ أن يكون بذرة وحتى مرحلة الجفاف الأخيرة، فقد اعتمد على رسام يصحبه في رحلاته الميدانية ومعه الأوراق والألوان المتنوعة فيتنقل بين مناطق النباتات - كسهول لبنان وجباله - فيشاهد أصنافها ويحقق فيها، ويريها للرسام، فيدرس شكلها ولونها وأصولها ومقدار أغصانها وورقها، فيجتهد في تصويرها ومحاكاة طبيعتها وسماتها.. ثم يقوم «الصوري» في ضم تلك الدراسة والصور إلى كتابه القيم «الأدوية المفردة» الذي اشتمل على البحث في ٥٨٥ معقارًا بينها ٤٦٦ عقارًا من أصل نباتي و٤٤ عقارًا من أصل حيواني و٧٥ عقارًا من أصل معدني، وقد أرفقت الرسوم بتعليقات وفوائد طبية كثيرة، وكشف هذا المصنف عن ثقافة «الصوري» الموسوعية في علم الأدوية المفردة وماهيتها واختلاف صفاتها وأسمائها، وتحقيق خواصها وتأثيرها.

نبغ رشيد الدين الصوري إضافة لجهوده في علم النبات، في الطب أيضًا،

الصوري وابن الرومية وابن العوام: الرواد الأوائل في علم النبات

وقد عمل طبيبًا للملك العادل أبي بكر بن أيوب عام ٦١٢هـ/١٢١٥م، واصطحبه معه إلى القدس ومصر، وبعد وفاته عمل طبيبًا لابنه الملك الناصر داود بن الملك المعظم الذي عهد له برياسة الطب، ثم عاد أخيرًا إلى دمشق وأقام فيها، حيث راح المشتغلون بالطب وصناعته يترددون إلى مجلسه ويأخذون عنه تراكيب أدوية الترياق الكبير الذي يمنع آليًا امتصاص السم، وغيرها من التراكيب المبتكرة التي لم يسبقه أحد إلى معرفتها. كذلك وفد إلى مجلسه طلاب العلم والطب في دمشق للاستفادة من خبرته وشروحه. وقد أفاض المحققون في ذكر فضل «الصوري» وبحوثه العلمية الرائدة ومن بينهم: قدري طوقان، وأحمد شوكت الشطي، وعمر رضا كحالة، وأنور الرفاعي، وخير الدين الزركلي، كما أفرد له ابن أبي أصيبعة في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» صفحات للحديث عن مآثره في علم النبات والصيدلة والطب.. وتحدث المؤرخون في الأدوية المفردة، وللصوري مخطوطة بعنوان «تذكرة الكحالين» المشهورة بالكافي في طب العيون، موجودة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، ومخطوطة «الشامل في الأدوية المفردة» بمكتبة السلطان أحمد الثالث في إسطنبول.

توفي رشيد الدين الصوري عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م بدمشق، وبقي إرثه العلمي خالدًا في مؤلفاته الباقية، وفي اقتباسات كثيرة في مؤلفات علماء الغرب.

• يحيى بن زكريا بن العوام

تنظم الحكومات ومؤسسات المياه خاصة، وجمعيات حماية البيئة في العالم، حملات لا تهدأ تدعو فيها إلى ترشيد استهلاك الثروة المائية، والكف عن هدر هذه النعمة الغالية، صونًا لها من النضوب، وعجزها عن توفير حاجات الناس، وترسم تلك الحملات أساليب عديدة لترشيد استهلاك الماء ومن بينها استخدام أسلوب الري بالتنقيط الذي انتشر بشكل واضح في أيامنا.. ولكن علماء المسلمين الرواد كانوا السباقين إلى هذه الدعوة، وتفصيل طريقتها بشكل علمي دقيق.

يعد «يحيى بن زكريا بن العوام» أشهر علماء عصره، ويعود له الفضل في تأسيس علم الفلاحة والزراعة والبيطرة، وأول من شرح طريقة الري بالتنقيط وكذلك أول من وضع ما يُعرف اليوم بالتقويم الزراعي.

• ابن العوام الأندلسي من مواليد إشبيلية في القرن السادس الهجري، ولد في أسرة غنية امتلكت ضيعة خاصة بها أطلق عليها اسم «ضيعة آل العوام» على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير.

انهمك ابن العوام في تأليف الكتب، لكن أكثر مصنفاته ضاعت خلال هجمات الأوروبيين على الأندلس، ولهذا لم يتبق للمكتبة العربية من مؤلفاته سوى: رسالة في تربية الكرم (العنب)، عيون الحقائق وإيضاح الطرائق، والفلاحة الأندلسية، الذي يعد أشهر مؤلفاته فهو يمثل موسوعة زراعية اجتمعت فيها خلاصة معارف الأندلس والمغرب ومصر والعراق في الزراعة والبيطرة وصار مقررًا لدراسة طلاب الزراعة في جامعاتها لعدة قرون، كما نقل منه الأوروبيون، وترجم أكثر من مرة إلى الإسبانية والفرنسية.

• **أبو العباس أحمد (ابن الرومية)**

في مدينة «إشبيلية» ظهرت عبقرية علمية أخرى، أسهمت بدورها في تقدم علم النبات والأعشاب، إضافة إلى عملها في مجالات المعرفة الأخرى كعلم الحديث ومعرفة رجاله والتأليف فيه.

ولد أبوالعباس أحمد بن محمد بن مفرج سنة ٥٦١هـ-١١٦٥م بمدينة إشبيلية، وكان جده مولى لبني أمية، وواحدًا من أطباء قرطبة، مارس العشابة والعلاج بها، ثم تعلم أبوه محمد علم النبات الطبي، وتزوج من امرأة رومية من نصارى الأندلس، فأنجبت له «أحمد» ومن هنا لقب بابن الرومية.

اتخذ أبوالعباس أحمد من الصيدلة حرفة له، ومارسها في دكان لبيع الأعشاب والعلاج بها، والتفت إلى دراسة علم النبات والأعشاب وقواها الطبية، وفوائدها الصيدلانية، في الوقت الذي اهتم فيه بدراسة علم الحديث وضبطه وحفظه والتأليف فيه.. وراح خلال تنقله بين مدن الأندلس وأقاليمه يلازم المحدثين ويستمع إلى الحديث منهم، ويحصل الإجازات عن الشيوخ، فتنقل بين غرناطة وقرطبة، وإلى إقليم الشرف بظاهر إشبيلة، وحبل شلبر (سيرانيفادا) قرب غرناطة ومدن جيان ورندة وجبالها وجبال غلزا شرقي الأندلس، وفيها شاهد الأعشاب وتفحصها متعرفًا إلى خصائصها وطبيعتها..

في عام ٥٨٠هـ - ١١٨٤م توجه أبوالعباس ابن الرومية إلى سبتة بالمغرب للقاء الشيخ أبي محمد ابن الحجري (ت ٥٩٢هـ - ١١٨٦م) ولكنه لم يحظ بالاجتماع إليه.. وإن كان قد حصل على الإجازة منه كتابة خلال رجوعه إلى الأندلس، وكانت رحلة «ابن الرومية» الثانية إلى بلاد المشرق سنة ٦١٢هـ - ١٢١٥م بهدف أداء فريضة الحج وطلب العلم، فاجتاز البحر إلى المغرب ونزل بميناء «بجاية»، وانصب اهتمامه على تحصيل علم الحديث من علمائها، ثم قام بجولات في ريف المدينة الجبلي، لجمع أنواع النبات، وتحري أصنافه فحصل معرفة واسعة عن أعشابها الطبية.

انتقل «ابن الرومية» بعد ذلك إلى تونس وفيها التقى بوزير الموحدين فأخذ هذا منه كتاب «تعليم المتعلم» في أربعين مجلدًا، كان قد حمله معه عند انطلاقه من إشبيلية. وواصل رحلته إلى مصر، فمر بالقيروان والمهدية وقابس وطرابلس وبرقة، وفحص فيها أصناف النباتات والأعشاب.. ولما وصل أخيرًا إلى الإسكندرية (٦١٣هـ - ١٢١٦م) التقى فيها بكوكبة من العلماء والمحدثين، وطوف في أرجائها يعاين الأعشاب ويدرس خصائصها، وقد تناهى إلى سمع الملك العادل أبوبكر بن أيوب، سلطان الشام ومصر، وصول «ابن الرومية» وبلغه ما يمثله هذا العالم من مكانة وشهرة ذائعة، فاستدعاه إلى «القاهرة» فأقام فيها عامين، أعد خلالهما مجموعة من الأدوية النافعة..

واصل «ابن الرومية» رحلته إلى القدس، حيث توقف يدرس كعادته نباتات بيت المقدس وضواحيه وجباله، ثم توجه إلى الحجاز فتجول فيها وتعرف إلى أعشابها.. وبعد أدائه الفريضة، يمم شطر العراق، وهناك تعرف إلى رجال الحديث ببغداد، كما اتصل بالعديد من أصحاب الخبرة في نباتات وأعشاب العراق، وتابع سفره من ثم إلى الشام مرورًا بحران وحلب وكان كلما تجول يضيف إلى معارفه معلومات عن النباتات الطبية واستخداماتها، والتقى بابن القفطي (توفي ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) ودارت بينهما محاورات عن النبات والأعشاب ووصل «ابن الرومية» بعدها إلى دمشق، ثم من جديد إلى القدس فمصر لتنتهي رحلته أخيرًا بعد ثلاث سنوات من الاطلاع والبحث وجمع المعلومات عن أنواع الأعشاب والنبات.

عاد «ابن الرومية» إلى «إشبيلية» وفي جعبته مخزون ثر من المعلومات حصلها من مشاهداته ومعايناته ودراسته للنباتات في بلاد المغرب والمشرق التي تنقل فيها أثناء تطوافه في الأقاليم والمدن، وقد أغنى تلك المحصلة بما استمع إليه من علماء الأعشاب والعطارين، وما جمعه من أفواه الأعراب والبربر وسكان تلك الأقاليم بما يخص أسماء تلك النباتات وخواصها الطبية واستخداماتها في علاج العديد من الأمراض، وأثبت تلك المعلومات في كتاب فريد في بابه سماه «الرحلة».

استقر «ابن الرومية» في إشبيلية، وتوزع نشاطه العلمي فيها على ثلاثة محاور:

١- ممارسة حرفته كعشاب متخصص في النباتات الطبية، في دكانه بالمدينة.

٢- تدريس النبات والأعشاب الطبية، حيث تقاطر إليه طلاب العلم في الشريعة والعلوم الطبيعية، وكان من بينهم العالم العربي الشهير «ابن البيطار» (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).

٣- انصرافه إلى تأليف عدد من الكتب والرسائل تضمنت معلومات وشروح وتعليقات في أكثر من مجال علمي، وقد ضاع أكثرها وبالذات مؤلفه المهم «الرحلة النباتية» الذي حفظ ابن البيطار مقتطفات منه أوردها في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» وقد بلغ عددها ٨٥ اقتباسًا رتب ابن الرومية فيها أسماء النباتات ترتيبًا هجائيًا على حروف المعجم. وقد أشار «ابن أبي أصيبعة» في مؤلفه: «طبقات الأطباء» إلى كتاب ابن الرومية «تفسير أسماء الأدوية المفردة» من كتاب «ديسقوريدس» وإلى مقالة في تركيب الأدوية.

توفي ابن الرومية بإشبيلية سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، وبقيت معلوماته عن النباتات ومواطنها ومعارفه عن الأدوية وقواها ومنافعها مصدرًا لمعارف علماء الغرب وبحوثهم إلى زمن طويل.

لغة وأدب

أطفالنا وتراثنا الأدبي

يقول الأستاذ أحمد حسين أبوعرقوب في كتابه محاضرات في أدب الأطفال:

لا يمكن فصل أدب الأطفال عن أدب الكبار، من حيث إنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، فأدب الأطفال هو كل ما يحتاج إليه عقل الطفل وخياله، ويكتبه الكبار بمستويات فنية إبداعية، تناسب قدرات الطفل، وتغذي نواحي الخيال فيه، فالكلمة المنطوقة والمكتوبة، التي تسعد الأطفال وتسليهم، وتطور وعيهم وطريقة فهمهم للحياة، وتنمي إدراكهم الروحي، ومحبتهم للجمال ولروح المرح، وتوسع أفق القراءة عندهم، وتعمق أبعاد استمتاعهم بها، سواء كانت خرافة أو أسطورة، أو قصة واقعية ربما أغرب من الخيال، أو مغامرة غنائية، أو قصة شعرية، في صورة حكمة، أو لغزا على لسان الإنسان أو الحيوان أو الجماد، هي دائمًا مفاتيح في أيدي الأطفال لفهم الجنس البشري، ولمعرفة نمو الإنسان على درب التاريخ وعبر مختلف الحضارات، تمكن الأطفال من التصدي لمخاوفهم واقتلاعها، وتطلق لأحلامهم وطاقاتهم الإبداعية العنان.

ومما تقدم ذكره نقول:

إن تراثنا الأدبي تراث غني بروائع الأدب القصصي الهادف التي يمكن لمؤسساتنا الأدبية والثقافية والتربوية استلهامها وتقديمها لأطفالنا بأسلوب عصري يمكنه التصدي للثقافة الوافدة التي تستهدف عقول أبنائنا لغرس مفاهيم تتعارض وقيمنا الإسلامية.

«محاضرات في أدب الأطفال»
أحمد أبو عرقوب

النهضة الفكرية والأدبية في عصر الموحدين بالمغرب

محمد القاضي

كانت بداية ظهور دولة الموحدين بالمغرب حوالي سنة ٥١٥هـ وذلك على يد محمد بن تومرت، الملقب بالمهدي، وقد تزعم في بداية الأمر دعوة تقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي جعل شعارها «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ويكاد يتفق جميع المؤرخين والباحثين أن هذه الدعوة اكتسبت طابعًا دينيًا محضًا.

لقد استغل المهدي بن تومرت جميع الميادين من أجل نجاح دعوته وتحقيق غايته، فادعى المهدوية وقال بالعصمة والإمامة وسفك الدماء دون تورع ولا توقف، وخاض معارك طاحنة ضد المرابطين، تمخض عنها انهزام المرابطين وقيام دولة الموحدين.

لقد اعتمد الموحدون منذ بداية ظهورهم على القوة العسكرية في نشر دعوتهم وتأسيس دولتهم، فاعتنوا بتنظيم الجيش تنظيمًا لم يعرفه المغرب من قبل، وسهروا على تدريبه وتسليحه، ولا نبالغ إذا قلنا إن فترة التحول من الدولة المرابطية إلى الدولة الموحدية- وخصوصًا فترة حكم عبدالمؤمن وخليفته يوسف- كانت فترة من أزهى عصور المغرب الإسلامي من النواحي العسكرية والسياسية والفكرية والعمرانية.

وفي مجد عظمتهم الدينية والحضارية يذكر التاريخ أن الملك «جون» ملك الإنجليز بعث سنة ١٢١١م وفدًا رسميًا لمفاوضة الخليفة عبدالله محمد الناصر لإعلان الإسلام في بريطانيا وإلحاقها بدولة الموحدين، ويتحد معها ويطبق شريعتها ويقدم لها الولاء والطاعة مقابل حمايتها ضد البابا والبارونات.

المستوى الفكري الأدبي

لقد أصبح للمغرب في عهد الموحدين حضارة متميزة لأنها ظهرت بروح جديدة تخالف أساليب الدولة المرابطية قبلها، فقد أسس الموحدون المدارس بمراكش وسلا وفاس وسبتة وجعلوا التعليم إجباريًا في الحواضر والبوادي على السواء واعتنوا بتأسيس المكتبات العامة، واهتموا بالجيل الناشئ وتوجيهه توجيهًا خاصًا يطابق النهج العقائدي للدولة الموحدية، وتميز عهدهم بالحرية الفكرية وتشجيع رجال الفكر وتقديرهم والعناية بهم، ويذكر صاحب «المعجب» أن عبدالمؤمن كان مؤثرًا لأهل العلم محبًا لهم، محسنًا إليهم يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم (١).

الأدب الموحدي لم يكن إلا انطلاقة لأسس ثقافية إسلامية لها منظورها الخاص

وقد ساعدت هجرة العلماء وأقطاب الفكر العربي وخصوصًا من الأندلس والقيروان (تونس) على ازدهار الحركة الفكرية بالمغرب ونشطت نشاطًا منقطع النظر في مختلف الميادين منها الفلسفية والدينية واللغوية والأدبية والعلمية، وأصبحت مراكش أيام ازدهار الحضارة الموحدية مدينة علم وفكر وفن وأدب تضج بأعلام كبار في كل فن أمثال: ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبني زهر وغيرهم كثير.

لقد كان النشاط الفكري موازيًا للتوسع الإمبراطوري والتطور الحضاري، ويذكر الباحث المغربي محمد المنوني أن فضل الموحدين على المعارف كان عظيمًا، فإنهم حافظوا على ما اختاروه منها إلى حد كبير وشجعوها كما شجعوا كثيرًا من العلوم التي لم تكن رائجة أو كان محظورًا رواجها في العهد المرابطي وطبعوا كل ذلك بطابعهم الثلاثي الخاص: العظمة، الدين، التجديد، وإن تشجيعهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغًا عظيمًا وكان تشجيعًا ماديًا وأدبيًا (٢).

مما لاشك فيه أن الحركة الأدبية في عهد الموحدين قد استفادت من النهضة الأدبية التي ورثوها عن المرابطين، وحاولوا أن يطبعوها بطابع دولتهم الفتية، فازدهرت في عهدهم المعارف وتوافرت لديهم عوامل ازدهار الأدب وكثر الإقبال عليه، وتمتنت العلاقة أكثر من ذي قبل مع رجال الفكر بالأندلس الذين وفدوا على بلاط الموحدين بمراكش، وكان لاهتمام الخلفاء بالأدب والأدباء الأثر الواضح في نهضة الأدب العربي على أرض المغرب في هذا العصر، وكان أهم ما امتاز به هذا الأدب هو البساطة والطابع الديني والابتعاد عن سفاسف القول والتحرر- نسبيا- من بعض الموضوعات التي كانت شائعة في الأدب العربي، وهكذا نجد اختفاء شعر الغزل والخمريات من الساحة الشعرية، وذلك تماشيًا مع طابع الدولة الديني الذي يحرم ذلك.

أكاديمي مغربي

وكان المدح والفخر والحماسة من أهم الأغراض رواجًا في حضرة الخلفاء، وأصبح الشعراء في عهدهم أول أجهزة إعلام عرفها المغرب، فقد اجتهدوا في إرضاء الخلفاء برسمهم هالات من العظمة والتقدير حولهم، فخلدوا المآثر وشادوا بالذكر الحكيم وحققوا ما كانت تطمح إليه نفوس القائمين على تسيير شؤون الدولة، وقد أغدق الخلفاء على هؤلاء الشعراء الجوائز الكثيرة حتى بلغ الأمر بالخليفة عبدالمومن أن منح الشاعر التيفاشي ألف دينار على بيت واحد من الشعر أنشده إياه، كما جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (٣):

ما هز عطفيه بين البيض والأسل
مثل الخليفة عبدالمومن بن علي

ويذكر التاريخ الأدبي أنه حينما عبر عبدالمومن إلى الأندلس للمرة الأولى ونزل بجبل طارق الذي سماه هو «جبل الفتح» تقاطر عليه الشعراء من كل حدب وصوب، وأنشده شعراء عديدون، منهم شاعر فاس ابن حبوس الذي أنشده قصيدة جاء فيها:

بلغ الزمان بهديكم ما أملا
وتعلمت أيامه أن تعدلا
ويحسبه إن كان شيئًا قابلًا
وجد الهداية صورة فتشكلا

وكان الشاعر «الجراوي» الذي لقب بشاعر الخلافة الموحدية كثيرًا ما يتباهى أمام أقرانه بالقولة الشهيرة التي خصه بها الخليفة عبدالمؤمن وهو في جبل الفتح «يا أبا العباس إنا نباهي بك أهل الأندلس».

وتذكر المصادر الأدبية أن الخليفة المنصور أعطى لابن منقذ رسول صلاح الدين الأيوبي ألف دينار لكل بيت من القصيدة التي مدحه بها وتضم أربعين بيتًا منها:

سأشكر بحرا إذا عباب قطعته
إلى بحر جود ما لآخره ساحل
إلى معدن التقوى إلى كعبة
إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
إليك أمير المؤمنين ولم تزل
إلى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت إليك البر والبحر موقنًا
بأن نداك الغمر بالنجح كافل (٤)

لقد كان هذا الضرب من الشعر سجلًا وافيًا ووثيقة تاريخية مهمة استعان به المؤرخون والباحثون في الوقوف على أحداث ووقائع مهمة، تعتبر خلاصة اللحظات التي كانت تصاحب مسيرة هذه الدولة في تطورها وازدهارها.

ويتضمن كتاب «المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة ديوانًا من الشعر المتين السليم شارك فيه كل من ابن حبوس وابن سيد المالقي وأبي العباس اللص والشاعر الطليق وابن حربون والمواعيني وابن طفيل وابن الحكم البلنسي وغيرهم، وأكثر هذا الشعر الرسمي متأثر بالأسلوب والوزن المعروفين في المشرق على عهد أبي تمام والمتنبي، وجلها يدور حول الشعر السياسي الذي أرادوه أن يكون بمنزلة مكبر صوت تذاع عبره وجهات نظرهم السياسية والعقائدية بشكل مباشر.

ولئن كان الشعر قد عبر عن هموم الدولة وسعيها إلى إبراز وجودها، فإن النثر قد صار بمحاذاة الشعر يسجل مفاخرها ويركز على خصوصيات طابعها العقائدي من خلال تراكم الرسائل التي خطها ناثرو ذلك العصر كأبي جعفر بن عطية الأديب الوزير، فقد وصلتنا بعض من رسائله النثرية ذات أهمية تاريخية وأدبية حققها ونشرها المستشرق الفرنسي «ليفي بروفنسال» في كتاب «مجموع رسائل موحدية» الصادر عن مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية سنة ١٩٤١م حيث يرى أن هذه الرسائل تعرض لنا بيانا مباشرا دقيقًا منظمًا لأهم الحوادث التي وقعت في أيام الموحدين من تدابير سياسية وإصلاحات اجتماعية وغزوات وانتصارات حربية، كما أنها تمكن الدارس من الوقوف على تطور الآداب بالديار الغربية الإسلامية من نماذج شتى عن فن الكتابة الرسمية في العهد الموحدي.

إن الأدب الموحدي الذي برز بشكل واضح في تاريخ الفكر المغربي لم يكن إلا انطلاقة لأسس ثقافية إسلامية لها منظورها الخاص من تاريخ الفكر العربي والإسلامي.

الهوامش

١- المعجب، عبدالواحد المراكشي، ص ٢٩٣.
٢- انظر كتاب الآداب والعلوم والفنون على عهد الموحدين، محمد المنوني، ص ١٥.
٣- انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ص ٣٩١، ج١.
٤- انظر الأبيات في كتاب: نفح الطيب، المقري، ت: إحسان عباس، ج١، ص ٤٤٥.

يفتقد معناه الصحيح عربيًا

أدب السيرة الذاتية.. ما له وما عليه

القاهرة- دار الإعلام العربية

ليست مجرد أوراق تتوالى لتكون كتابًا أو مجلدًا مليئًا بالمعلومات، لكنها وقائع وتجارب حفرت في وجدان صاحبها، تتراوح بين نشوة وألم، رضا وندم، انتصار وهزيمة، راحة وبلاء، بعضها كان شاهدًا على فترات تاريخية مهمة مثل سيرة محمد مهدي الجواهري التي رصدت نشوء الحركات الأدبية في العراق، وسيرة الشاعر التشيلي «بابلو نيرودا» الذي عاصر فترات عصيبة من تاريخ دولته، وبعضها كشف عن صور مؤسفة لظلم البشر مثل ثلاثية «السجينة»، «الغريبة» «حدائق الملك» للكاتبة المغربية مليكة، والبعض الآخر نقل خبرات وتجارب حياتية استمدت قيمتها من قيمة أصحابها مثل «الأيام» لطه حسين، و«عشت لأروي» لصاحب نوبل الكولومبي ماركيز وغيرهما كثير.

يقول الناقد والأديب الفلسطيني إحسان عباس: إن كاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلوب الناس، لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بينهم وبينه، متحدثًا عن دخائل نفسه وتجارب حياته حديثًا يلقى آذانًا واعية، لأنه يثير في الناس رغبة في الكشف عن عالم يجهلونه.

ويضيف عباس: كل سيرة إنما هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، وأصبحت في نفس صاحبها نوعًا من القلق الفني فلابد أن يكتبها.

اعترافات صادقة

لكن مثلما حوت محاولات كتابة السيرة الذاتية، خاصة في عالمنا العربي، جوانب إيجابية كثيرة، سواء من خلال ما كشفت عنه من وقائع وما قدمت من وثائق للتاريخ، أو ما نقلته من تجارب تحمل العظة والعبرة للقارئ، فقد شابها جانب من القصور أفصح لنا عنه بعض الكتاب الذين كان لهم باع في قراءة وكتابة هذا الفن، فيقول الروائي خيري شلبي: السيرة الذاتية لابد أن تكون اعترافات صادقة

خيري شلبي: سيرة المبدع ليست مُلكًا له وحده

بحيث يضع الكاتب ماضيه كله ووقائع حياته على المشرحة، يحلل مواقفه في الحياة، ليأخذ منها العبرة والعظة من أخطائه قبل أخطاء الآخرين، وعليه ألا يحاول تجميل نفسه حتى يصدقه القارئ، وحين ينتهي الكاتب من سيرته الذاتية ويرى أن نجاحه كان مبنيًا على أسس الكفاءة يستريح لذلك، أما إذا كان نجاحه مبنيًا على طرق غير شرعية فإنه بذلك يكون قد قام بعملية تطهير خادعة.

ويضيف: إن أهم ما يميز أدب السيرة الذاتية أنه يعلم الصدق في مواجهة النفس، وللأسف هذا ما يفتقر إليه كثير من المبدعين العرب حين يشرعون في كتابة سيرهم الذاتية، فعندما كتب أبوحامد الغزالي سيرته «المنقذ من الضلال» لم يكتب وقائع من حياته، وعندما كتب توفيق الحكيم «عصفور من الشرق» و«زهرة العمر» كان ينقصهما القدر الأكبر من الصراحة والموضوعية.

حياة غير عادية

ويرى شلبي أن طه حسين كان أكثر صراحة وتجردًا حينما كتب رواية «الأيام»، يليه كتاب «سبعون» لميخائيل نعيمة الذي عرض فيه خبرته الذاتية، وما حدث له في المهجر وملحمة نضاله مع جبران خليل جبران، كذلك يعتبر كتاب «أوراق العمر» للويس عوض كتابًا متقدمًا في السيرة الذاتية، و«حملة تفتيش» للطيفة الزيات وسيرة المؤرخ رؤوف نظمي وعصمت سيف الدولة.

وعن سمات كاتب السيرة الذاتية يوضح أنه إذا كان الكاتب قد عاش حياة غير عادية أو تقليدية، وشغل فيها مناصب هامة، وترتب على وجوده تقدم وإفادة للمجتمع، فمن حقه، بل من واجبه كتابة سيرته الذاتية.

أما عن سيرته الذاتية فيقول: عكفت على كتابة فصول من سيرتي الذاتية التي ستصدر قريبًا، لأنها ليست سيرتي وحدي، فهناك أطراف كثيرة شاركوا فيها ولا أزعم أنني أستطيع التعبير عن وجهة نظرهم.

صدق وبناء جيد

بدوره، يرى الناقد وأستاذ الأدب العربي

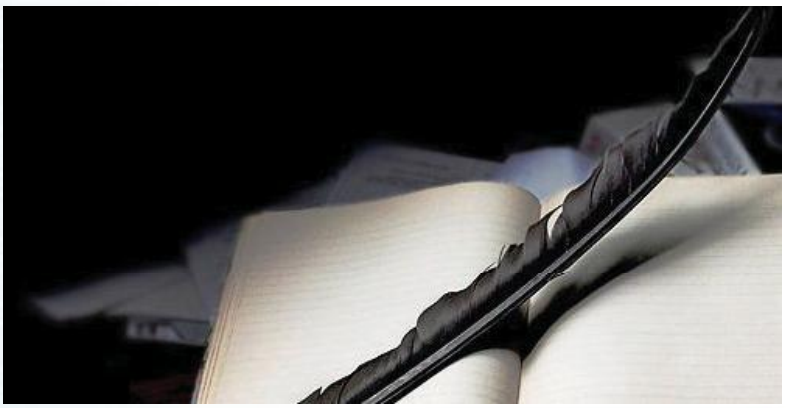

سيد البحراوي: الصدق والبناء الجيد شرطان أساسيان

سيد بحراوي أن الصدق والبناء الجيد شرطان أساسيان لكتبة السيرة الذاتية، فلابد أن يكون الكاتب فنانًا محترفًا يجيد ربط الأشياء ببعضها وتجميع العلاقات بين أجزاء العمل بحيث لا تكون مجرد يوميات، خاصة أن الكاتب في المجتمعات العربية لا يملك الحرية الكاملة عند كتابة مذكراته بسبب الرقابة الداخلية التي تمنعه من أن يصل إلى أعماق الأشياء عند كتابتها.

ومن المهم أن تكون هذه السيرة لشخصية اعتبارية قدمت إسهامات حقيقية للمجتمع، وفي حياتها تجربة إنسانية مفيدة للآخرين.

جوانب لا تذكر

ويختلف الكاتب يوسف الشاروني مع خيري شلبي حول محاولات كتابة السيرة الذاتية بشكل تظهر فيه ذاتية الكاتب، موضحًا أن كتاب «التعريف بابن خلدون» لم ينقل تجارب شخصية، بينما كتاب «المنقذ من الضلال» للإمام أبوحامد الغزالي كان فيه ذاتية أكثر حينما رصد تجربته في التحول إلى الإيمان، والتي شبهها البعض باعترافات القديس أوجستين في الغرب، كذلك كتاب أسامة بن المنقذ أحد الفرسان في صفوف جيوش نورالدين الزنكي ضد الصليبيين الذي تحدث فيه عن تجربته في الحملات على الصليبيين.

وعن سيرته الخاصة «ومضات الذاكرة» أوضح الكاتب يوسف الشاروني قائلا: كتبت عن تجربتي في الكتابة وتجربتي العاطفية القديمة ومع زوجتي، وأشركت الآخرين في كتابة سيرتي، فنقلت نقد ورسائل الأصدقاء، فضلا على هجاء بعض الأشخاص لي وردي عليهم، لكن أيضًا لم أكتب كل شيء، فهناك جوانب بالطبع لا يستطيع الكاتب ذكرها.

وأردف قائلا: علينا كعرب أن نعترف بأن المدرسة الغربية كانت أكثر صراحة في كتابة السيرة الذاتية، فالأديب الفرنسي «جان جاك رسو» كتب في مذكراته كيف عانى من الفقر، حتى إنه لجأ إلى كنيسة، والبعض لم يخجل من ذكر اعترافات جنسية، لكني من أنصار المدرسة الوسطية في كتابة السيرة الذاتية التي لا يقدم فيها الكاتب نفسه بصورة ملائكية وفي نفس الوقت لا يتحول إلى قدوة سيئة للقراء.

ثمرات المطابع

في سلسلة إصدارات مجلة الوعي الإسلامي صدرت الطبعة الأولى من الاصدار الثامن عشر في مجلد فاخر تحت عنوان «الحوالة» وهذا الاصدار يقع في ٢٧٠ صفحة من القطع المتوسط ويتضمن بحثًا أعده بالاشتراك مع خبراء الموسوعة الفقهية الكويتية عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م العلامة الفقيه الدكتور مصطفى أحمد الزرقا «يرحمه الله» ويعد الكتاب من أرصن البحوث المعاصرة في باب خطير من الابواب الفقهية وهو موضوع الحوالة وطبيعتها وخلاف أئمة الفقهاء في شتى تفاصيلها وجزئياتها إضافة الى ترجيح وتقويم في بعض المسائل.

كما وزعت المجلة مع عدد شهر رمضان الماضي الاصدار الثالث والعشرون حول فقه المريض في الصيام وهذا الاصدار الجديد عبارة عن كتيب في ١٦ صفحة من القطع الصغير يحوي في طياته أحكامًا شاملة تتعلق بصيام المريض.

■ (ثقافتك التربوية والتعليمية) كتاب تربوي يقع في حوالي مائة وعشر صفحات من القطع المتوسط وهو من تأليف د. بدر عبدالرزاق الماص والكتاب لبنة مضيئة للدعاة والمصلحين وطلاب العلم كي يجددوا ثقافتهم.

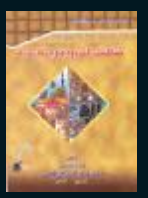

■ عن الدار العربية للعلوم صدر كتاب (قصة تكنولوجيا الالكترونيات) وهذا الكتاب جزء من سلسلة قصة تكنولوجيا وتضم كل جزء من هذه السلسلة مناقشة للتصورات التكنولوجية مع وصف لتأثير التكنولوجيا على النطاق الواسع للمجتمع والثقافة.

الكاتب والناقد د. صلاح فضل:

الإبداع ليس جزيرة معزولة عن المتلقي

القاهرة - دار الإعلام العربية

ناقد بصير بفنون الأدب العربي، يتميز بلغته الفصيحة الرشيقة، ومتابعته الدؤوبة لما ينتجه الأدباء من شعر وقصة ومسرحية، معايش لكل اتجاهات الأدب العالمي وتياراته النقدية.. هذا هو الناقد والمفكر المصري د.صلاح فضل، الذي التقته «الوعي الإسلامي» متحدثا عن واقع النقد العربي، وانتشار ثقافة المدونات، والسبيل إلى تشكيل نظرية نقدية عربية، إلى غير ذلك من التفاصيل التي نتعرف إليها في سياق السطور التالية:

● دائما ما تثار مشكلة بين الناقد والمتلقي بسبب المصطلحات والأساليب النقدية الغامضة.. إلى أي مدى اتسعت أو تقلصت هذه المشكلة؟

■ للأسف المشكلة اتسعت، وأصبحت الفجوة لا تتمثل في المسافة الكبيرة ما بين الناقد والمتلقي فقط بقدر ما تتمثل في فجوات أخرى تزيد القضية صعوبة، منها أن الأجيال السابقة كان لها طرائقها ووسائلها في كسر هذه الفجوة، وكان هناك بشكل مستقر ومنتظم المجلات الأدبية والصفحات الأدبية ومنابر ثقافية يطل منها النقّاد عادة ليقوموا بواجبهم في إضاءة الأعمال الإبداعية، وترتيب قيم المبدعين وتعزيز ومقاومة أحكام الجمهور عليهم في القبول أو الرفض، وبث بعض الأفكار النقدية التي تساعد المتلقين على تبين طبيعة الأدب وعلاقته بالحياة، وقيمه الجمالية والإنسانية، والجيل الماضي السابق عليَّ مباشرة وعلى جيلي استقر عند شكل معين من هذه العلاقة؛ لأن النقاد كانوا منشغلين بتكوين الرأي العام الثقافي وكانوا يجمعون بين موهبة الإبداع الأدبي وبين النقد مثل طه حسين وكثير من أبناء جيله.

ثم جاء النقاد المتخصصون أمثال لويس عوض وعلي الراعي وكانت لهم منابرهم المنتظمة وطرائق تواصلهم مع الجمهور، صحيح كان مدى رؤيتهم متسعًا ليشمل الوطن العربي كله، حيث إن إبداعاتهم غير قاصرة على المحيط الإبداعي المصري، وهذه ميزة أساسية أتحدى الناقد العربي الآن أن يتسع مجال رؤيته ليشمل الوطن العربي بأكمله، لكن المهتمين والمشتغلين بالثقافة والأدب والنقد في عمومهم قلة معينة يمثلون الطليعة الفكرية في المجتمع.

أتحدى الناقد العربي الآن أن يتسع مجال رؤيته ليشمل الوطن العربي بأكمله

جيل المدونات

● هذا قديما.. فماذا عن الآن؟

■ الوضع الآن أصبح أكثر صعوبة؛ لأنه حدثت فجوة كبيرة بين الأجيال، فلم تعد الصحف ولا المجلات هي منتديات اللقاء الأدبي، إنما أصبحت المنتديات والمدونات على النت والفيسبوك والمواقع الأخرى، وهذا العالم الفوار يتضح كل يوم خطورة انتشاره وسعة تأثيره، فقد أفرز العديد من الكُتَّاب الذين لا أستطيع توصيف أنواع كتابتهم ولا أجرؤ أن أسميها بأنها أدبية أو ثقافية؛ لأنها كتابة ذات خصائص جديدة، ولم تتحدد معالمها بالتحديد مع وجود معلقين ومشاركين ومتفاعلين مع هذه الكتابات، ولا يمكن أن نصفهم بأنهم نقاد، وأصبح هناك حالات مختلفة تمامًا في تكييف طبيعتها وفي محاولة استخلاص نظامها وقوانينها وفي إضاءة جوانبها المختلفة من التواصل الثقافي والأدبي والاجتماعي المختلط بشدة بعناصر سياسية وتواصلية متعددة، في مثل هذه الظروف الجديدة لم يعد الأدب أدبًا، وإنما أصبح لونًا من المواقع والمنتديات التي يلتقي فيها المنتجون بعضهم بالبعض الآخر، ويمكن أن تشبه هذا بالسوق التي يبيع فيها كل واحد ويشتري في الآن ذاته، أستطيع أن أعرف الموقع وأميزه عن المواقع الأخرى بعدد زائريه وبسرعة انتشاره، لكن ليس بقيمتهم وعددهم، مثلما كان عدد النسخ المنشورة في زمن المطبوعات والتي كانت مؤشر المستوى أو عظمة الكتابة، الآن عدد الزائرين لا يدل إلا على درجة إثارة الموضوع وحماسة التعليقات بغض النظر عن مسألة القيمة، وهذه واحدة

من مظاهر الاختلاط التي لم يستطع المنظمون والمشاركون في هذه الأسواق أن يربطوها بالقيمة الجمالية أو الفكرية.

والأمر الثاني اختلط فيها بعضها بالبعض الآخر، لا نستطيع أن نميز فيها -كما كنا نميز- الأشكال الأدبية (شعرًا أو قصة أو رواية أو مقالا)، حيث إن كلا منها له معالم محددة، فالكتابات الأخرى كتابات مهجنة يختلط بعضه بالآخر، لاشك أن فيها عناصر شعرية جيدة لكنها ليست صافية، فهي عناصر فردية مرتبطة بالحكاية والحواديت، وفيها عناصر سخرية وفيها أيضا عناصر حادة لاذعة وأخرى فاضحة، وفيها أمزاج من عناصر كثيرة لا تصنع تقاليدها ولم تكشف عن وجهها النقدي وكذلك القوانين التي تحكمها.

● يدفعنا هذا إلى السؤال عن الخريطة الشعرية العربية.. كيف تقرأ ملامحها؟

■ هناك بعض الظواهر اللافتة في الخريطة الشعرية العربية تنبهنا إليها حركة الإنتاج الإبداعي كما تتجلى في المتقدمين لمسابقة أمير الشعراء، بعضها يتصل بالتوزيع الجغرافي المرن لهم، وبعضها يتعلق بغلبة بعض التيارات على إنتاجهم، وقد لاحظت مبدئيا أن البيئات العربية التي أصبحت خصبة في إنتاج الشعر الفصيح امتد فضاؤها لدى الأجيال الشابة لتغمر مناطق كانت خارج المنافسة المحتدمة بين العواصم المركزية، ومن أهمها منطقة الشمال الإفريقي في الجزائر والمغرب وتونس، وموريتانيا بوضعها الخاص في إيثار التقليد واعتبار الشعر ميراثًا ثقافيًا مميزًا، بهذا الترتيب المختلف عن نسقها الإبداعي من قبل، فحركة التعريب

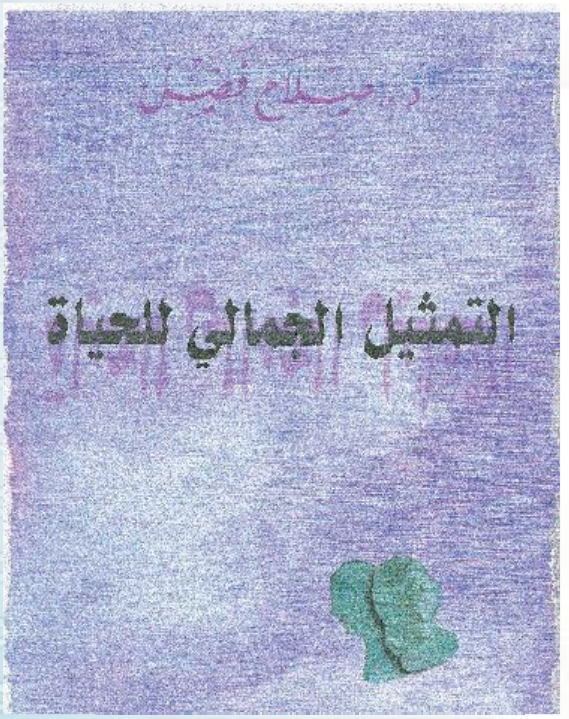

«المدونات والفيسبوك» أفرزت كتابات لا أجرؤ أن أصفها بأنها أدبية أو ثقافية!

العارمة في الجزائر وتأصل روح الحماسة للثقافة العربية غمر طائفة من الشباب الساعي إلى تأكيد هويته، في مقابل العجمة التي كانت سائدة لدى الأجيال السابقة.

الشباب والمحتوى الرقمي

● أشرت إلى جيل المدونات.. فكيف ترى التجاء الشباب إليها في ظل عدم وجود مطبوعات ورقية تهتم بكتاباتهم وآدابهم؟

■ في ظني الشباب يلجأون إلى المحتويات الجديدة الرقمية أكثر من محتويات الإبداع العادية المطبوعة؛ لأن هذا تطور مرتبط «بالميديا» ذاتها، وبروح العصر الذي يعيشون فيه، وليس لأن المطبوعات الورقية أو القائمين عليها يديرون للشباب ظهورهم.. فضلا عما توفره هذه المواقع والمدونات من سرعة انتشار تختزل المكان والزمان، وتمنح المبدع الشاب فضاءات واسعة من الحرية التي لا يوفرها مجال النشر التقليدي.

● برأيك.. ما الذي يحتاجه القارئ من الأدب؟

■ هذا السؤال يجعلني أفرق بين الحياة اليومية والإبداع الأدبي، لنقل إن في الحياة الإنسانية جوانب لا يستطيع أداء وظائفها إلا من ينتج وينجم عن الأدب، وأكتفي بذكر ثلاثة عناصر أساسية؛ أولها الخيال، فالخيال شرط فارق للإنسانية كلها وهو الحد الفاصل بين الإنسان وغيره من المخلوقات، والخيال لا يتمثل في القدرة على استحضار الماضي وتجاربه والقدرة على توهم المستقبل وآفاقه فحسب، إنما القدرة أيضًا على الوصول إلى حلول عديد من المشكلات، والخيال هو أكبر مظهر في إبداع الإنسان سواء كان خيالا علميًا أو أدبيًا.. أما العنصر الثاني فهو الفكر والعقل، وهنا ارتباط جوهري بين ارتفاع نسبة الذكاء وبين القدرة اللغوية، ليس هنا ملكة من مجال وديناميةتنمي طاقة الإنسان في تشغيل اللغة وابتكار أشكال فيها واختلاف تشكيلات منها مثل الأدب الذي هو من صناعة اللغة وفن صناعة الذكاء؛ إذن هو فن صناعة العقل وفن صناعة التقدم.

والعنصر الثالث هو الأدب؛ الابتكار البشري العظيم الذي يسيطر على غرائز الإنسان، فالأدب هو ثمة العواطف

النبيلة فكلها صناعة أدبية.

نظرية عربية

● أخيرا.. إلى أي مدى استطاع النقد العربي أن يتجاوز النظرية البنيوية ويشكل نظريته العربية؟

■ النظرية البنيوية كانت منطقة عبور أو انتقال من نوع معين من النقد إلى نوع آخر، كان السابق عليها قبل البنيوية ما نطلق عليه النقد الإيديولوجي مثل النقد الماركسي الذي يعبر عن صراع الطبقات، والنقد الوجودي الذي يرى أن القضية الأساسية هي قضايا الحريات، والأدب لابد وأن يكون ملتزمًا بقضايا المجتمع.. وفي البلاد المستعمرة لابد أن يكون مناضلًا من أجل حريتها واستقلالها، والنقد النفسي الذي يرى أن الأدب صورة للنفس وتتعرف إليه بتحليلاتنا للأعمال الأدبية من منظور نفسي، كذلك أشكال عديدة من النقد ذات صبغة أيديولوجية، ومعنى ذلك أن الأدب له وظيفة محددة يرتفع بنسبة أدائه لهذه الوظيفة وينخفض إذا قصر عنها، لكن دائمًا كانت هناك معضلة لم يستطع النقد الإيديولوجي أن يجيب عليها ويتجاوزها، وهي أن كثيرًا من الأعمال التي لا تتوفر فيها هذه الخواص الإيديولوجية كانت أعمالاً خالدة؛ ولم يكن النقد الإيديولوجي قادرًا على أن يربط بين ارتفاع مستوى القيم للأعمال الإبداعية من ناحية وبين إشباع الحاجات الاجتماعية المباشرة من ناحية أخرى، بل كان يفاجأ هذا النقد الإيديولوجي بأن أشد الأعمال استجابة لمتطلبات المجتمع كانت الرديئة منخفضة القيمة، وأن الأعمال العظمى ترتفع عن عصرها وعن مستوى القيمة وتظل خالدة مع الأجيال مع اختلاف الظروف اختلافًا قاطعًا.

وهناك ثلاثة عناصر ضرورية لتشكل نظرية النقد العربي الآن؛ العنصر الأول لابد وأن يكون جامعًا بين تاريخ وثقافة وتراث الإبداع العربي، ومن ينفصل عن تاريخ عقله وثقافته وإبداعه لا يستطيع أن يفهم إنتاجه المعبر؛ لأنه مغروس في قلب جذوره في قلب هذا التاريخ، الأمر الثاني أن يدرك ماذا يكتب العالم العربي الآن بكتابه؟ ولا نستطيع أن نحفظ كل التاريخ القديم ونعمى عن رؤية ما تم إنتاجه الآن، أما الأمر الثالث فهو أن نعرف القوانين الإنسانية التي انتهت إليها علوم الأدب مما يتجاوز إليها الفنون والثقافات المختلفة مثل قوانين العلم، لا يستطيع أن يكون هناك ناقد كبير إلا إذا امتزجت الثلاثة أمور السابقة لتشكل منظومته ومنظوره النقدي والوعي العميق بتاريخه الثقافي والتراث العربي والانفتاح الحقيقي على نتاج الفكر الإنساني، إذا طمس أمامه باب من هذه الأبواب الثلاثة سيظل النقد العربي أعور.

صلاح فضل في سطور

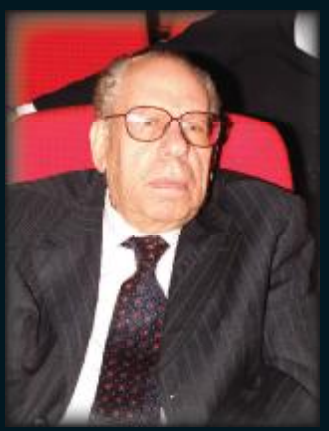

ولد الناقد صلاح فضل بقرية شباس الشهداء بدلتا مصر في ٢١ مارس عام ١٩٣٨م، اجتاز المراحل التعليمية الأولى الابتدائية والثانوية بالمعاهد الأزهرية، ثم حصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٦٢م، ومن ثم عمل معيدًا بالكلية ذاتها منذ تخرجه حتى عام ١٩٦٥م.

بعدها أوفد في بعثة للدراسات العليا بإسبانيا وحصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة مدريد المركزية عام ١٩٧٢م، عمل في أثناء بعثته مدرسًا للأدب العربي والترجمة بكلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد منذ عام ١٩٦٨م حتى عام ١٩٧٢م، تعاقد خلال الفترة نفسها مع المجلس الأعلى للبحث العلمي في إسبانيا للمساهمة في إحياء تراث ابن رشد الفلسفي ونشره، وعمل بعد عودته أستاذًا للأدب والنقد بكليتي اللغة العربية والبنات بجامعة الأزهر، وعمل أستاذًا زائرًا بكلية المكسيك للدراسات العليا منذ عام ١٩٧٤م حتى عام ١٩٧٧م. أنشأ خلال وجوده بالمكسيك قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة المكسيك المستقلة عام ١٩٧٥م. وانتقل للعمل أستاذًا للنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية الآداب جامعة عين شمس منذ عام ١٩٧٩م حتى الآن، وللدكتور نشاط أكاديمي وثقافي واسع في مصر وخارجها، ومؤلفات عديدة أثرت المكتبة العربية في الأدب والنقد الأدبي والأدب المقارن وزودت الباحثين برؤى جديدة في الشعر والمسرح والرواية.

همهمة.. يطرحها زمني

يس الفيل

حتى متى يستبيح الغدر مسرانا؟
وكيف نتركه يلهو بأسرانا؟
وكيف نأمنه ذئبًا.. كم افترست
أنيابه السود في الوديان حملانا؟
وكيف نمنحه في رحلة ثقة؟
وقد أثار المدى سلمًا وعدوانًا
إنّا لنعجز عن إدراك مقصده
وإن هو اشتاقنا موجًا وشطآنا
إنّ الذي أدمن الإيذاء نمقته
حتى وإن هو بالكفين أعطانا
يا رحلة الغدر ماذا فيك يجذبنا
وقد عبرناك آلامًا وأحزانًا؟
هذي خطانا.. بنا تمضي مؤكدة
أنّا بها نكتسي عزمًا وسلطانًا
وتلك حكمتنا.. لم تنحرف أبدًا
منذ استقر الهدى يومًا بدنيانا
وحسبنا أننا.. حتى وإن جنحت
بنا المقادير، واجتاحت مطايانا
فلن نسلم للأحقاد أفئدة
تهفو إلى الحب أرواحًا وأبدانًا
حتى متى لا نرى والقتل صادقنا
والانتماء إلى الأحياء عادانا
وكيف نغفل عن ليل يحاصرنا
وكيف لم نصح من نوم تغشانا؟
وكيف نبرأ يا أبناء جلدتنا
من كل ما سرنا يومًا وأبكانا؟

إن المآذن لم تبرح تمد يدًا
لمن كبا منهجًا واختل ميزانًا
والويل إن لم نواجه عصرنا ثقة
تستعذب الموت.. إن لم ترتفع شأنًا
منذ افترقنا ومدّ الليل خنجره
للقلب منا.. قبعنا في زوايانا
كلٌ يغازل أوهامًا به انغرزت
ولا يبالي إذا ما كان قد خانا
يا رحلة الغدر خلّي عنك وارتحلي
إن المرافئ لم تنكر عطايانا
هذي مشاعرنا.. حتى لمن كرهوا
وقد غدت في كتاب الحب عنوانًا
والعار إن لم نجمل وجه حاضرنا
حتى يظل به الإنسان إنسانًا
حتى متى لم نفتش في ضمائرنا
عن الذنوب استحت منها خطايانا
إن اعترافاتنا بالذنب تنقذنا
مما تراكم عمرًا في حنايانا
وقد تعيد إلينا سطوة نهضت
يومًا بنا.. قبل أن يختل مسعانا
إن التناقض لم يدفع تحفزنا
إلاّ لموقف سوء فيه كم عانى
ونحن بالملتقى نجتاز ما فعلت
ريح الخداع بمسرانا وأسرانا

شاعر مصري

صَوَابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور»، وإذا كان المعيار هو الشهرة، فألم يأنِ للصواب أن يكون مشهورًا ومعمولا به؟ في هذه الزاوية نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام، هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح، ليكون الصواب هو المشهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

ذكّروا الشهور

الخطأ: ست شهور.

الصواب: ستة شهور.

شهر كلمة مذكرة، ولهذا يجب أن يكون العدد مؤنثًا. فنظام الأعداد في اللغة العربية يقضي بأن الأرقام من ٣ إلى ٩ تخالف الشيء المعدود في جنسه، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ستة أيام﴾ (لأن اليوم مذكر)، و﴿سبع سموات﴾ (لأن السماء مؤنثة).

أما الرقمان ١ و٢ فيوافقان المعدود، وجاء في القرآن الكريم: ﴿نفس واحدة﴾، و﴿بماء واحد﴾، ورجلان اثنان، وامرأتان اثنتان.

أما الرقم عشرة، فيشابه الأرقام من ٣ إلى ٩ حينما يدخل على المعدود وحده، فنقول ﴿عشرة مساكين﴾، و﴿بعشر سور﴾، أما إذا كان مركبًا (معه عدد ثانٍ) فيوافق المعدود في جنسه، جاء في القرآن الكريم: ﴿أحد عشر كوكبًا﴾ (فالكوكب مذكر)، و﴿اثنتا عشرة عينًا﴾ (لأن العين مؤنثة).

ولا يفوت القارئ الكريم وجود خطأ آخر هو كتابة «المرحلة» بهاء بدلًا من التاء المربوطة.

لطلبة المرحلة المتوسطة

وذلك في الفترة مـــن ٧/١ حتى ٢٠٠٧/٨/٣١

خاصة بطلبة المرحلة المتوسطة (بنين/ بنات)

تنبيهات في أمر البنين والبنات

الخطأ: بنين/بنات.

الصواب: فتيان أو غلمان/فتيات.

البنون والبنات هم ذرية الإنسان، فبنو فلان هم أبناؤه من الذكور، وبناته هن ذريته من الإناث. والمفرد هو ابن، وابنة أو بنت.

جميع الطلبة هم قطعًا بنون وبنات بالنسبة لأهاليهم، لكن استعمال الكلمتين للدلالة بشكل عام على جنس معين لا يصح، فحين نستخدم كلمة بنات مثلا في قولنا «مدرسة للبنات» أو«ناد للبنات»، فهذا غير صحيح، وإن كان شائعًا في لهجاتنا العامية، والصحيح هو أن تطلق كلمة الصبايا على الصغيرات (المرحلة الابتدائية مثلًا)، والفتيات على من هن أكبر منهن، وكذلك الأمر مع الذكور، فيسمى الصغار منهم صبيانًا وصبية، ومن هم أكبر غلمانًا أو فتيانًا.

والطريف أن اللهجة الكويتية تسمى الصغير «صْبَي»، لكنها تسمي الخادم «صبي»، وفي اللهجة اللبنانية تطلق كلمة «صبية» على الشابة في حين أنها لغة تطلق على الصغيرة!

باحثة كويتية

قصة العدد

الفرَج

محمد عبدالشافي القوصي

مـنْ أقصاها إلى أقصاها لَمْ تعرف البلدةَ كلها أَفْصَحَ منه لسانًا، ولا أبلغَ منه بيانًا.. لكنَّ أزماته كانت مستعصية، ومشاكله لا تنتهي! وأغلب المقربين منه كانوا على خلاف معه؛ بسبب تفريطه في حق الله، وَعُقُوقِهِ لأُمِّه العجوز، وطموحاته المادية الشَّرِهَة!

لَمَّا كانَ أول يوم في العام الدراسي الجديد، تَوَجَّه إلى عمله باكرًا فإذا بشخص مجهول يمسك به ويضربه ضربًا مبرحًا حتى كَاد يُودِي به.. فرآه أحد زملائه المدرسين، فَأَسْرَعَ لِيُخَلِّصَه منه، فقال له: ارجعْ، وَدَعْه يضربني؛ فإنِّي قد ضَربتُ أُمِّي في هذا المكان!

عندما اسْتَرَدَّ عافيته بعد بضعة أيام، خرج إلى السوق ليشتري حاجاته، فتشاجرَ مع بعض الباعة، فصفعه أحدهم على وجهه حتى سقط على الأرض، وأخذ يَجُرُّه من ثيابه بلا هوادة.. فَظَلَّ يَتَوَسَّل إليه، ويسكب الرجاء عند قَدَمَيْه، وَيَصيحُ به: كفاكَ، كفاكَ هذا.. فإنِّي قدْ جَرَرْتُ أُمِّي إلى هنا فقط!

حُمِلَ بعدها إلى البيت مُعْتَلًا، فَمَكَثَ في غيبوبة، وطال به المرض، حتى يئِسَ الأطباء من علاجه! فنادى بصوت مُنكسر محزون: إلهي، عَجزَ المداوون.. وَلَمْ يَبْقَ إلا أنت، فداوني، فإنِّي لا أعودُ لمعصية.. فعافاه الله، فرجع إلى المعاصي أشدّ مما كان!

فبينما هو كذلك أصابه المرض مرةً ثانية، فقال: إلهي، أَقِلْنِي عثرتي، وأقمني من صرعتي، فلا أقترف بعدها خطيئة، فأقامه الله من صرعته، فرجع أشدّ مما كان من الخطايا!

فبينما هو كذلك، وقد استحوذ الشيطان عليه أخذه المرض مرةً ثالثة واشتدَّ عليه بقوة، فقال بصوت ضعيف: إلهي وسيدي، ارحمني وعافني مِمَّا نزل بي، فإنِّي لا أعودُ أبدًا لشيء يُغضبك، فسمع هاتفًا يقول: جَرَّبْنَاكَ مرارًا، فوجدناكَ كاذبًا!

فَرَاحَ يرتجف ممَّا سمع، ويتلوَّى من شدة التوبيخ! ثمَّ صَرَخَ مذعورًا:

العفو يا صاحب العفو! يا مَنْ يَغْضَب على من لا يسأله، لا تمنع مَنْ قدْ سألك!

في تلك اللحظة دخل عليه صاحبه، فقال له: هَلْ أَنْتَ صادق فيما تقول؟ قال: نعم. فَتَفَرَّسَ في وجهه، ثمَّ قال: أرجوكَ أنْ تفتح صفحةً جديدةً، شِعارها «القناعة»! فَلَسْتَ بحاجة إلى أَنْ أُذَكِّرك بأنَّ يوسف كانت معه خزائن الأرض، ومع ذلك كان يَصُومُ يومًا ويفطرُ يومًا، حتى لا يَنْسَى الجائع! وأبوالزهراء راودته جبال مَكَّة على أنْ تصيرَ له ذَهَبًا فأبَى، وقال: اللَّهُمَّ اجعل رزق آل مُحَمَّد كَفَافًا!

فاستيقظَ مِنْ غفلته، وأفاقَ من غيبوبته، وَتَمْتَمَ: ماذا أفعل إذَنْ؟ فأسرعَ به صاحبه إلى الساحة العمريَة وهناكَ حكى للشيخ ما كان من أمره.

فأجلسه بجواره على سجادة لا شرقية ولا غربية كسجَّادة الخضر! ثمَّ قرأ عليهِ بعضًا مِنْ آي القرآن الكريم، ثمَّ مَسَحَ على رأسه، وقال: كُنْ واثقًا في فَرَج الله وعفوه، فنوح كان يُضْرَب حتى يُغْشَى عليه، ثمَّ بعد قليل نجا في السفينة! والخليل أُلقِيَ في النَّار، ثمَّ بعد قليل خرج سالمًا! والذبيح يضطجعُ مُسْتَسْلِمًا، وفجأة أتاه الفداء، وَبَقِيَ مدحه إلى الأبد! ويعقوب ذهب بصره بسبب الفراق، ثمَّ عاد إليه قبل الوصول! ومُوسَى يشتغل بالرعي، ثمَّ يَرْقَى إلى التكليم! ومُحَمَّد كان يُقَال له بالأمس اليتيم، ثمَّ جاء اليوم الذي أَتته الملوك والقياصرة مُكَبَّلين!

ما إنْ سمع هذه البشارات حتى عادتْ إليه روحه، وَدَبَّتْ فيه الحياة، وشَعَرَ كأنه في حلم بهيج.. فشكر الشيخ وقَبَّلَ رأسه مرارًا. ثمَّ طلب منه وصية يَخُصُّه بها فَأَخْرَجَ ورقةً، وكتب له فيها: احذر لُجَّة البحر، ولا تَغْتَرَّ بسكونه، وعليكَ بالساحل، ولازِمْ حِصْن التقوى!

فالتقطها من يده، وأخذ يتأمل فيها كأنَّها من ألواح مُوسَى! وقبل أنْ يغادره، قال: إنَّ أُمِّي هجرتني منذ سنين بعيدة، ولا أعرفُ لها سبيلًا وأخشى ما أخشاه أنْ أموتَ عاقًّا لها!

فتغيَّرَ وجه الشيخ في الحال، ونهض مُنزعجًا، ثمَّ رَفَعَ أَكُفَّه نحو السماء، ودعا بصوت خاشع نَدِيٍّ كأنه من مزامير آل داود: سَيِّدِيَ ومولاي، أَسْأَلُكَ بالرحمة التي رَحِمْتَ بها إسرائيل فَجَمَعْتَ بينه وبين ولده، وأسألكَ بالرحمة التي رَحِمْتَ بها أيوب فكشفتَ عنه البلاء، وأسألكَ بالرحمة التي رَحِمْتَ بها «يونس» فَنَجَّيته من الغَمِّ، وأسألكَ بالرحمة التي رَحِمْتَ بها زكريا فَوَهَبْتَ له يَحْيَى.. إلا رَدَدْتَ قلبَ هذا الشاب على أُمِّه، ورَدَدْتَ قلبها عليه!

فَأَجْهَشَ الحاضرون بالبكاء لكنَّ الشاب اهْتَزَّ فرحًا وابتهج، وعند خروجه من الساحة، رأى الغَيْثَ يهطل بغزارة، فأصابته رَعْشَةٌ من أصوات الرعد، فأوجس خيفة، وتراجع قليلًا.. لكن لهيب الوجد، لَمْ يجعله ينتظر طويلًا.. فَشَعَرَ كأنَّ أحدًا يحمل خُطَاه، ويسوقه إلى الأمام.. فاندفع مُهَرْوِلًا نحو الباب العمومي، فَفُوجِئَ بأُمِّه تعانقه بشوق جارف! فَخَرَّ يُقَبِّل رِجْلَيْها، ويتململ تحت قَدَمَيْها .

ناقد أدبي

الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع

أ.د. أحمد الحجي الكردي

ذهب كثير من الناس في الآونة الأخيرة، وربما منذ مدة طويلة أيضًا، إلى الخوف من تطبيق أحكام الدين الإسلامي في حياة الناس، ومن جعلها قانونًا يتفرد في سياسة الأمة وحكمها في البلاد الإسلامية، لأمور كثيرة:

١- خوفًا منهم على أهل الديانات الأخرى الذين يساكنون المسلمين في ديارهم، ويشاركونهم في حياتهم منذ الأزمنة الأولى، وهم على عقيدة غير عقيدتهم، وعبادة غير عبادتهم.

٢- وخوفًا منهم أيضًا أن يصادر ذلك حرية الناس في اختيار ما يرونه صالحًا لهم من الشرائع والقوانين، وهو ما تقضي به الديموقراطية التي يتبناها المتحضرون من الناس، ويتباهى بالتزامها القادة وكبار القوم.

٣- واشتباهًا منهم كذلك بقدرة الدين الإسلامي على حسن إدارة الأمور كلها في الدولة، داخلها وخارجها، لتقادم زمانه، ومرور قرون كثيرة على بزوغ نجمه.

وحق لهم ذلك، في نظري، وهم معذورون في تخوفهم، فمن يرضى بفرض دين معين على أصحاب الديانات الأخرى في سياستهم التي يختارونها، وتعاليم دينهم الذين يعتقدونه وعقيدتهم التي ارتضوها لأنفسهم، وجعلوها أغلى ما يملكون؟ فإن الدين للمتدين هو أغلى ما يحرص عليه، وأكرم ما يحافظ عليه، سواء في ذلك المسلمون وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، سماوية كانت أو وضعية، ثم من يعدل عن الحرية التي هي سمة العصر، ورمز الحضارة والتقدم؟ ومن يرضى بتطبيق تشريع مهترئ مضى عليه الزمان ولم يعد صالحًا لحياة الناس؟ كل ذلك نراه في أفواه كثيرين، وعلى ألسنتهم، وفي كتاباتهم، ومحاضراتهم، ومؤلفاتهم، وفي عامة مجالسهم.

الإسلام يحمي العقائد الأخرى المخالفة له ويمنع انتهاكها أو الإساءة إلى دور العبادة لها

والحقيقة أن كل ذلك قد ينطبق على كثير من الديانات الأخرى غير الدين الإسلامي، أما الدين الإسلامي فهو منزه عن الوقوع في كل ما تقدم، وليس ذلك مني قولًا بلا دليل، وعاطفة بلا تعقل، وخاطرة عابرة تذهب مع الرياح، أو تزمتا وتجمدًا، وانغلاقًا في الفكر، فالدليل عندي واضح على ما أقول وضوح الشمس في رابعة النهار.

فالإسلام دين كامل، ونظام شامل لكل مناحي الحياة، يعالج كل حاجات البشرية، على اختلاف أعرافها وألسنتها وأزمنتها، بموضوعية تامة، تؤمن للجميع رغد العيش، وحرية الاختيار في كل ما يحتاجون إليه، على أرقى الأسس، دون إجبار أو إعنات بما يخالف العقل السليم، والمصالح الحقيقية، إنه ليس عقلًا مبدعًا ولا نظامًا راقيًا ولا تشريعًا متحضرًا، بل هو حكم رب العالمين، خالق البشر جميعًا، الأعرف بما ينفعهم وما يضرهم، ما يؤذيهم وما يوفر لهم مصالحهم، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت: ٤٢).

والإسلام ينظم الفكر والعقيدة، ويقيم بين الناس الأخلاق والقيم، وينظم العبادة والطاعة للخالق البارئ المصور، ويضع التشريع الحكيم الذي يضمن للبشر جميعًا العدالة والمساواة وتحقيق المصالح، في أسرهم، وبين جيرانهم، وشركائهم، ومن يتعامل معهم، وفي آدابهم الاجتماعية، وعلاقاتهم الاقتصادية، ويشرع لهم من العقوبات ما يردع المجرم عن إجرامه، ويحفظ حق المحسن.

وهو من حيث العقيدة والأخلاق والعبادة خاص بمن يرتضيه ويؤمن به، ولا يفرض نفسه على غير المسلمين، مهما كان دينهم وعقيدتهم وعبادتهم، قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ (البقرة:٢٥٦).

ويقول ﷺ من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة» (انظر كنز العمال)، وفي رواية الخطيب عن ابن مسعود رضي الله عنه، «من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» (فيض القدير).

بل إن الإسلام- فوق ذلك كله- يحمي العقائد الأخرى المخالفة له، ويمنع من انتهاكها أو السب والشتم فيها، ويحمي دور العبادة لغير المسلمين من الاعتداء

خبير الموسوعة الفقهية - الكويت

عليها أو هدمها أو الإساءة إليها أو منع أتباعها منها، مهما كان دينهم، ويحمي أعراضهم وأموالهم، فقد زار عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس يوم فتحها المسلمون، ودخل كنيسة القيامة، ولما أذن للصلاة خرج منها وصلى خارجها، فلما سئل عن ذلك قال: أخشى إن صليت فيها أن تنزع منهم بعدي.

وقد قضى رسول الله ﷺ على يهودي محصن زنى بالرجم، فقال اليهودي: يا محمد: تقضي علي بما يمليه دينك؟ قال بل أقضي عليك بتوراتك، فأتوا بالتوراة وانظروا فيها، فلما أتوا بها وجدوا فيها الرجم للزاني المحصن.

ومن قواعد الشريعة العامة أن المسلمين أمروا أن يتركوا غير المسلمين المقيمين بين المسلمين وما يدينون به، ولا يلزموهم بأحكام الإسلام، إلا أن يطلبوها بأنفسهم طائعين، وكثيرًا ما كان غير المسلمين يطلبون من المسلمين الحكم عليهم بالإسلام، لما يرون فيه من العدالة والحكمة والموضوعية، وهو ما شهد به العلماء والمشرعون في العالم القديم والحديث، في مؤتمراتهم وندواتهم وكتاباتهم، فتطبق عليهم بطلبهم ورغبتهم، وبذلك فاق الإسلام الديموقراطية التي هي حكم الأغلبية للأقلية، وذلك التاريخ الإسلامي الطويل شاهد على ذلك، فما نعم غير المسلمين به من الحرية في ظل عيشهم في دولة الإسلام أول عهدها في حياة رسول الله ﷺ إلى العصور المتأخرة خير دليل على ذلك، بل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما كان يطوف في شوارع المدينة مرة يتفقد أحوال الناس، وجد رجلًا عجوزًا من أهل الكتاب يطرق أحد الأبواب يطلب الصدقة، فقال له عمر رضي الله عنه: «ماأنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك ثم ضيعناك في كبرك» (حياة الصحابة للكاندهلوي).

وفي التطبيق المعاصر نرى كثيرًا من الدول الإسلامية تعلن في دستورها أنها دولة إسلامية، وفي الوقت نفسه ترعى مصالح غير المسلمين بمقدار رعايتها لمصالح المسلمين، ونرى غير المسلمين فيها ينعمون بالحرية الكاملة التي ينعم بمثلها المسلمون من غير فارق.

أما المسلمون الذين التزموا الإسلام طائعين مختارين، فهم ملزمون بتطبيق شرع الله سبحانه وتعالى على أنفسهم بكل جزئياته، سواء في العقيدة، أو العبادة، أو الأخلاق، أو التشريع، ولا يجوز لأي منهم أن يخرج عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وقوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ (الأنعام:٥٧)، وقوله جل من قائل: ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف:٤٠)، ولم لا، وشرع الله تعالى هو الأعدل والأحكم، وهم قد عرفوا ذلك وآمنوا به.

فأي مشكلة بعد بيان ذلك كله في إقامة الدولة الإسلامية التي يستظل بظلها جميع سكانها من المسلمين وغير المسلمين، فتطبق على المسلمين أحكامها كلها، ويترك لغير المسلمين الاختيار الكامل في اختيار الأحكام التي يرونها ملائمة لدينهم وتشريعاتهم، مهما كان دينهم، سماويًا كان أو وضعيًا، سواء في ذلك العقائد والعبادات والأخلاق والتشريعات، وسواء منها ما يتعلق بأمور الأحوال الشخصية أو الاقتصادية أو غيرها.

مع الانتباه الى أن غير المسلمين يتركون لأمور دينهم في ذلك كله إذا كانت العلاقة محصورة بينهم فقط، أما إذا كانت بين مسلمين وغير مسلمين، فالحكم الواجب التطبيق عليهم في هذه الحال هو الحكم الإسلامي، وليس في ذلك غبن لغير المسلمين أبدًا، لأنهم مسبقًا يعلمون ذلك، وبوسعهم أن يتعاملوا مع المسلمين على هذا الأساس، أو يتركوا التعامل مع المسلمين، ويكتفوا بالتعامل مع بعضهم، مثلهم في ذلك مثل أي أجنبي يدخل بلدًا غير بلده، فإذا خالف قواعد السير مثلًا أو غيره، طبق عليه قانون البلد الذي هو فيه، ولا اعتراض لأي عاقل على ذلك، لأن بوسع هذا الأجنبي أن يدخل ويقبل بذلك، أو لا يدخل أصلًا.

تعقيب على كتاب «القرضاوي: الإسلام والحداثة»

د. رفيق حسن الحليمي

صدر عن مركز أبحاث تابع لجامعة تل أبيب اليهودية (مركز موشيه ديان للدراسات الشرق أوسطية والإفريقية) كتاب بعنوان: «يوسف القرضاوي: الإسلام والحداثة» من تأليف «صمويل هيلفونت» أستاذ اللغات الأجنبية بجامعة برينستون الأميركية، وقد نشرت جريدة «الراي» الكويتية ٢٠١١/٣/٧م عرضًا لهذا الكتاب بقلم: عبدالعليم الحجار.

أود أن أسجل ابتداء في هذا التعقيب أن الكتاب لو كان قد صدر عن مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف، أو عن أي مركز إسلامي للبحوث الفقهية، أو عن أي عالم من علماء المسلمين ممن نثق بهم ونطمئن إليهم لاستثار الحفيظة، ودفع إلى التساؤل والاستغراب والدهشة، ولجعل الكثير من النخب المثقفة دينيًا تتوقف وتتأمل، وتعترض أولًا على الجانب الشكلي لعنوان الكتاب: «الإسلام والحداثة»، فضلًا عن الجانب الموضوعي، كما سيأتي بيانه فيما بعد، فما بالنا عندما يكون هذا الكتاب قد صدر عن مركز تابع لجامعة يهودية وأن مؤلفه يهودي، وهو ما يؤكده اسمه (صمويل) أو (السموءل)، فماذا ننتظر أن يقول ذلك المؤلف في د.يوسف القرضاوي الذي سطع نجمه على مستوى العالم العربي والإسلامي والعالمي بأسره؟

كم كنت أود أن يرد الشيخ القرضاوي بنفسه على الكتاب وألا يتركه يمرّ من دون وقفة تحليلية اعتراضية عميقة، فيتبرأ من الكثير مما فيه سواء على مستوى شكل الكتاب أو على مستوى مضمونه، وأنا أهيب بشخصه أن يتصدى لهذا «الإفك» المغلف بورق ناعم، فالإطراء الظاهر من جانب الأعداء يخفي وراءه مقاصد وأهدافًا لا تغيب عن فضيلة الشيخ، ويكفي الكتاب إثمًا وجناية أنه ربط بين الإسلام والحداثة ربطًا قويًا، جعله في ذمة القرضاوي وفي رقبته

الكتاب صادر عن مركز تابع لجامعة يهودية ومؤلفه يهودي

إلى أن يعلن البراءة منها!

في تقديري أن ذلك الكتاب يمثل حلقة جديدة بأسلوب عصري جديد من حلقات الغزو الثقافي المقنع بشعارات وعبارات خلابة، ومصطلحات أخاذة على مستوى العامة ممن لا يدركون حقيقتها ولا يعرفون مدلولاتها والأهداف غير المعلنة التي تنطوي عليها كلمة «حداثة»، وهذا هو المكر بعينه! وهل هناك أجمل وأكثر وقعًا وأسهل لفظًا من كلمة «حداثة»؟ مع أن الذي عرض للكتاب نبه إلى شيء من فحش معناها، ومدى ما تحمله من مظاهر التبعية والتغريب، ولكي يخفي المؤلف ما ينطوي عليه هذا المصطلح راح يمتدح القرضاوي من دون تفريق متعمد بين الحداثة والتحديث بمعنى التجديد، من ذلك قوله أن الكتاب: «يصور توجهات وأفكار القرضاوي باعتبارها نموذجًا مثاليًا وإيجابيًا لما ينبغي أن يكون عليه الإسلام المعاصر» !! فهذه العبارة مضللة أكبر تضليل، «فالإسلام المعاصر» هو الإسلام ذاته، ذلك الدين القيّم الذي آمن به الرسول ﷺ وصحابته الأجلاء، وتناقله السلف جيلًا بعد جيل، فالإسلام كل لا يتجزأ بالأمكنة ولا بالأزمنة ولا بالأشخاص، ولو أننا اخذنا بهذه العبارة وصدقناها وعملنا بها- وهو ما يسعى إليه المؤلف- لأصبح هناك إسلام قديم، وآخر وسيط وثالث حديث «معاصر» أو حداثي على حد زعمه، وهل يعني مصطلح «الإسلام المعاصر» إسلامًا آخر غير الإسلام الذي ندين به جميعًا، ودانت به الأمم والشعوب الإسلامية في المشارق والمغارب منذ عهد النبي ﷺ؟

لا أحد ينكر أن هناك عنصر «الاجتهاد» وهو إلى جانب القرآن والسنة والقياس أحد مكونات «الإسلام»، كما لا ينكر أحد أن الاجتهاد في المسائل الفقهية بدأ منذ عهد النبي ﷺ وبدأت تتسع دائرته وفقًا لما يجدّ من أمور ولما يطرأ من مسائل، ومن هنا ظهرت المدارس الفقهية والمذاهب الشرعية، ولكن يبدو أن المؤلف أراد أن يطري الشيخ القرضاوي ويمتدحه بهذه العبارة المضللة لحاجة في نفسه، وهي اجتذاب أكبر عدد ممكن من العلماء الآخرين إلى منهج القرضاوي والسير على أسلوبه، واتباع أفكاره التي عدّها مؤلف الكتاب «نموذجًا مثاليًا وإيجابيًا»، أنا لا أقلل من شأن القرضاوي ولا من أفكاره ولا من اجتهاداته- حاشا لله- ولكن من يتأمل مجمل ما صدر عنه من مؤلفات وندوات وحوارات يجد أنها موصولة باجتهادات الفقهاء القدامى السابقين، ولا تنفصل عنها ولا تبعد كثيرًا منها.

الكتاب الذي نحن بصدده يضع المطبات وأشواك الغرب والصهاينة في طريق الشيخ الجليل القرضاوي، ولعل أخطر ما في الكتاب أنه يعلل منهج القرضاوي في أفكاره وطروحاته واجتهاداته بتأثره بمفاهيم الحداثة، فـ «يسلط الكتاب الضوء

كاتب وأكاديمي فلسطيني

التحليلي على جوانب فكرية، تبين كيف أن مفاهيم الحداثة قد أسهمت في صياغة وتشكيل وجهات النظر المعاصرة التي يتبناها المفكر الإسلامي البارز يوسف القرضاوي»، بمعنى أن الحداثة- وحدها- هي التي أسهمت في صياغة وجهات النظر المعاصرة لديه، وهي التي شكلت منهجه، لذلك يقترح المؤلف ضرورة «إطلاق مناقشة حول الحداثة من خلال مراجعة أفكار فلاسفة بارزين من أمثال كانط وهيجل، بالاضافة إلى أفكار علماء اجتماع معاصرين، ويقول: «واستنادًا إلى فهم هؤلاء للحداثة فإن هذا العمل (منهج القرضاوي) يوضح كيف أسهم تزايد التعليم ووسائل الاتصال والهجرة في تغيير الطريقة التي ينظر بها المسلمون إلى دينهم» ويرى «أن مفهوم الحداثة قد تطور في العالم الإسلامي على مدى المائتي عام الفائتة».

مؤلف هذا الكتاب يخلط - كما ذكرت من قبل - بين الحداثة والتحديث بمعنى التجديد، فالتجديد قديم في عالمنا الإسلامي، ولكن بعض المنظرين يربطونه بالحملة الفرنسية (١٧٩٨- ١٨٠١م) على مصر وبلاد الشام التي مضى عليها مائتا عام، أما الحداثة بمفهومها الغربي فلم يمض عليها في عالمنا العربي أكثر من نصف قرن - كما سيأتي- وهذه مغالطة مقصودة.

مؤلف الكتاب يسعى من خلال هذا الخلط المتعمد إلى ترسيخ مبدأ الحداثة بمفهومها الغربي كوسيلة من وسائل البحث الديني المتميز، والاستناد إليها كركيزة من ركائز مناهجه، وكأنه يلقي باللائمة على غير الحداثيين من علماء المسلمين الذين - بسبب عدم أخذهم بالحداثة- ظلوا بمنأى عن اللحاق بالركب والتطوير المنشود لدى الغرب، وظلوا بعيدين كل البعد عن المنهج النموذجي المثالي الإيجابي الذي يتمتع به القرضاوي على حد زعمه.

يذهب بعض الباحثين إلى أن الحداثة ظهرت كمصطلح أيديولوجي فلسفي في

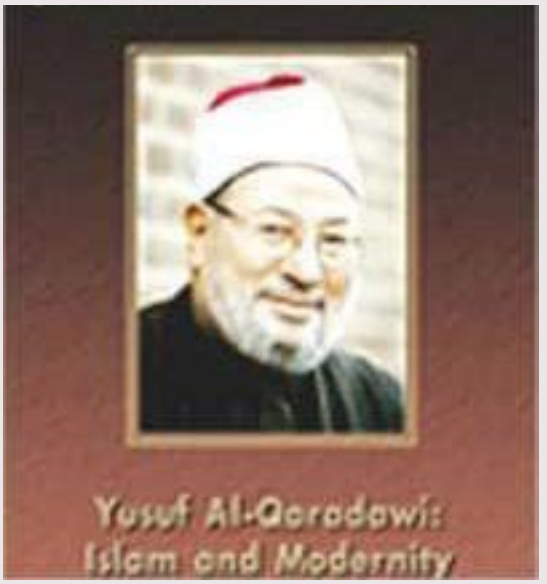

الغرب بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) ، أي أن عمرها لا يزيد عن مائة عام، ويعزون ظهورها إلى استفاقة أوروبا على ما خلفته الحرب من فجيعة كبرى، حيث راح ضحيتها أكثر من خمسين مليون ناهيك عن الجرحى والمشوهين، وانتابت مفكري أوروبا وفلاسفتها- بعد تلك الحرب- حالة من الذهول والإحباط النفسي، ما دفع إلى اليأس والقنوط والعبثية وهو ما يصاب به كثير ممن يستشعرون الفشل وعدم إدراك النجاح والفوز، فينكفئون على ذواتهم، لذلك راح يعزو المفكرون تلك الحرب الضروس إلى العقائد والموروث الديني والأيديولوجيات التي كانت سائدة ظانين أنها كانت الأسباب الرئيسية في إشعال تلك الحرب القذرة، ومن هنا- كما يرى هؤلاء الباحثون - نشأت فكرة الحداثة كمعطى معرفي جديد، ومخلص يتقاطع مع الماضي بكل ما يحمله من موروثات عقدية وفلسفية، فالحداثة نشأت «في حالة تضاد مع كل ما يمت إلى الماضي الرجعي بصلة، لأن أفكار الماضي هذه سبب الخراب والقتل، فكان لابد من تدميرها واستبدالها بنظم فكرية وفلسفية جديدة، ومن هنا نشأت فكرة التدمير التي تعتبر المحور الأساسي لمصطلح الحداثة، وتعني تدمير كل ما كان قديمًا، وإحداث قطيعة معرفية ونفسية معه، لصالح بناء أفكار جديدة، فليس تدميرًا فقط، بل هو تدمير وبناء، وتدمير للسابق المتخلف، وبناء لجديد مبتكر» (د.مصطفى عطية، مفهوم الحداثة، الراي ٢٠٠٧/٣/١٢م ع ١٠١١٥).

ويرى آخر أن الحداثة بدأت على يدي بودلير منذ أواخر القرن التاسع عشر الماضي، وكانت امتدادًا للفلسفات والنظريات قبل ذلك في القرن الخامس عشر، حين ثارت المجتمعات الأوروبية على الكنيسة، تلك الفلسفات والنظريات انطلقت في تصورها للكون والحياة والإنسان من غير قاعدة ولا ثوابت، تكون محورًا لتقدمهم المادي ورقيهم الفكري والحضاري، فكانت كلها مادية ملحدة ترفض الدين وتتسلخ منه بالكلية (الحداثة والإبداع، د.هشام النجار، جريدة الراي).

ولعل في هذه السطور عن الحداثة ما يكشف القليل مما تقوم عليه فلسفة الحداثة كمذهب فلسفي وأيديولوجي ترك آثاره على الحياة الاجتماعية، وما أصابها من تداعيات أخلاقية يضيق المقام عن الحديث عنها، وقد امتدت آثارها إلى الآداب الغربية، كما امتدت عدواها ومظاهرها إلى بعض الشعراء والكتاب العرب منذ خمسينيات القرن الماضي.

لذلك جاء هذا الربط الغريب بين فتاوى القرضاوي التي يراها مؤلف الكتاب معتدلة أو متقدمة أو متطورة أو «حداثية» وبين المهذب الحداثي الغربي! يقول المؤلف: «إنني أحاول من خلال هذه الدراسة أن أفهم القرضاوي باعتباره عالمًا إسلاميًا أن العلاقة بين هذه المفاهيم وبين الإسلام هي الجانب الأبرز في أفكاره»، مؤلف هذا الكتاب- لحاجة في نفسه- يريد أن يزج القرضاوي في «الحداثة» زجًا، بقوة القلم واللسان، مع أن الأمر لا يعدو عند الشيخ القرضاوي- كما أرى- من خلال كتبه وما

صدر عنه من أفكار واجتهادات، كونها إعادة إنتاج للفتاوى الإسلامية السابقة، وللمخزون الثقافي الإسلامي القديم الذي استوعبه الشيخ بذكاء ووعاه جيدًا، وأخذ يوظفه لخدمة القضايا الإسلامية المعاصرة، والذي حاول الشيخ القرضاوي- في إعادة إنتاجه لها- أن يستخدم لغة عصرية تستند إلى بعض المصطلحات الحديثة كالديموقراطية في معادل موضوعي لمفهوم الشورى في الإسلام، وهذا لا يعني وضع الشيخ مع زمرة الحداثيين، ولا في دائرتهم، تلك الدائرة التي أصبحت مرفوضة ومنبوذة منذ زمن بعيد في أوساط المثقفين والنخب العربية التي انقلبت انقلابًا ثوريًا على الحداثة وأدب الحداثة والحداثيين.

لكن المؤلف يمضي قدمًا في كتابه بفصوله الخمسة، بحيث لا يخلو فصل من الربط بين الحداثة وبين قضايا متعددة كان للشيخ القرضاوي رأي بل آراء فيها، وأبرز ما جاء من ذلك في الفصلين الأول والثاني، فالفصل الأول: «الحداثة في منطقة الشرق الأوسط» والفصل الثاني «منهج القرضاوي إزاء الحداثة».

المؤلف لا يخفي الأسباب المتعددة التي دفعته إلى اختيار القرضاوي ليكون موضوعًا للدراسة، ومحورًا أساسيًا فيها، يقول: «إن أي بحث حول مسألة الحداثة سيفضي دون شك إلى اسم واحد أكثر من كل الأسماء الأخرى ألا وهو اسم يوسف القرضاوي، فالقرضاوي كان القوة الدافعة وراء تشكيل الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، كما أنه يشغل منصب رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والأبحاث، وأنه هو الذي يضبط نغمة الخطاب الديني السني في شتى أرجاء العالم، كما أن المجلس الإسلامي يرى أنه هو العالم الإسلامي الأكثر هيمنة على مستوى العالم حاليًا»، ويضيف قائلاً: «ربما يشتهر القرضاوي أكثر بكونه مؤسس ما يعرف بالمدرسة الوسطية في الفكر الإسلامي»، كما أنه يرى «دمج المعارف والعلوم الغربية في نسيج الإسلام أمرًا واجبًا من الناحية الشرعية شرط ألا يذوب الفكر الإسلامي

يكفي الكتاب إثمًا وجنايةً أنه ربط بين الإسلام والحداثة وجعله في ذمة القرضاوي حتى يعلن البراءة منه

في غمار الفكر الغربي»، ولذلك يدعو- مؤلف الكتاب بكل جرأة- «إلى بلورة وتطور شكل عصري جدًا من الإسلام (ليصبح) أكثر ارتباطًا وتفاعلاً مع العصر الراهن وأكثر تطلعًا إلى المستقبل» !! انظر كيف بدأ ذلك المؤلف ينصب نفسه مرشدًا عامًا وموجهًا للإسلام والمسلمين، وأكثر من ذلك يرى أن القرضاوي: «لا يختلف عن غيره من المفكرين الحداثيين، سواء أكانوا إسلاميين أم غربيين» كما يجد القرضاوي أنه «يسعى دائمًا إلى رسم حد فاصل واضح بين الحداثة الإسلامية والحداثة الغربية».

ومن أجل البرهنة على ذلك نجد المؤلف يتوقف عند تفسير القرضاوي للآية الكريمة: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ (النحل: ٨)، في إشارة من القرضاوي إلى «السيارات والقطارات والطائرات والمركبات الفضائية» التي لم تكن معروفة فترة نزول القرآن الكريم، كما يتوقف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال:٦٠)، «فالخيول كانت بمثابة المركبات العسكرية في وقت نزول الآية، لذلك فإن خيول الحروب المعاصرة هي الدبابات والمدرعات».

ويحضرني في هذه المناسبة أن أستاذًا لنا في المرحلة المتوسطة في أوائل الخمسينيات من القرن الفائت كان يفسر هذه الآيات بما فسره القرضاوي، كما أن إمام المسجد الذي نصلي معه هذه الآيام كثيرًا ما فسر الآية ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ بأن (الأبابيل) أشبه بقنابل «النابالم»، فهل يعد أستاذنا وإمامنا الذي نصلي معه من الحداثيين؟!

والذي يبدو أن المؤلف قد غاب عنه الكثير والكثير من الثقافة الإسلامية المعاصرة، ولم يطلع على شيء ذي أهمية منها، ففي أوائل الستينيات صدر كتاب تحت عنوان «التفسير العلمي للآيات الكونية» للدكتور حنفي أحمد، اشتمل على تفسير مئات الآيات ذات الصلة بالكون والفضاء الخارجي، فهل نعد مؤلف الكتاب حداثيا على الطريقة الغربية لمجرد أنه اجتهد في تفسير بعض الآيات تفسيرًا علميًا؟ مع ملاحظة أن التفسير العلمي لكثير من الآيات كان مطروحًا في مدارس التفسير منذ أقدم العصور، غير أن دائرته اتسعت في العصر الحديث مع اكتشاف الكثير من النظريات العلمية، وفي دائرة المعارف الإسلامية التي لم تكتمل حتى أيامنا هذه، عند مادة «تفسير» يوجد حديث مفصل لما يسمى التفسير العلمي، مع أن العلماء يتحفظون على هذا المسلك (وهو التفسير العلمي للقرآن الكريم) لأن كثيرًا من النظريات العلمية غير ثابتة ثبوتًا مطلقًا ودائمًا.

تلك الأسباب مجتمعة دفعت بمركز موشي ديان- التابع لجامعة تل أبيب إلى تكليف أستاذ جامعي (وبالطبع هو يهودي) للكتابة عن الشيخ القرضاوي، ووجد الفرصة سانحة للربط العشوائي عن عمد وإصرار بين مفهوم الحداثة الغربية وبين القرضاوي، من خلال معطيات فكرية وفتاوى شرعية.. وهي في مجملها فتاوى إسلامية محضة، وليست حداثية، ويبقى السؤال بل الأسئلة تلاحق هذا الكتاب الذي لم يطلع القارئ العربي إلا على عرض مختصر قدمته جريدة الراي الكويتية، فما الهدف من إصداره واختيار شخصية القرضاوي، وزجها في أتون الحداثة التي تعد فرزًا غربيًا لمفهوم أكبر وهو العولمة التي تقضي بفصل الدين عن الدولة وأنظمة الحكم؟ وهو ما أخذت به الدول الغربية في سياساتها، وبناء مجتمعاتها، على أن الخلط يظل واضحًا عند مؤلف ذلك الكتاب بين الحداثة وبين التحديث.

أسرتي

الوظائف التربوية للألعاب

تعد اللعب والدمى عاملًا مهمًّا في تنمية شخصية الطفل وتنظيم سلوكاته وانفعالاته وتسهم إسهامًا بالغًا في بناء الشخصية السوية والنمو العقلي للناشئة، إضافة إلى ذلك تمثل الألعاب جانبًا مميزًا من ثقافة الشعوب، فهي الرابطة التي تجمع بين أفراد الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة، والأكثر من ذلك أنها تضع كل شعب- بما له من ألعاب خاصة- في مصفوفة الألعاب الشعبية التي تتعارف من خلالها الشعوب، وتحمل الألعاب أبعادًا قيمية تشكل نسيج هذه الثقافات حتى قد يصل الأمر لاعتبار لعبة معينة «سفيرًا» للنوايا الحسنة (أو السيئة) تجاه شعب ما، ولذلك كله وأكثر، فإن صناعة الألعاب واختيارها يقوم بدور مهم في تنمية العلاقات بين الشعوب، وبين أفراد الجيل الواحد داخل الأسر.

التحرير

ادفعي زوجك دومًا إلى النجاح

منى السعيد الشريف

الحياة ليست سهلة، والكفاح هو أحد جوانب الحياة المثيرة والممتعة، فلا تتركي شريك حياتك وحده في رحلة كفاحه ونجاحه، وإياك والسلبية التي تجعلك تفقدينه ويفقدك، وبالتالي تفقدان معًا كل معنى جميل للحياة، فعيشي كفاح زوجك وليكن كفاحكما شريفًا من أجل غايات نبيلة لتشعرا بأنكما دائمًا وللأبد معًا.

● ذكري زوجك دائمًا باستحضار النية الصالحة في كل عمل، ولا تدفعيه لشيء فوق طاقته، فيلجأ لطريق حرام، أو فيه شبهة لتلبية طلباتك، ولتكن وصيتك دائمًا له كوصية تلك المرأة الصالحة التي قالت لزوجها: «اتق الله فينا، ولا تطعمنا إلا حلالًا، فإننا نصبر على الجوع في الدنيا، ولا نصبر على النار في الآخرة».

● لا تضجري من عمل زوجك، فإن أسوأ ما تصنع بعض النساء هو إعلان الضجر من عمل الزوج، والإعلان يكون عادة في خلق النكد، والدأب على الشكوى، واتهام الزوج بإهمالها، واللجوء إلى بيت أمها غضبى.

● الزوجة الذكية هي القادرة على القيام بأدوار متعددة في حياة زوجها ، فهي أحيانًا أم ترعى طفولته الكامنة، وأحيانًا أنثى توقظ فيه رجولته، وأحيانًا صديقة تشاركه همومه وأفكاره وطموحاته، وأحيانًا ابنة تستثير فيه مشاعر أبوته... وهكذا وكلما تعددت وتغيرت أدوار المرأة في مرونة وتجدد فإنها تسعد زوجها، كأي طفل يسأم لعبة بسرعة ويريد تجديدًا دائمًا، أما إذا ثبتت الصورة، وتقلصت أدوار المرأة فسيكون هذا نذيرًا بتحول اهتمامه نحو ما هو جذاب ومثير وجديد.

الزوجة الذكية هي القادرة على القيام بأدوار متعددة في حياة زوجها

● احرصي على أن تملكي لسانًا حلوًا عذبًا يدفع إلى النجاح والسعادة الزوجية، وابتعدي قدر ما تستطيعين عن الألفاظ المحبطة التي تثبط العزيمة وتجعل الحياة الزوجية تتراجع إلى الوراء، وإليك بعضًا من العبارات المتميزة لتتحدثي بإحداها أو جميعها مع زوجك بصدق وإخلاص: «إنني فخورة وسعيدة لأنك زوجي»، فكل رجل يزهو بإطراء زوجته له، «حسن تعاملك مع الناس واحترامك لهم سيوصلك حتمًا إلى أعلى الدرجات في عملك»، هذا التشجيع يدفعه لتحقيق النجاح بأقصى جهده، «أهناك شيء أستطيع أن أفعله لأجلك اليوم؟»، هذا الزوج الذي يشعر بكل هذا الاهتمام كل صباح قبل خروجه إلى العمل حتمًا ستصبح زوجته شيئًا مهمًا بالنسبة له، «أنا أفتخر بمزاياك، فأنت طيب وخلوق وحكيم» عددي صفاته الحسنة الحقيقية، فهذا مدعاة إلى الاحترام والاستقرار حتمًا.

● انتبهي لأفعاله لا لمظهره، لأن الرجال بحكم أنهم يتنافسون فيما يفعلون ومقدار ما يحققون من إنجازات مهنية فإنهم يميلون نحو المديح الذي يستهدف إنجازاتهم أكثر من ملامحهم التي خرجوا إلى الدنيا بها أو ملابسهم التي يشترونها، بحسب ما تقول «جوان إليسون» مؤلفة كتاب «الجنس.. تاريخ طبيعي»، وبعبارة أخرى، فإن مديحك لزوجك على عمل أنجزه بنجاح يجعله يشعر أفضل مما لو تكلمت عن شعره المجعد.

● من الطبيعي أن الرجل يأتي إلى البيت للاستراحة من إرهاق العمل والضوضاء والصياح، معنى هذا أن الزوجة يجب أن تحافظ على الهدوء في البيت قدر الإمكان ولا تثير الضجيج والصياح، وأن تتكلم بهدوء ووقار.

وإذا كان لديها أمر يستلزم رفع صوتها، فمن الأفضل أن تقترب حتى تتكلم بصوت منخفض.

● توفير الجو الملائم للزوج لمساعدته على إنجاز مهمة التخطيط للعمل، وهو هادئ النفس، مرتاح البال.. ساعديه في حصر كل ما يحتاج إليه لإنجاز العمل الذي يقوم به، وشاركيه في وضع خطة مرحلية يتم فيها إنجاز شيء مهم للأسرة خلال فترة مناسبة.

● دعوة المساواة في تحمل المسؤوليات هي دعوة تخلو من أي فهم لطبيعة

باحثة مصرية

العلاقة بين الزوج والزوجة، فلا ينبغي أن ينظر كل طرف للآخر على أنه ند، فالعلاقة الزوجية الطبيعية خالية من أي شبه تحد أو ندية، ولا يمكن أن يكون هناك تطابق في طبيعة المرأة والرجل، فهما مختلفان تشريحيًا وفسيولوجيًا ونفسيًا، والرجل يهتدي لمسؤولياته كرجل بفطرته السوية، وكذلك المرأة، فليتحمل كل منكما مسؤولياته، وليحمل أي منكما الآخر على كتفيه إذا كان هذا الآخر عاجزًا عن تحمل قدر من مسؤولياته، فالزواج ليس شركة وليس مؤسسة وليس تجارة، وإنما هو حب وتعاون وتكامل وحياة مشتركة.

● لا تدخلي معه في الصباح في مناقشات أسرية، فهذه الفترة المحددة من الوقت لا تسمح بأي مجادلات قبل توجهه للعمل، فأي مشكلة يمكن مناقشتها معه في فترة ما بعد الظهر بعد تناول طعام الغذاء وأخذ قسط من الراحة، وتمني له يومًا سعيدًا قبل مغادرته المنزل، مع رسم ابتسامة مشرقة على ملامح وجهك، تمده بشحنة من القوة طوال اليوم، وعند عودته احرصي على استقباله بوجه بشوش، واعلمي أن الرجل طفل كبير يسعده أن يشعر باهتمامك، وبحرصك على إرضائه.

● كوني دقيقة في فهم احتياجاته ليسهل عليك المعاشرة الطيبة دون إضاعة وقت.

● كوني متفاعلة مع أحواله ولكن ابتعدي عن التكلف.

● اضبطي مناخ البيت وفق مواعيده هو، ولا تشعريه بالارتباك في أدائك للأمور المنزلية.

● احرصي على إيجاد علاقة طيبة بين الأولاد والأب مهما كانت مشاغله، ولكن بحكمة دون تعطيل أعماله.

● أشعريه رغم انشغاله عن البيت بأنك تتحملين رعاية الأولاد بفضل دعائه لك وباستشارته في ما يخصهم.

● اهتمي بأوراقه وأدواته الخاصة وحافظي عليها، ونسقي كتبه وأوراقه بدقة وبشكل طبيعي دون أن تتفقدي ما يخصه مادام لم يسمح لك.

● أشعريه دائمًا أن واجباته هي الأولوية الأولى مهما كانت مسؤولياتك وأعمالك، وتفقدي مواطن راحته سواء بالحركة أو الكلمة، واسعي إليها بروح جميلة متفاعلة.

● احذري التردد أو التباطؤ عندما يطلب منك شيئًا، بل احرصي على تقديمه بحيوية ونشاط.

● أكثر ما يغيظ الأزواج إشعار الزوجات لهم أن محاولتهم لكسب الرزق هو دور طبيعي لا يستحقون الشكر عليه، فلا تكوني تلك الزوجة.

● كوني قانعة واحرصي على عدم الإسراف بحيث لا تتجاوز المصروفات الواردات.

● حافظي على أموال زوجك، ولا تنفقي شيئًا من ماله إلا بإذنه، وبعد أن تستوثقي من رضاه، قال رسول الله ﷺ: «لا تنفق امرأة شيئًا من بيت زوجها إلا بإذنه.. قيل يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا» (رواه الترمذي بسند جيد)، وإذا أعسر زوجك فتصدقي عليه من مالك، وإن لم يكن لك مال، فاصبري على شظف العيش معه لعل الله تعالى يفرج عليكما.

● إذا حصل زوجك على مبلغ إضافي خلال الشهر منحة أو مكافأة أو غير ذلك فلا تصرفي هذه الزيادة، بل اقتصديها، ووفريها للاحتياجات المستقبلية غير المتوقعة.

الأبناء يتعلمون بالحنان والقدوة أكثر مما يتعلمون بالأمر والقسوة!

كيف تصبح أبًا ناجحًا؟

تحقيق: نجاح إبراهيم

لعلَّ مطلب الآباء جميعًا وحلمهم في تربية أولادهم؛ أن يصيروا آباءً ناجحين، فيحسنون تربية أولادهم ويخرجون جيلًا صالحًا يفخرون به ويشعرون بسعادة نجاحهم في تلك المهمة!

لكن من أسف، فإن كثيرًا ما يتمنى الآباء ذلك، وهم في حالة أشد بعدًا عما هو مطلوب منهم أن يكونوا عليه للوصول إلى مبتغاهم وهدفهم؛ فالناظر المتفحص لأحوال الآباء وأساليبهم ليدرك كم هو مقدار ذلك البون الشاسع بين المرجو والواقع وبين الأمل والحال.

كيف أصبح أبًا ناجحًا؟

للإجابة على هذا السؤال، نجد أنفسنا في حاجة إلى الوقوف عند محاورٍ عدة مهمة:

أولًا: الفعل قبل القول

لأهمية عنصر القدوة في حياة الناس، ولكون الإنسان بطبيعته يحتاج إلى نموذج تطبيقي حي أمامه حتى يتصور الخلق المعين والسلوك الموجه فيصدق به ويتمثله في حياته.

فالفعل أبلغ من القول، وفعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل!

فالعمل أهم من القول المجرد.. وكثير من يتكلم ولكن قليل من يفعل!

فالقدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة، حتى إنها لتيسر معظم الجهد في كثير من الحالات، ذلك أن الابن يحب المحاكاة من تلقاء نفسه، وأطفال المسلمين يحاكون أبويهم في الصلاة حتى قبل أن يتعلموا النطق ويصبح تعويدهم عليها أمرًا سهلًا في الموعد المحدد.

والأبناء في استقائهم الخلق وتشربهم بالسلوك لا يقنعون بالظاهر منها فحسب، بل يتعدون ذلك إلى مستويات أعمق بكثير مما يظن الآباء.. فالأب يعيش في بيته على طبيعته بغير تكلف، وهو الأمر الذي يجعله يتصرف بما وقر في نفسه، والولد يقلد أباه فيما رآه منه على الحقيقة لا على التكلف، والأبناء يلحظون الصغير الدقيق من السلوك والأخلاق كما يلحظون كبيرها، وتؤثِّر فيهم صغائر الأحوال كما تؤثِّر فيهم كبائر الوقائع.

ثانيًا: رحمة الأب تولِّد الاستقرار النفسي لدى الابن

الأب الناجح هو الأب الرحيم

«الزوج الناجح» هو الذي يهيئ لأولاده البيئة الأُسرية الخالية من الأزمات

العطوف بأبنائه وأسرته الذي يمنحهم الحب والعطف والحنان ويشملهم برعايته ويحتويهم بقلبه الكبير ويشعرون معه بالسعادة والأمان، والأب القاسي هو المتسبب الأول في الأمراض النفسية لدى أبنائه، والمشجع الأول على الأمراض القلبية لهم من غل وحقد وحب ذات وغيره.

ومن الآباء من لا يراعي الرحمة مع أبنائه ولا الرقة في معاملتهم، فيكون أشد عليهم من الغرباء، فيترك في أنفسهم جروحًا غائرة لا تزول بمرور السنين.

وليس معنى الرفق والحب والرحمة أن يتهاون الأب مع أولاده في مواطن الحزم، فوضع السيف موضع الندى مضر كوضع الندى موضع السيف! والحكمة فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي! ولا يمكن أن يرى الأب ابنه يفعل السيئات أو المخالفات وبدعوى الحكمة والرحمة والرفق يتركه أو يقره على ما هو عليه، ولكن الحزم والحكمة تستدعي من كل أب أن يقف مع ولده وقفة حازمة قوية يضع له فيها الحدود ويبين له القواعد التي ينبغي ألاَّ يحيد عنها، وليعلم كل أب أن وقفاته مع ولده لا تنسى، ولكنها تحفر في ذهن الولد.. فإن وجد فيما يستقبل من عمره قدوة صالحة من أبيه زاد ترسخها وصارت خلقًا ثابتًا فيه وصفة أكيدة من صفاته.

ثالثًا: توجيهات ومحاذير للآباء في معاملة أبنائهم

١- ليعلم الأب أنه في بيته قائد لمدرسة تربوية لها منهج ووسائل كما أن لها محددات وأطرًا، فلا ينبغي الجمود

و ا لتشنج في تطبيق ضوابط تلك المدرسة، فهي مدرسة محببة للولد تسعد البيت وتنشئ الأسرة السعيدة.

٢- يجب على الآباء تثقيف أنفسهم وتعليمها فن التربية وأساليبها، ومداومة سؤال المربين والخبراء والعلماء في ذلك، كما يستحب لهم متابعة الإصدارات التربوية الحديثة والوقوف على ما ينفع منها.

٣- تعلُّم الصبر على تربية الأولاد من المهارات الأبوية الهامة، وقد حذر المربون من كثرة معاملة الأولاد بالغضب، خصوصًا إذا كانت طبيعة الأب عصبية أو سريعة الغضب، وليحذر الآباء من ضرب أولادهم في لحظات الغضب، فإن ذلك من الأخطاء الخطيرة التي لا تؤدي إلى تعليم ولا توجيه ولكنها عبارة عن تفريغ غيظ فحسب.

٤- ليعلم كل أب أن أبناءه يتعلمون بالحب قبل أن يتعلموا بالأمر والشدة، فاحرص أيها الأب على توليد المحبة بينك وبين أبنائك.

٥- كل أب بحاجة إلى أن يخلو بولده كل مدة ليمازحه ويكلمه ويسأله ويتقرب منه ويسأله عما يحزنه أو يؤرقه أو لا يعجبه ويسأله عن آماله وأحلامه وطموحاته، فلقاءات المصالحة والمصارحة هي تفريغ نفسي وجداني هام للغاية في تربية الأولاد، ولئن اشتكى معظم الآباء من عدم قدرتهم على التقرب من أولادهم فلأنهم قد قصروا في لقاءات المصارحة تلك في الصغر، فصعب عليهم ذلك في الكبر وبنيت الجدران بينهم وبين أولادهم!!

٦- هناك علاقة قوية جدًا بين كون الأب ناجحًا، وبين كونه زوجًا ناجحًا، فالزوج الناجح هو الذي يهيئ لأولاده البيئة الأسرية الخالية من المشكلات والأزمات.

علاقات الإنترنت.. عندما ينكسر إناء الحياء

تسنيم الريدي

يتميز عالم الإنترنت بالخصوصية وإمكانية إقامة علاقات دون معرفة الشخصية الحقيقية، حيث إن برنامج المراسلة Chat أشد خطرًا على الشباب من المواقع الإباحية الموجودة في الإنترنت، وتبدأ غالبًا هذه العلاقات بشكل مسلسل التنازلات، فتنازل أولا عن قراءة القرآن، وبعدها ترك الصلاة في وقتها، ثم يستمر الحال إلى أن يترك فرض الصلاة كليًا، ثم بعد ذلك تراجع في سلوك والتزام وتعليم الشباب حتى تغرقهم في بحر من المعاصي.

يدخل الشباب إلى المواقع للتعرف عليها- فقط للتسلية- وفي وقت الفراغ، وبعدها تبدأ مدة الجلوس أمام الانترنت في الزيادة، في حين يمر الوقت سريعًا، وأثناء تلك المتعة يأخذ الإدمان يستحوذ على عقل الشباب أكثر وأكثر، ثم تأخذ المعصية تجر المعصية، فما دام الشاب قد تنازل عن صلاته فما المانع أن أتعرف على برنامج المراسلة في الانترنت، وهذا البرنامج أشد خطرًا على الشباب من المواقع الإباحية الموجودة في الانترنت.

من خلال برنامج المراسلة، يغرقون في بحر من المعاصي، ساعات طوال بدون فائدة تذكر، فبعد المراسلة الكتابية يبدأ تبادل أرقام الهواتف لتتحول إلى تعارف ومكالمات عبر الهاتف ونسج قصص من الحب الوهمي (الشيطاني)، وهذه المكالمات الهستيرية المدمرة أخلاقيًا واقتصاديا والتي مازال يقع في شباكها المئات، سرعان ما تتحول إلى لقاءات آثمة.

علاقات الإنترنت بالأرقام

وقد ارتفع عدد الأشخاص الذين يدخلون مواقع الغرام والمواعيد على شبكة الإنترنت خلال السنوات الماضية بطريقة ملفتة للنظر، فهناك حوالي ١,٦ مليون امرأة و ٢,١ مليون رجل دخلوا مواقع المواعدة في العام ٢٠٠٩، وقد أدى الدخول إلى تلك المواقع إلى جني أرباح من قبل الشركات بما يعادل ٦٤٢ مليون دولار، ولاحظت إحدى المواقع على الإنترنت زيادة نسبة المشتركين إلى أكثر من ١٥٠٪ سنويًا.

وتحتل العلاقات غير الشرعية ٧٠٪ من محتويات مواقع الدردشة وفقًا لإحصاءات موقع «ياهو»، وفي تفسير لهذا الاندفاع اللافت نحو الجنس يرى علماء الاجتماع أن هؤلاء الشباب يعانون الإحباط والكبت الجنسي الناجم عن محظورات عائلية أو اجتماعية او تربوية أو اخلاقية، ولذا فهم يلجأون إلى الإنترنت لإفراغ ما لديهم من مخزون جنسي في ظل غياب أي من أنواع الرقابة دون رغبة صادقة في الزواج أو الارتباط.

وقد أكدت الدراسة التي أجريت حول استخدام الشباب العربي لبرامج المحادثة وغرف الشات، أن ٥٪ فقط من غرف المحادثة تتناول موضوعات ذات قيمة فكرية وثقافية هادفة وقضايا الأمة وأحوالها، أما ٨٦٪ من هذه الغرف فهي تعتبر أبواق دعارة وهدم أخلاقي وثقافي يمارس بشكل منظم وممنهج وخاصة ضد الفتيات عن طريق العلاقات الخاصة التي تقوم بين أفرادها، في حين أن ٩٪ من هذه الغرف تتباين في حواراتها وآليات تناولها من جيد إلى سيئ.

تجارب مؤلمة

حاولنا رصد بعض التجارب حيث تقول ف.م من مصر: « تعارفت عليه عبر جروب سياسي على الفيس بوك وكنا نتحدث في بعض الأمور العامة وتطور الحديث حتى اعتقد كل منا أنه يحب الآخر، وكانت هناك تجاوزات شرعية خلال الحديث، وكنا نحاول أن نقطع تواصلنا حتى نتزوج – على حد وعده – لكن العلاقة ظلت سنة ونصف دون شيء إلا أنني كنت ارفض الخطاب لأجله، لكنني تأكدت أنه لا ينوي الزواج إنما كان يسلي وقته، وأنا من تأذيت كثيرًا وأصبت بحالة من الاكتئاب الشديد وعانيت فترة نقاهة طويلة حتى شفيت من التواصل معه».

وقد تكون للعلاقة آثار أكثر إيلامًا حيث تقول خ.ي من الجزائر: «كان

تواصلنا عبر أحد المنتديات الإسلامية، ثم سمحت له بالاتصال بي هاتفيًا وقابلته في الجامعة، كان في البداية مهذبًا معي لأقصى درجة وأكد لي رغبته في الزواج فور أن ننتهي من الدراسة، لكن طالت علاقتنا حتى بدأ يطلب مني بعض الصور وكانت هناك بعض المحادثات الجنسية، كنت أشعر باحتقار نفسي، فقد رميت بنفسي في بئر وحل، وكلما حاولت النهوض تكبلت بأنني أحبه، وكلما حاولت الانقطاع عنه أعود، وذات مرة طلبت من إحدى صديقاتي المقربات أن تطلب منه ألا يعاود الاتصال بي مجددًا، لكنها فوجئت به يراسلها ببعض المحادثات التي تمت بيننا وكانت أسلوب ابتزاز جرحتني كثيرًا، وقتها تأكدت أنه لم يكن صادقًا في شيء وتحدثت مع أخي في الأمر وانقطع الاتصال وبقي مرضي النفسي الذي اتعالج منه إلى الآن، أكره كل شيء، أكره نفسي، أكره كل الرجال ولا أثق في أحد».

كما يقع بعض الملتزمين في هذه المشكلة لكن بشكل مختلف حيث يقول فادي من البحرين: «تحدثنا كثيرًا عبر الانترنت عبر غرفة محادثة دعوية على البالتوك، وعندما قررنا الزواج سافرت إليها في مصر، رغم اعتراض أهلي المستمر أن من تتحدث مع شاب غريب على الإنترنت لا تصلح لأن تكون زوجة وأمًا، عندما قابلتها وجدت فتاة غير التي كنت أتحدث معها على الإنترنت، هي لم تقصد أن تخدعني في شيء، لكنني لم أشعر براحة نهائيًا، وعندما قررت إنهاء العلاقة وجدت منها تهديدًا معنويًا بكل الوسائل حتى لا أتركها، فقد مرضت ونقلت للمستشفى، وكانت تقول إنني تأخذ منحنى غير شرعي».

العلاقات غير الشرعية تحتل ٧٠ في المائة من محتويات الدردشة

ويتفق معها محمود قائلا: «اعجبتني إحدى الفتيات على منتدى الجامعة الذي كنت أشارك فيه، وتحدثت مع أهلي في الأمر ووجدت منهم قبولا، فطلبت من أختي أن تتواصل مع إحدى صديقاتها على المنتدى وتأكدنا أنها ليست مخطوبة، وحصلت مباشرة على رقم أهلها وتمت الخطبة والزواج على أرض الواقع بعيدًا عن الانترنت».

الانطواء الاجتماعي للمراهقين

توجهنا إلى المستشار الدكتور محمد القاضي أستاذ التربية بجامعة عين شمس والذي يتحدث عن علاقات المراهقين على الانترنت: «علاقات الإنترنت تسبب اتساع الفجوة بين الشباب وأهلهم، فهم في مشاكل دائمة معهم وفي شجار مع الآباء والأمهات، وتنقلب شخصياتهم رأسًا على عقب، حتى إن مصروفهم يزداد بشكل ملحوظ،، ويدفعون مبالغ طائلة في ساعات الانترنت على الهواتف الجوالة، أو حتى ثمن المكالمات في الجوال، مع تراجع في مستوى التحصيل الدراسي، والكذب يصبح عادتهم، والمدهش في الأمر أن هذا التعلق الجنوني «السحري» بهذا الشكل من وراء الشاشة دون أن يقابل كل طرف الطرف الآخر وجهًا لوجه، حيث يكون التعارف عبر الأصدقاء غالبًا، فقد يكون الشاب- غالبا- على اتصال بعدة فتيات على الإنترنت في آن واحد، نتائجها تجارب قاسية تسلب الفتاة خاصة كل شيء صحتها وسعادتها ودراستها ونفسها وحتى ذاكرتها وتفكيرها.

نحن لا ننفي وجود التعارف بين الشاب والفتاة، لكن يجب أن يكون هذا دمرتها وظلمتها، لكن للأسف علاقات الإنترنت وهمية لا تعطي الانطباع الحقيقي حتى إذا كان أصحاب العلاقة على صدق بالنية في الزواج».

شروط نجاح علاقات الانترنت

وتختلف صفاء معهم بعض الشيء حيث تقول: «علاقات الإنترنت لها شروط حتى تكون ناجحة، أولها أن يكون التعارف الأولي فقط عبر الإنترنت، لكن الخطوات اللاحقة والتي تسميها فترة الخطبة وما قبلها، يجب أن تكون هذه الخطوات على أرض الواقع، لأن التعامل عبر الانترنت سواء كتابيًا أو حتى بالصوت والصورة لا يعطي الانطباعات الصحيحة عن كل طرف، والخلوة يكون لها عامل أساسي في تخريب العلاقة قبل أن تبدأ وبالتالي

الأمر داخل نطاق الأسرة وفي بيت الأهل، فلو حصل أن عرض أحد الشباب أنه يريد أن يتعرف على الفتاة، أو أنه معجب بها ويريد خطبتها لا تقبل اقتراحه أو التواصل معه نهائيًا إلا في بيت أهلها، هكذا تتأكد من نواياه، ومدى أمانته، وهكذا يكون اسلم للطرفين، إننا اليوم في مجتمع لا يرحم الفتاة، ونحن اليوم في مجتمع ذكوري فبمجرد أن تقبل أي علاقة دون خطبة، أو خارج نطاق الأسرة، فمهما كانت نواياها فهي الخاسرة، فالشاب الفاسد يعامل الفتاة كسلعة يستمتع بها، خاصة هؤلاء الذين لا يجدون مانعًا في اللعب بمشاعر الفتيات، وفي مثل هذه العلاقات تكون الفتاة هي المذنبة وهي المسؤولة، أما الشاب فلا أحد يسأله فبعد أي مشكلة يكون هو السبب فيها يخرج بريئًا كأنه لم يفعل شيئا.

انتكاسات نفسية

وعن الأعراض النفسية التي تصاحب العلاقات الفاشلة عبر الانترنت تضيف د. حنان الماوردي الأستاذ بجامعة مصر واستشاري الطب النفسي بمستشفى الأمل قائلة: «مع انتهاء علاقة حب فاشلة عبر الإنترنت تشعر الفتاة في داخلها بفراغ وشرخ كبير جدًا، تكره الحياة، فتاة لا تتحلى بالصبر، لا تملك أي نوع من أنواع الطموح، لا تملك القوة لفعل أي شيء، حتى التفكير يصعب عليها، لم يعد باستطاعتها تحمل أي مسؤولية كما كانت، تملك القدرة للتقدم في تعليمها لكنها قدرة مدمرة، لا تتمكن من استخدامها مما يؤدي إلى فشلها في التعليم، تشعر أنها فتاة عديمة الشخصية في أغلب الأحيان، تكره المجتمع، تفكر بالانتقام بأي وسيلة، فتاة تملك بداخلها طفلة بحاجة إلى العناية والمداعبة والنمو من جديد، تكره نفسها وهي غاضبة جدًا من نفسها، لم تعد راضية عن نفسها وجمالها ومستواها التعليمي والثقافي، فتاة لا تعرف تنظيم حياتها، ولا تملك القدرة على ذلك، حتى مجرد التفكير في البداية غير موجود، عصبية جدًا، تقلل من الجلسات الاجتماعية».

تشعر كأنها تعيش في أحداث فيلم وأن ما يدور حولها لا يهمها، لا تدرك ما الذي تريده، تفقد روحها النقية، تفقد الرغبة في ممارسة حياتها اليومية بشكل طبيعي، تفكر بالطرق السيئة، لم تعد تملك تلك الطريقة اللبقة في الكلام، لم تعد تحب القراءة والثقافة، تفضل الانزواء، يصعب عليها التركيز، تفشل كلما حاولت التقدم حتى ولو تقدمت قليلا لتعود إلى حالة اليأس والإحباط والكآبة، تشعر دائمًا أنها فاشلة وهذا الشعور يلاحقها، وهي لا تتقبل هذا الوضع، أنها فاشلة، وأن ذلك الشاب المستهتر واللامبالي هو الذي أدى بها إلى الوصول لتلك الحالة، وهو السارق الذي سرق أجمل ما فيها، وتحاول أن تنجح للتخلص مما هي فيه، وربما تنجح قليلا لكن هذا النجاح لا يدوم طويلا، لكنها تدرك أنها مازالت بحاجة لمن يساعدها على الظهور من جديد.

الآباء سبب للتوجه الخاطئ

وعن دور الأهل في وقوع الأبناء في هذه المشكلات يضيف المستشار الاجتماعي حمدي محسن: «لا نرى للمتحابين غير النكاح» وهنا يأتي دور الأهل لأنهم يضعون مئات العقبات والمطالب أمام الشاب الذي أحب ابنتهم وتقدم لخطبتها بشكل رسمي بدلا من العلاقات الخاطئة والتي في الغالب لا يحتاجها الشاب ولا الفتاة إلا لإرضاء المجتمع، وبعض الآباء يقفون حجر عثرة أمام مستقبل بناتهم فقد رفض أحدهم تزويج ابنته الصغرى قبل الكبرى لينتهي الأمر بالصغرى كأختها التي فاتها القطار عدة محطات، ليصل بها إلى محطة العنوسة، وآخر لا يستغني عن راتب ابنته التي تملأ جيبه نهاية كل شهر، والفتاة تكبر والأيام تمضي والسنون تمر وليس على لسانه إلا عبارات الرفض لكل طارق يطرق بابه طالبا ابنته، وكل مرة يتذرع بذريعة ويقدم حججا واهية لرفضه من يتقدمون لابنته، وعندما ضاقت ابنته بهذا الحال وحاولت أن تكلمه بهذا الأمر، وبخها ونهرها واتهمها بقلة الأدب وسوء الأخلاق وعدم الوعي وأنه أدرى بمصلحتها منها، فلم يكن منها إلا الزواج السري والذي يكون الانترنت هو الوسيلة الوحيدة للعثور على رجل الأحلام كما تعتقد.

مع افتتاح العام الدراسي

أميرة سليمان أبوجبة

بداية خطوات طفلك إلى المدرسة لاشك أنها مثيرة لك وله أيضا، ولمواجهتها وضع علم التربية والنفس في العالم أسسًا وتوجيهات ونصائح لمساعدته على التكيف والخوف.

● اصحبي طفلك في بداية العام الدراسي ولا مانع من الانتظار معه حتي يدق الجرس وخلال تلك الفترة تجاذبي معه الحديث ووجهي نظره بهدوء إلى زملائه وزميلاته الصغار في محاولة للتقريب بينهم وبينه.

● إذا كان طفلك سيذهب إلى المدرسة بالباص يجب أن تصطحبيه حتى يركب وتقومي بعمل التعارف اللازم مع المشرفة والسائق حتى يطمئن قلبه.

● أشعري طفلك انك متعلقة به أكثر من تعلقه بك فالطفل يشعر في تلك اللحظات بأنك تتخلين عنه وأن العالم كله ينسحب من تحت قدميه.

● اشرحي له أنه في المدرسة سوف يقوم بكل أنواع الاكتشافات الجديدة والمثيرة وسوف يشترك في كل أنواع النشاطات الذهنية والبدنية.

● تأكدي من حفظ طفلك لاسم مدرسته ورقم فصله، وضعي في حقيبته الجديدة لعبته المفضلة أو كتابًا أو كراسة التلوين التي يحبها فهذا يعطيه المزيد من الطمأنينة.

● احذري أن تشعري طفلك بأن المدرسة وسيلة عقاب له حتى لا يكرهها أو يبدأ في التمارض فالانطباع الأول عن المدرسة الذي يكتسبه الطفل يؤثر تأثيرًا كبيرًا على نفسيته ويظل يلازمه فترة طويلة.

ويؤكد خبراء التربية أن الأبناء في الأيام الأولى للدراسة يحتاجون إلى قضاء وقت حميم معهم بعد عودتهم من المدرسة للاستماع إلى انطباعاتهم وتقبل مشاعر القلق والعمل على حلها وإيجاد البدائل المطمئنة لهم.

● يمكنك كتابة خطاب رقيق أو كارت أو رسم كاريكاتير وضعيه في محفظة أقلامه لتكون مفاجأة سارة له في المدرسة.

● شجعي طفلك أن يقدم بعض الهدايا البسيطة لمدرسته واصدقائه، مثلا هدايا من الأقلام والورود أو الأعمال الفنية من صنع يديه.

● عودي طفلك من أول يوم على عادات التنظيم والتخطيط مثل تحضير حقيبة المدرسة ليلًا وكتابة ما يريد تناوله في الصباح أو أخذه معه في المدرسة في مكان ظاهر في حجرته، وقريب من المكان الخاص بحفظ احتياجاته.

● احرصي أن تكوني على اتصال دائم بمدرسته ومدرسيه في الأيام الأولىحتي يشعر طفلك بالاطمئنان والراحة.

باحثة تربوية

العطاء مفتاح الحياة الزوجية السعيدة

د.خالد سعد النجار

ليس أفضل لدوام الحياة الزوجية في سعادة وسرور من «العطاء» تلك الكلمة الواسعة التي تحمل في داخلها العديد من الأفعال والتصرفات والكثير من المعاني والمشاعر، إن الطاقة الهائلة التي تكمن في قلب أحد الزوجين تجاه الآخر تظهر وتتضح في صورة هذا العطاء الذي لا يمكن حصره، ولاشك أنه عامل مهم في بقاء الحياة الزوجية واستمرارها، على نحو يحمل السكينة والراحة والسعادة والسرور لكل من الزوجين.

النوايا الحسنة وحدها لا تكفي في العلاقات الزوجية، فكون الزوجة تحب زوجها أو الزوج يحب زوجته، ولا يترجمان ذلك إلى واقع عملي يتمثل في العطاء المتنوع، لا يمكن لمثل هذه المحبة الداخلية والنوايا الحسنة أن تقيم العلاقات الزوجية على حال جيدة، بل إن من أهم ما يسبب التوتر في العلاقة بين الأزواج المتحابين، وجود طرف في تلك العلاقة معطاء ومحب، بينما الطرف الآخر ليس على المستوى نفسه، وأفضل علاج هو أن يتعلم الزوجان كيف يتعادلا في الحب والعطاء ماديا ومعنويًا.

العطاء الحقيقي

هناك فرق كبير بين أن نقوم بالعطاء دون انتظار أي مقابل، وبين أن نقوم بالعطاء ونحن نتوقع أن نحصل على شيء بالمقابل، لذلك إذا قمنا بالعطاء الحقيقي فإننا لا نكون متوقعين أن نحصل على شيء بالمقابل، وبالتالي لن نصاب بخيبة أمل، إضافة إلى ذلك سنحصل على متعة ذاتية ونحن نقدم العطاء.

وفي كل شركة لابد أن يكون لك شريك له حقوق وعليه واجبات حتى تستقيم الأمور، وكذلك فعل الإسلام بالنسبة للبيت، فقد جعل لكل من الزوجين حقوقًا ورتب عليها واجبات، ولن تتحقق السعادة إذا أهمل أحد الطرفين أداء واجبه وراح يطالب الآخر بحقوقه عليه، وإنما ينبغي لكل منهما أن يبادر بتأدية ما عليه من واجبات، ورغبة في إسعاد شريكه وإدخال السرور في نفسه، وعلى الآخر مثل ذلك، ولقد تكفل الله سبحانه وتعالى - وهو أحكم الحاكمين- بتحديد تلك الحقوق والواجبات حتى لا يتظالم الشريكان فتتبخر السعادة، ووفق قاعدة متوازنة دقيقة من صنع العليم الحكيم تقرر الأمر على أساس العدل حيث يقول سبحانه: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ (البقرة: ٢٢٨).

التسامح أفضل طريقة للتخلص من الشعور بالتعاسة أو المعاناة التي قد تواجهها في رحلة الحياة

ولاننسى في خضم الحقوق والواجبات أن التسامح أفضل طريقة للتخلص من الشعور بالتعاسة أو المعاناة التي قد نواجهها في رحلة الحياة، لكن البعض يجد صعوبة في التسامح بل واستحالته، في الوقت الذي يؤكد فيه علماء النفس على أن الحياة يمكن أن تسير بلا عواصف أو زوابع إذا فتح كل طرف أذنيه ليسمع الطرف الآخر، ويحاول أن يجد إجابة لأسئلة شريك حياته، ولا يلقي بها وراء ظهره، لأن حسن الاستماع من الشروط الأساسية للتواصل الجيد بين الزوجين وهو دليل على الاهتمام والتقدير.

التضحية المتبادلة

التضحية المتبادلة بين الزوجين ركن مهم من أركان السعادة الزوجية، ذلك لأن الحياة الزوجية بمعناها الحقيقي حياة

خبير تربوي

عطاء، حياة قوامها واجبات على كل طرف من الأطراف قبل أن تكون حقوقًا لكل من الزوجين، ومن ذلك كان لزامًا على كل من الزوجين أن يتنازل طوعًا عن كل ما كان ينعم به من حرية شخصية ومن استقلال قبل الزواج، وعلى كل منهما أن يضحي عن طيب خاطر، وأن يكون شعار الحياة الزوجية التضحية المشتركة، فلا يشعر أحد الزوجين بأنه يضحي في حين أن الآخر يضن بالتضحية، ومن لم يكن لديه القدرة على التضحية، فعليه أن ينتحي ناحية من الجبل وينعزل عن الناس، وأن لا يطرق باب الزواج.

الإعجاب الإعجاب

قد تحظى بإعجاب كل الناس، ولكن إذا افتقدت إعجاب رفيق حياتك فإنك ستفقد إعجابك بنفسك، فأنت لا يهمك إلا إعجاب هذا الرفيق، وهو فقط الذي يهمك أن تظهر له مواطن جمالك وقوتك وإبداعك وتفوقك، ونجاحك، وهو الذي يهمك أن تسمع منه كلمة مدح، وهي

التضحية المتبادلة بين الزوجين ركن مهم من أركان السعادة

ليست ككلمات الآخرين، وإنما هي كلمة تعبر عن فهمه لك وعن سعادته لأنه معك وأنك تستحق الحب والتقدير، ولذلك يجب أن تسمو وترقى كلمات الإعجاب فلا تكون تقليدية تتناول الشكل والجمال الخارجي والأناقة والإمكانات المادية فقط، وإنما تمتد لتشمل الذكاء والفكر والنجاح والتفوق.

تعدد الأدوار

تتعدد أدوار الزوجة في حياة زوجها، فهي أم وصديقة وأخت وابنة وحبيبة، فكوني كل النساء في حياة زوجك، فهو يحتاج منك أحيانًا إلى عناية الأم واحتوائها ورعايتها وقدرتها على التوجيه، كما يحتاج إلى أن يعبر عن الطفل بداخله، والطفل في حاجة إلى أم وليس زوجة، وهذا محور مهم يجدد ذكريات الطفولة ويثير مشاعر كانت موجودة وتتعدد أدوار الزوج في حياة زوجته، فهو الأب والأخ والابن والحبيب، فلتكن أيضًا الأب الذي يحرك طفولة زوجته، والأب بتوفيق الله عز وجل- هو الحماية، القوة، الرأي السديد، الحزم، المسؤولية، فتأوي إليك وتنتصر بك.

فعلى كلا الطرفين إدراك أنهما يكملان بعضهما البعض، وأن كلا منهما مهم لحياة الآخر، وعليهما أن يحولا الخلافات بينهما إلى تعاون من شأنه تقوية الأواصر بينهما، كي يستطيعا مواجهة أعباء الحياة ومشكلاتها بشكل أفضل.

المرأة العاقلة

ستظل مشكلة العطاء تتكرر في كل زمان وفي أكثر من بيت، ولن يكون لها حل ولا علاج إلا بتزوج امرأة عاقلة تفكر بعواقب الحياة، فكوني هذه المرأة العاقلة، وكوني عونًا له في السراء والضراء، واستغلي الفرصة، وشاركي زوجك في فرحته بنجاحه الذي حققه في حياته العملية، فهذه هي اللحظة التي ينتظر فيها مشاركة حقيقية من شريكة حياته لتبث في نفسه روح التفاؤل والإقدام دائمًا، وحاولي أن تطلعي على الموضوعات التي تتصل بمجال عمله لكي تصبحي ذات نفع له عندما يطلب منك المشورة والرأي، وأحسني الاستماع إليه، وتناقشي معه في تنظيم ميزانية البيت ومحاولة اقتصاد المال لمواجهة الاحتمالات المستقبلية، وبهذا سيجعلك زوجك في منزلة الزوجة المثالية العاقلة.

الملاطفة من أسباب دوام المحبة

على كل من الزوج والزوجة الحرص على ملاطفة الآخر وملاعبته والمزاح معه، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه برغم جديته وحزمه يقول: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي فإن كان في القوم كان رجلًا».

وروت عائشة (رضي الله عنها): «أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفرة وهي جارية، قالت لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال لأصحابه تقدموا، ثم قال: «تعالي أسابقك! فسابقته فسبقته، فلما كان بعد وحملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: تقدموا فتقدموا ثم قال: «تعالي أسابقك! ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟! فقال: «لتفعلن» فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وقال: «هذه بتلك».

خمسون قصة تحكيها لطفلك

دعاء حاتم آدم

البشر بطبيعتهم - كبارا وصغارا - يحبون القصص، فعندما تطلب من صديقك قرضا ماليا غالبا لا تطلب ذلك منه مباشرة كأن تقول له: أقرضني مبلغا من المال. لكنك تقص عليه حكاية: الراتب أخذته.. والولد مرض وحصلت لي بعض الظروف.. وهكذا، وعندما يشتكي الابن لوالده من ظرف ما غالبا ما يحكي له الوالد حكاية: عندما كنت في مثل عمرك حدث معي كذا.. وفعلت كذا.. وهكذا. والأم عندما تكافئ أبناءها تحكي لهم «حدوتة»، وهكذا.. وهذا الميل الفطري للقصة يجعل منها وسيلة من وسائل التربية والتقويم. بهذا يستهل الكاتبان د/ عبدالله محمد عبدالمعطي، و د. سيد عبدالعزيز الجندي كتابهما «٥٠ قصة تحكيها لطفلك في البيت والروضة والمدرسة».

أيها الوالد انك عندما تجمع اطفالك وتحكي لهم قصة هادفة فأنت بذلك تأخذ ثواب تربية الأبناء وقضاء الوقت في خير، كما انك أيضا تطبق سنة تربوية مهمة تأخذ من خلالها ثواب الاقتداء بالنبي ﷺ.. هكذا تبدو القصة في عين المؤلف، ويستدل على ذلك بأن النبي كان كثيرا ما يقص على أصحابه قصص السابقين وقد كان ما يحكيه مقدما بقوله «كان فيمن قبلكم» ثم يبدأ القصص وما انتهت إليه مستجيبا لتوجيه الهي كريم ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (الأعراف: ١٧٦).

فحكى النبي ﷺ لأصحابه قصة أصحاب الغار وأصحاب الأخدود وقصة الأعمى والأبرص وغير هذه القصص كثير.

ومن هنا يرى المؤلف اهتمام الإسلام بالقصص للكبار والصغار على حد سواء، ويقول: اذا طلب منك ابنك أو ابنتك وهما في سن العشرين ان تحكي لهما «حدوتة» فيا ترى ماذا سيكون ردك؟ لا تتسرع في الإجابة واستمع لما رواه الحاكم عن

النبي ﷺ حكى لأصحابه قصة أصحاب الغار وأصحاب الأخدود وقصة الأعمى والأبرص وغيرها

سعد بن أبي وقاص انه قال:

نزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلا عليهم زمنا، فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزل قوله تعالى ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون. نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (يوسف ١-٣).

لقد أراد الصحابة القصص فدلهم الله على أحسن القصص، وشغلت القصة مساحة واسعة من كتاب الله تتراوح ما بين الربع والثلث، وتعلم الصحابة من القرآن أهمية القصص وكيف يستعملونه في غرس قيم الحق والخير في نفوس الصغار، لذا علينا أن نربي أطفالنا بالقصة كما فعل أصحاب محمد ﷺ وألا نترك غيرنا يحتل عقول أطفالنا بقصة سامة أو «حدوتة» مهلكة، ويضيف الكاتب: انظروا إلى سعد بن أبي وقاص وهو يقول: «كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله كما نعلمهم السورة من القرآن».

وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص انه قال: كان ابي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكراها، وقال زين العابدين بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن.

كاتبة صحفية

أسعدي طفلك:

ويحث الكاتب كل أب وأم أن يكونا مصدر سعادة للأطفال فيقول:

يجب ان نكون لأبنائنا مصدر فرح وسرور ومتعة وليس فقط مصدر توبيخ وعقاب، حتى اذا ما لعبت شياطين الإنس او الجن بعقولهم قائلين: أبوك لا يحبك او امك تكرهك، يتذكرون حينها تلك الجلسات القصصية الممتعة التي تبث السعادة في نفوسهم.

ويذكر الكاتب قصة فتاة في العشرين من عمرها تقول: ان من احلى ذكريات الطفولة تلك الأوقات السعيدة التي كنت أقضيها مع أبي وأمي يقصان علي بعض القصص اللطيفة.. وتضيف: لقد كانت هذه القصص مصدرا عظيما للمعلومات التي عرفتها عن النبي ﷺ وعن انبياء الله الكرام، ويحدثنا آخر عن ذكرياته فيقول: عندما كنت طفلا كنا ننتظر بفارغ الصبر إلى أن تنتهي جدتي من صلاة العشاء وتطوي سجادتها لكي نسارع بالالتفاف حولها وتقول: «صلوا على النبي»، فنرد بسرعة: «عليه الصلاة والسلام»، فتستحضر كل ليلة حكاية مسلية وذات مغزى عميق، كنت ساعتها أستمتع فقط بالأحداث، لكن عندما كبرت أدركت تلك القيم التي تركزت بعمق في وجداني.

وإذا كانت القصة مصدر سعادة فهي ايضا مصدر يعلم الطفل كيف يتعايش مع ظروفه وكيف يتغلب على أحزانه، فالطفل الذي يعاني مشكلة ما يمكن للوالدين اختيار قصة او تأليفها بحيث تحتوي على نفس مشكلة الطفل

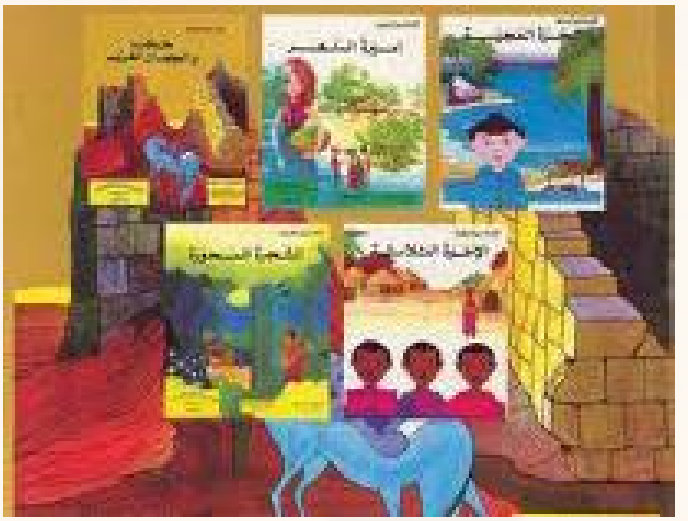

وكيف تمكن البطل من حلها او التعايش معها، كذلك يمكن للوالدين معالجة اخطاء الصغار بقصة خفيفة، فالأطفال ينصتون باهتمام اذا قرأت عليهم قصة، أما إذا أعطيتهم محاضرة في الخلق الحسن فقد لا تجذب اهتمامهم لوقت طويل، ويسرد الكاتب قول احدى الأمهات: عندما تخلد ابنتي إلى فراشها أحرص على أن أقص عليها حكاية تدور حول مشكلة صادفتني معها في النهار، وأجعل أبطال القصة ينطقون بها، بينما اقف انا وابنتي في صف واحد نستمع لهم وهم يتحدثون، وهنا اكون مع ابنتي في صف واحد ولم تعد في وضع التحدي بالنسبة لي، واضمن حكايتي رسالة تربوية قد ترفض ابنتي سماعها بشكل مباشر ولطالما لمست نتائج رائعة في هذه الطريقة من العلاج لأخطاء ابنتي العنيدة.

لا تحرم طفلك:

ايها المربي الفاضل لا تحرم طفلك لذة سماع صوتك، هكذا يهيب الكاتب بالآباء، ويقول: ان فترة الطفولة ليس فيها قراءة ولا كتابة، وهذا يعني ان الطفل يتلقى حوالى ٧٠٪ من تواصله مع العالم من حوله من عملية السماع والتلقي، واذا كان الطفل يحتاج الى من يشبع مسامعه ويملأ صفحات عقله النقية فليكن صوتك ذاك الذي يشبعه وينير له الطريق، فبادر بالقصة او لب نداء طفلك بها، وإذا طلب منك طفلك حكاية وأنت مشغول عنه فإياك ان تنهره بطريقة قاسية مهما ألح عليك فليس هناك مانع ان تقول له: أنا الآن مشغول وبعد نصف ساعة سأحكي لك على أن تفي بما تعده به.

وانتبه.. فإنك ان لم تحكِ له اليوم فلن يحكي لك عن نفسه غدًا، وان لم يسمع منك فسيسمع من غيرك..

لا تحرم نفسك:

يقول الرسول ﷺ إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول يا رب أنى لي هذا؟ فيقول «باستغفار ولدك لك». فإذا اردت ان يستغفر لك ولدك غدا فاغرس في نفسه اليوم من الذكريات الرائعة التي يتذكرك بها دائما، فأنت اليوم تصنع ذكريات الغد.

متى يستفيد طفلك؟

يذكر الكاتب ان قراءة القصص المصورة للطفل من سن سنة فأكثر من اهم العوامل التي تساعد على تنمية قدراته على التعلم واكتساب المهارات اللغوية، وقد ثبت ان أفضل طريقة لقراءة القصة المصورة للطفل تكون بجلوسه على حجر أمه أو أبيه، وبذلك يكون الطفل ووالدته يطالعان القصة معا، ومن الأفضل ان تضع الأم إصبعها وتمشي تحت الكلام المكتوب الذي تقرؤه، وذلك لأن الطفل مع انه

لم يعرف القراءة بعد إلا أنه سيعرف ان الكلام الذي يسمعه من فم أمه تلتقطه من تلك الحروف السوداء المطبوعة تحت الصورة او بجوارها، وأن الكتابة تتم من أعلى إلى أسفل أو من اليمين إلى اليسار.. وهكذا.

قبل أن تحكي:

وإذا كنت أيها المربي قد عزمت على أن تمضي قدما في طريق القصص الهادف فإن الكاتب ينصحك بالآتي:

- اقرأ لطفلك بعيدا عن المشتتات المغرية له، فلا تجلس أمام التلفاز وتروي له، فبالطبع لن يلتفت إليك بل ستجذبه الرسوم المتحركة.
- اقرأ له وهو شبعان وإلا فسيفكر في الطعام او الحلوى اكثر من استمتاعه بقصتك.
- لا تقرأ له وهو متعب او يشعر بالإرهاق.
- لا تقرأ له وأنت متعب او تشعر بالإرهاق حتى تتمكن من تقديم القصة بصورة جيدة.
- اقرأ له في أي صورة ممكنة (جالسا او نائما او قائما)، فالمهم ان يكون أسلوبك ممتعا.
- قبل ان تقرأ القصة مع طفلك اقرأها انت وحدك حتى تتعرف عليها وتحدد الهدف منها.

ابدأ القصة:

وقبل ان تبدأ القراءة افتح حوارا مع طفلك واجعله يستنبط المعلومة بنفسه، فعلى سبيل المثال اسأله عن صورة الغلاف فيقول لك عصفورة، فاسأله عن المكان الذي تقف عليه ولونه وعدد العصافير المحيطة.. الى غير ذلك ثم اتبع ذلك بقولك: هيا نتعرف على القصة ونعرف ما حدث مع العصفورة، وافعل ذلك ايضا في منتصف القصة حتى لا يمل منك الطفل أو يشرد بعيدا.

استخدم عند سرد القصة لغة مناسبة لا هي بكلمات معقدة ولا هي مبتذلة دارجة، فلغتنا العربية سهلة وجميلة وبها الفاظ بسيطة تستطيع من خلالها ان توصل المعنى ببساطة وسهولة، ولا تنس ان تنفعل بأحداث القصة وحاول دائما ان تتقمص شخصياتها عند الإلقاء.

لا تمل من التكرار:

بعد ان تنتهي من القصة اطلب من طفلك اعادة روايتها وان لم يستطع فاحك له نصفها واتركه يكمل الباقي، وقد تفاجئ بطفلك يطلب منك تكرار القصة اكثر من مرة في ذات الوقت أو في أوقات لاحقة، فلا تمل منه، فالطفل الذي يحب شيئا يتعلق به ويعيش معه، والتكرار هو مبدأ العلماء الكبار، فالعقاد يقول: «قراءة كتاب ثلاث مرات افضل من قراءة ثلاثة كتب».

هكذا يرى الكاتب، ويدلل على ذلك أن معظم قصص القرآن مكرر في كثير من السور والآيات، فليس هناك ما يمنع من تكرار القصة الواحدة للطفل مرات ومرات مع محاولة التجديد في أسلوب حكايتها.

بصمات لا تنسى:

ما أجمل ان يحيط المربي حكاياته بسياج من الحنان والحب عن طريق اقترابه من الطفل والمسح على شعره اضافة الى نظرة حانية وابتسامة صافية وصوت عطوف مما يثبت في قلب الطفل الشعور بالراحة والأمان، هكذا يدعو الكاتب كل ام وكل اب، فهو يحث على جعل «الحدوتة» عملا فنيا عاطفيا تربويا لا تعد فوائده وثمراته على الطفل.

ويضيف قائلا: كما يمكن للأم والمعلمة التي تحكي القصة ان ترسم لوحة للقصة أثناء حكيها او تعدها مسبقا، ومن الممكن ان تشرك الأطفال معها في ذلك وهو ما يمكنهم من اعادة روايتها مرة أخرى، وهذا يزيد من المهارات الفنية واللغوية للطفل في ذات الوقت، وبهذه التشويقات فإن القصة او «الحدوتة» يمكن ان تكون وسيلة للثواب، كما يمكن ان تكون وسيلة للعقاب، فمن يخطئ يحرم من سماع القصة ومن يفعل عملا جميلا يكافأ بسماع قصة يحبها.

وبعد ان تحكي يقول تعالى ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾.

ومن هنا يرى الكاتب انه من الواجب على المربي ان يسأل طفله في نهاية القصة عما استفاده منها ويستخرج له واجبات عملية بسيطة يتابع معه تنفيذها، وبهذا تكتمل المنفعة من القصة.

وهكذا يختم المؤلفان الباب الأول من الكتاب، ليأتي بعد ذلك الباب الثاني، وهو عبارة عن ٥٠ قصة أبطالها من الحيوانات.. حمامة ، حمار، اسد، ثعلب، تتناسب مع اعمار الأطفال من سن ٣ -١٢ سنة، وقد أعد المؤلفان هذه القصص ليقرأها المربون على اطفالهم، والى جانب كل قصة جدول صغير كتبا فيه باختصار العبر والعظات من القصة وسؤالا يطرحه المربي للنقاش مع الأطفال حتى تؤتي القصة ثمارها بإذن الله.

وهذا الكتاب يتميز بميزة الاختصار المفيد، إذ ينطبق عليه المثل «خير الكلام ما قل ودل»، وهو معين في عصر يضيق فيه الوقت على المربين ليقرأوا ويتعلموا فنون تربية صغار صالحين، فيأتي هذا الكتاب ليقدم زادا كثيرا في صفحات قليلات، وما قل و كفى خير مما كثر وألهى.

والله نسأل ان يتقبله من الكاتبين ويجعله في ميزان حسناتهما.

وتسألني ابنتي

د. عبدالمنعم عبدالله حسن

أن يقرأ القرآن الكريم في البيت، ويصدح به في غرفاته، ويدوى به في جنباته، فهذا عطاء من الله كبير، وخير وفير.

أن يتعود أبناؤنا تلاوة الذكر الحكيم، ينهلون طهره، ويقتبسون نوره، ويعيشون بركته، فهذا فيض عميم وفضل عظيم.

أن تكون القراءة بتدبر، والتلاوة بتفكر، فهذا مفتاح الفتوح، وباب الوصول، وطريق القبول، ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد: ٢٤).

إن تدبر القرآن الكريم معايشة لجلاله، وتفاعل مع تجلياته، وتذوق لآياته، وإنه لأمارة على تشرب القلب لهذا الشعاع المبين، وانشراح الصدر لهذا الضياء الساطع، واستجابة الشعور لهذا النور، وتنعم الوجدان بهذا الأمان.

إن تدبر القرآن الكريم مرحلة تخطف القراءة باللسان إلى الوعي بكل الكيان ليستوعب إيحاء المعنى، ويعايش اجواء المغزى، في حالة قرآنية لا يصورها بيان، وإنما يحياها ويتذوقها الجنان.

تقرأ ابنتي سورة النور، وتصل إلى الآيتين الكريمتين اللتين ترسمان خُلق الاستئذان، وتضعان حدودًا تضمن طهارة الصلات، وتصون حمى الحرمات، وتبنيان حواجز منيعة للستر، والصون، والعفاف.

﴿يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم. وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ (النور: ٥٨-٥٩).

وتقف ابنتي في الآيتين الكريمتين مع الذين لم يبلغوا الحلم في الآية الأولى وعند بلوغهم الحلم في الآية الثانية، فقد استوقفها حديث الآيتين عنهم في الحالتين، فما سر هذا؟

تسألني.. فأُسر، وأعلم أن القراءة تجاوزت مرحلة اللسان إلى دائرة القلب، وتخطت منطقة النطق إلى استكناه العمق، وحلقت من مجرد القراءة إلى افق التدبر والتفكير، وسرت في الوجدان نورًا، وفي العقل فكرًا، وفي المشاعر تذوقًا وحسًا.

وأعود بها إلى الآية الأولى لأتدبرها معها، إنها تضع أوقاتًا ثلاثة تحددها للاستئذان لأولئك الطوافين ممن ملكت اليمين، ومن الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم بعد، فمحظور عليهم التطواف في هذه الأوقات المحددة التي هي محل الاسترخاء، وموضع الانفكاك من القيود، فلا ينبغي أن تقتحم هذه الأوقات حتى من هؤلاء.

وأما في الآية الثانية، وقد بلغ الأطفال الحلم فالاستئذان أصبح لزامًا في كل الأوقات، لقد انطبق عليهم ما انطبق على غيرهم من البالغين المكلفين.

ومن ثم.. فالآية الأولى ترسم دائرة خاصة تلزم فيها الاستئذان حتى لأولئك الطوافين في أوقات معينة، والآية الأخرى ترسم دائرة عامة تجعل الاستئذان في كل وقت وحين.

وفي هذا بعد تربوي، اذ يتدرب هؤلاء الصغار على خلق الاستئذان في أوقات خاصة ليتعودوا عليه، ويتمرسوا وهم في مرحلة التكوين، وفترة الإعداد وسن التوجيه، وحضن التربية، وكنف التنشئة، حتى إذا نضج عقلهم، ونهض فكرهم، واشتد عودهم، وبدت عليهم أمارات الرشد، ودلائل الوعي، ألزموا به في كل وقت، فلا يكون الأمر مفاجأة لهم، فقد مارسوه من قبل ممارسة مؤقتة.

إن خلق الاستئذان أصل في البناء الخلقي، والكيان التربوي الذي ينبغي أن ينشأ عليه النشء، حتى يصبح فطرة وسجية، ومسلكًا قويمًا يتحلى به حتى تطهر المجتمعات، وتصان الحرمات، وتوصد نوافذ الشر، وتغلق ثغرات الرذيلة، ويتعود على غض البصر، والالتزام بحقوق الآخرين، ومراعاة حرماتهم وخصوصياتهم.

إن هذه التخوم الأخلاقية، وتلك الحواجز السلوكية، لتربي في النفس قيم حرمات الحدود المادية، ليتأصل أن «كل المسلم على المسلم حرام.. دمه، وماله، وعرضه» كما قال ﷺ (رواه مسلم).

وأنهي الحديث مع ابنتي فيما استوقفها.

ثم أعود إلى الآيتين من جديد، فيستوقفني فيهما شيء آخر، حيث ختمتا بقول الله تعالى: ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بما يصلح البشر، حكيم في تدبيره أمورهم، وقد سبق هذا الختام في الآية الأولى بقوله تعالى ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ بهذا العموم الذي يناسب الحديث عمن ملكت الأيمان، وعمن بلغوا الحلم، وفي الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ لتناسب الحديث الخاص بمن بلغ الحلم من الأطفال فقط، وهكذا.. يتنوع الأسلوب القرآني المعجز بما يوائم السياق، في بلاغة بيان لا نظير لها.

أستاذ لغة عربية

أم السعد محمد علي نجم
الشيخة المُجيزة لقراءات القرآن المتواترة

التحرير

هي أم السعد محمد علي نجم، الشيخة الحافظة المحفظة المتقنة المعمرة، أشهر امرأة معاصرة في قراءات القرآن الكريم، فهي السيدة الوحيدة التي تخصصت في القراءات العشر، وظلت طوال نصف قرن تمنح إجازاتها في القراءات العشر لجموع طلاب العلم من شتى أنحاء العالم.

نشأتها

وُلدت أم السعد في: (١١/٧/١٩٢٥م) بقرية «البندارية» بمحافظة «المنوفية» بجمهورية مصر العربية، وقد فقدت البصر في إحدى عينيها وهي في السنة الأولى من عمرها ثم فقدت بصرها بالكليَّة.

نذرها أهلها لحفظ القرآن الكريم وخدمته فحفظت القرآن الكريم كاملًا في مدرسة «حسن صبح» بالإسكندرية وهي في الخامسة عشرة من عمرها.

خدمتها لكتاب الله

بعد أن أتمت أم السعد حفظها لكتاب الله توجهت إلى الشيخة «نفيسة بنت أبوالعلا» والتي كانت توصف بـ: «شيخة أهل زمانها» وطلبت منها تعلُّم القراءات العشر، فوافقت الشيخة نفيسة ولكنها اشترطت عليها ألا تتزوج أبدًا؛ فوافقت أم السعد على شرط شيختها التي كانت معروفة بصرامتها وقسوتها على السيدات.

ذلك مع العلم بأنَّ الشيخة «نفيسة» لم تتزوج رغم كثرة من طلبوها للزواج من الأكابر، وماتت وهي بكر في الثمانين من عمرها، انقطاعًا للقرآن الكريم وخدمته.

وبعد توفيق الله عز وجل ثم بمثابرتها وانقطاعها استطاعت أم السعد إتمام هذه المهمة الشريفة وحصلت من شيختها «نفيسة» على إجازة في القراءات العشر، وهي في الثالثة والعشرين من عمرها.

تقول أم السعد عن حفظها للقرآن: «ستون عامًا من حفظ القرآن وقراءته ومراجعته جعلتني لا أنسى فيه شيئًا... فأنا أتذكر كل آية وأعرف سورتها وجزأها وما تتشابه فيه مع غيرها، وكيفية قراءتها بكل القراءات... أشعر أنني أحفظ القرآن كاسمي تمامًا، لا أتخيل أن أنسى منه حرفًا أو أخطئ فيه... فأنا لا أعرف أي شيء آخر غير القرآن والقراءات... لم أدرس علمًا أو أسمع درسًا أو أحفظ شيئًا غير القرآن الكريم ومتونه في علوم القراءات والتجويد... وغير ذلك لا أعرف شيئًا آخر».

زواجها

لم تستطع أم السعد الوفاء بشرط الشيخة نفيسة، فقررت الزواج بعد أن تقدم لها الشيخ محمد فريد نعمان، وهو من أول من منحته «أم السعد» إجازة في القراءات، وكان من أشهر القراء في الإذاعة، «وكان ضريرًا».

تقول أم السعد عن قصة زواجها: «لم أستطع الوفاء بالوعد الذي قطعته لشيختي «نفيسة» بعدم الزواج... كان يقرأ عليَّ القرآن بالقراءات... ارتحت له... كان مثلي ضريرًا وحفظ القرآن الكريم في سنّ مبكرة... درَّست له خمس سنوات كاملة، وحين أكمل القراءات العشر وأخذ إجازاتها طلب يدي للزواج، فقبلت».

واستمر زواجهما أربعين سنة كاملة لم تنجب فيها أولادًا... وتعلّق قائلة:

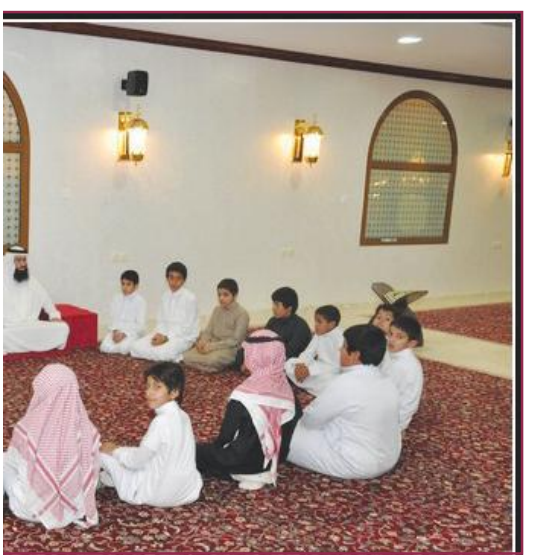

«الحمد لله... أشعر بأن الله عز وجل يختار لي الخير دائمًا... ربما لو أنجبت لانشغلت بالأولاد عن القرآن، وربما نسيته».

سلسلة أم السعد

بينها وبين النبي ﷺ برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية (٢٧) قارئًا، حيث تلقت القراءات العشر من طريق الشاطبية والدُّرة عن: الشيخة نفيسة بنت أبي العلا، عن عبدالعزيز علي كحيل، عن عبدالله الدسوقي، عن الشيخ علي الحدادي شيخ القراء بالديار المصرية، عن الشيخ إبراهيم العبيدي، عن شيخ الجامع الأزهر محمد بن حسن السمنودي المنير، عن علي الرميلي، عن شيخ قراء زمانه محمد بن قاسم البقري، عن شيخ قراء مصر عبدالرحمن بن شحاذة اليمني، عن علي بن غانم المقدسي، عن محمد بن إبراهيم السمديسي، عن الشهاب أحمد بن أسد الأميوطي، عن الإمام الحافظ حجة القراء محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الشافعي، عن عبدالرحمن بن أحمد البغدادي، عن شيخ القراء بمصر محمد بن أحمد الصائغ، عن علي بن شجاع الكمال الضرير صهر الإمام الشاطبي، عن الإمام أبي القاسم عن الإمام علي بن محمد بن هذيل البلنسي، عن أبي داود سليمان بن نجاح، عن الإمام أبي عمرو الداني، عن طاهر بن غلبون، عن علي بن محمد الهاشمي، عن أحمد بن سهل الأشناني، عن أبي محمد عبيد بن الصباح، عن حفص بن سليمان، عن عاصم بن بهدلة بن أبي النجود، عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي، عن عثمان وعلي وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وأخذ هؤلاء عن النبي ﷺ الذي تلقى عن جبريل عن ربِّ العزة جل جلاله.

أشهر تلاميذها

تردد عليها لحفظ القرآن ونيل إجازات القراءات صنوف شتى من جميع الأعمار، والتخصصات، والمستويات الاجتماعية والعلمية، وكانت رحمها الله تخصص لكل طالب وقتًا، لا يتجاوز ساعة في اليوم يقرأ عليها الطالب ما يحفظه فتصحح له قراءته حتى يختم القرآن الكريم بإحدى القراءات، وكلما انتهى من قراءة منحته إجازة مكتوبة ومختومة بخاتمها تؤكد فيها أن هذا الطالب (خادم القرآن) قرأ عليها القرآن كاملًا صحيحًا دقيقًا، وفق القراءة التي تمنحه إجازتها؛ فكانت رحمها الله السيدة الوحيدة في وقتها التي يسافر إليها القراء وحفظة القرآن؛ من أجل الحصول على «إجازة» في القراءات العشر.

وكان أكثر ما يسعدها أن مئات الإجازات التي منحتها في القراءات العشر يبدأ سندها (تسلسل الحفاظ) باسمها، ثم اسم شيختها المرحومة «نفيسة» ليمتد عبر مئات الحفاظ وعلماء القراءات بمن فيهم القراء العشرة (عاصم، نافع أبوعمرو، حمزة، ابن كثير، الكسائي، ابن عامر، أبوجعفر، يعقوب، خلف) إلى أن ينتهي بالرسول المصطفى ﷺ.

وكانت رحمها الله من أرفق المعلمين بطلابها، وتقول عن تلاميذها: «أتذكر كل واحد منهم، هناك من أعطيته إجازة بقراءة واحدة، وهناك -وهم قليلون- من أخذوا إجازات بالقراءات العشر مختومة بختمي الخاص الذي أحتفظ به معي دائمًا، ولا أسلمه لأحد مهما كانت ثقتي فيه».

ومن أشهر طلابها

١. القارئ الطبيب «أحمد نعينع».

٢. فضيلة الشيخ «مفتاح السلطني»، وقد أجازته بالقراءات العشر وحفص من الطيبة.

٣. العديد من أساتذة وشيوخ معهد القراءات بالإسكندرية، والذين لا يعطون إجازة في حفظ القرآن إلا ويضعون اسمها في أول السند.

رحلتها إلى الحجاز

سافرت أم السعد رحمها الله إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج وتم ذلك بمساعدة أحد تلاميذها، كنوع من ردِّ الجميل، وأقامت في الأراضي الحجازية سنة كاملة، وهناك منحت إجازات في القراءات المختلفة لعشرات الحفاظ من كل البلاد الإسلامية: السعودية، باكستان، السودان، فلسطين، سورية، تشاد، أفغانستان، وغيرها، وقد منحت إجازتها لطالبة سعودية لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها، وكانت فرحة بها.

وفاتها

بعد حياة حافلة بالإقراء ومدارسة القرآن الكريم وخدمته، توفيت أم السعد في فجر (١٦) من شهر رمضان عام (١٤٢٧هـ)، الموافق ٢٠٠٦/١٠/٩م عن عمر ناهز واحدا وثمانين عامًا، وقد شيعت جنازتها من مسجد ابن خلدون بالإسكندرية، رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته.

أُسِّست سنة ٦٢٨هـ

المَدْرَسَة الصَّاحِبيَّة الحَنْبَلِيَّة

تركي محمد النصر

قال ابن بطوطة: «... ودمشق هي التي تفضل جميعَ البلاد حسنًا، وتتقدمها جمالًا، وكل وصف وإن طال، فهو قاصر عن محاسنها». ومن أسمائها: الشام، الفَيْحَاء، الدَّار المَسْقيَّة، مدينة الياسمين، مملكة الشرق، وادي التين. وتُعَدُّ أقدم مدينة مأهولة في التاريخ، قال بعض المؤرخين: «إنَّ سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ولد بعد بنائها بخمس سنوات»، كما ورد في معجم البلدان، ويعود الفضل في بنائها إلى «جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام». قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «دمشق... قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف، لحسن عمارة، ونضارة بقعة، وكثرة فاكهة، ونزاهة رقعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب.. قيل: سميت بذلك لأنهم دَمْشَقُوا في بنائها، أي: أسرعوا».

وعلى امتداد التاريخ تعاقبت على دمشق دول وعهود وأزمان، وسكنها العموريون، والكنعانيون، والآشوريون، والفراعنة، والآراميون وسموها: «الدار المسقيِّة»، والفرس، واليونانيون، والرومانيون وسموها: «داماسكس»، ثم ظفرت بمكانة سامية في ظل الحكم الإسلامي العربي.

والدخول إلى مدينة دمشق يجب أن يكون من أحد أبوابها، حيث تنقلنا إلى أمجادها التاريخية، وتحدثنا عن صمودها في وجه الغزاة والطامعين، فقد تم بناء سور كبير للمدينة، وفتحت فيه أبواب للدخول والخروج، وكان ذلك في بداية العصر اليوناني، وفي العصر الروماني تمت صيانته وظهرت سبعة أبواب نسبة إلى الكواكب السبعة المعروفة في حينها، ونحتت رموزها على تلك الأبواب لاعتقادهم أنها تحمي المدينة، وهي:

باب شرقي، وباب السَّلامة، وباب توما وينسب إلى أحد عظماء الروم، وقد دخل منه عمرو بن العاص رضي الله عنه، وباب كيسان: وهو باب قديم دخل منه المسلمون بقيادة يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، وباب الفراديس، وباب الجابية: نسبة إلى المكلفين بجباية الضرائب، ومنه دخل جيش المسلمين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى دمشق، وباب الصغير: وهو أصغر أبواب السور ويقع في الجهة الجنوبية.

وجوهرة دمشق جامعها الأموي، الذي كان معبدًا رومانيًا، ثم أصبح كنيسة ثم جامعًا في زمن الخليفة الوليد بن عبدالملك الذي أراد له أن يكون آية ساطعة من الفن والجمال، وتبلغ مساحته ١٥٧٠٠ متر مربع، وهو من أعظم المفاخر المعمارية، ويتميز بسعته وارتفاع مبناه، وجمال مآذنه الثلاث وقبته، وجمال لوحاته الفسيفسائية، ومئذنة العروس التي تعد أقدم مئذنة إسلامية قائمة حتى الآن.

قال ابن بطوطة: «وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالًا، وأتقنها صناعة، وأبدعها حسنًا وبهجة وكمالًا، ولا يعلم له نظير، ولا يوجد له شبيه».

كما تمتاز دمشق بأسواقها القديمة التي تعود إلى آلاف السنين، ومكتباتها العامرة، وأشهرها الظَّاهرية، ومساجدها التاريخية وهي كثيرة، وتكثر في حاراتها المدارس الدمشقية القديمة التي امتازت بها عن بقية مدن العالم، وكانت كل مدرسة تنسب إلى المذهب الفقهي الذي يُدرَّس فيها، كمدارس الأحناف، ومدارس المالكية، ومدارس الشافعية، أما مدارس الحنابلة فكثيرة، منها: الجوزيَّة، الجاموسيَّة، الشريفيَّة، الصَّاحبيَّة، الصدريَّة، الضيائيَّة المحمديَّة، الضيائيَّة المحاسنيَّة، العمريَّة الشيخيَّة، العَالمة، المسماريَّة، المنجائيَّة، وأودُّ أن أبسط الحديث هنا عن واحدة من أعرق هذه المدارس وهي المدرسة الصَّاحبيَّة.

مدرسة الصَّاحِبَة، أو المدرسة الصَّاحِبيَّة

تقع مدرسة الصاحبة خارج أسوار مدينة دمشق القديمة، على سفح جبل قاسيون من جهة الشرق بمنطقة الصالحية، (في حي ركن الدين حاليًا)، وهي من أكبر المدارس الإسلامية بحي المدارس، يحدها شرقًا المدرسة الركنية، وغربًا جامع الشيخ عبدالغني النابلسي، ومتاخمة لمسجد «أبوالنور»، وكانت المدرسة تطل من حارة العلية على حديقة جميلة على ضفاف نهر يزيد حين كان يغذي منطقة الصالحية برمتها، وتم تغطية النهر بالإسمنت المسلح.

وتعتبر هذه المدرسة آخر ما تم بناؤه بدمشق من أقرباء السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله تعالى.

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

إنشاء المدرسة، وسبب تسميتها:

أنشأتها السيدة الجليلة الفاضلة سليلة الملوك والأمراء الأيوبيين «ربيعة خاتون» ولقبها «الصَّاحبة»، وهي أصغر أولاد نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان. وذلك سنة: (٦٢٨هـ)، الموافق: (١٢٣١م)، لتكون مدرسة للسادة الحنابلة بدمشق. وسُميت بـ «الصَّاحبيَّة» نسبة لواقفتها.

و«الصَّاحبة»: هي الشقيقة الصغرى للملوك نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي، صاحب بعلبك، وشقيقة السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي، سلطان بلاد الشام، وشقيقة ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شاذي صاحب اليمن، وشقيقة المعظم شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي صاحب مصر، وشقيقة ست الشام فاطمة خاتون التي كانت تلقب بـ«عِصْمَةُ الدِّين» بنت نجم الدين أيوب بن شاذي، وشقيقة الملك العادل سيف الدين بن نجم الدين أيوب بن شاذي.

ولدت الصاحبة . كما ذكر النعيمي (ت:٩٢٧هـ) في كتابه: (الدارس في تاريخ المدارس) . سنة: (٥٦٠هـ)، الموافق: (١١٦٤م).

تعتبر الصَّاحبيَّة المدرسة الدمشقية الوحيدة التي مازالت تحافظ على كافة مرفقاتها إلى اليوم

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: «في سنة: (٥٨١هـ) زوَّجها أخوها الناصر صلاح الدين أولا بالأمير الكبير سعد الدين مسعود بن الأمير معين الدين أنر، الذي كان من الأمراء الكبار أيام نور الدين رحمهم الله تعالى جميعًا، وتزوج صلاح الدين بأخته «عصمة الدين خاتون» واقفة المدرسة الخاتونيَّة الجوانيَّة، والتي كانت زوجة الملك نور الدين الشهيد رحمهما الله تعالى.

ولما مات الأمير سعد الدين مسعود، زوَّجها من الملك مظفر الدين أبوسعيد بن زين الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد صاحب إربل الذي يعود إليه الفضل بإتمام بناء «الجامع المظفري» المعروف بـ «جامع الحنابلة» بسفح جبل قاسيون بالصالحية.

أقامت عند زوجها الملك «أبوسعيد» أزيد من أربعين سنة، ولما توفي -رحمه الله- عنها عادت إلى دمشق فسكنت بدار أبيها نجم الدين أيوب، وقامت بدور كبير في إثراء الحياة العلمية والثقافية في العصر الأيوبي، وانضمت من فورها إلى الأوساط الفكرية بدمشق، وبدأت تجذب حولها الدارسين والعلماء، وكان من أبرزهم الشيخة الصالحة العالمة الحنبليَّة «أَمَة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي» رحمها الله تعالى، صاحبة التَّصانيف، وهي التي أشارت عليها بإنشاء مدرسة على سفح جبل قاسيون من الشرق للسَّادة الحنابلة، والتي عرفت بـ «المدرسة الصَّاحبيَّة»، وأوقفتها على الحنابلة فقط؛ وأسندت التدريس فيها إلى الشيخ «الناصح ابن الحنبلي» في عام: (٦٢٨هـ)، الموافق: (١٢٣١م).

وتجدر الإشارة أنَّ السيدة الفاضلة العالمة "أَمَة اللطيف" كانت دائمًا في خدمة ورعاية السيدة ربيعة خاتون، وكانت الصَّاحبة ترجع إليها في كثير من الأمور، لذا فقد أجزلت لها الكثير من الأموال لإنفاقها على ما تؤلّفه من تصانيف. توفيت «الصَّاحبة» . رحمها الله تعالى . في شعبان سنة: (٦٤٣هـ)، الموافق: (١٢٤٤م)، عن عمر ناهز الثمانين، ودفنت في مدرستها، وكان أكثر الناس تأثرًا بوفاتها السيدة العالمة الجليلة «أَمَة اللطيف» التي لقيت الكثير من الشَّدائد والمتاعب بعد وفاة الصاحبة؛ فقد

صودرت أموالها، وطولبت بالأموال التي منحتها لها «الصَّاحبة»، وحُبست، وظلَّت في حبسها حوالي ثلاث سنَوات، ثمَّ مَنَّ الله تعالى عليها وتزوج بها الملك الأشرف موسى الأيوبي بن الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص، وسافرت معه إلى الرحبة (إلى الشمال من حلب).

هذا الزواج كان بمثابة رد اعتبار لهذه العالمة الفاضلة التي أسهمت هي الأخرى بدَور كبير بمصنفاتها وعلمها في إثراء الحركة العلميَّة خلال العصر الأيوبي، وقد أنشأت مدرسة للحنابلة بدمشق تقع شرقي الرباط النَّاصري غربي سفح قاسيون، وسُميت بـ (مدرسة العالمة) نسبة لها، وتوفيت . رحمها الله تعالى . سنة: (٦٥٣هـ).

وصف المدرسة الصَّاحبيَّة

تعتبر الصَّاحبيَّة المدرسة الدمشقية الوحيدة التي مازالت تحافظ على كافة مرفقاتها إلى اليوم.

ويصفها الشيخ عبدالقادر بن بدران في كتابه «منادمة الأطلال» بقوله: «... إنها المدرسة المعروفة والمشهورة في حارة الأكراد بدمشق، وبناؤها عظيم يدل على الأبهة والجلالة، وهي من الآثار التي تدل على ارتقاء الفن المعماري في ذلك الزمن».

والمدرسة مؤلفة من أربعة أواوين، ويوجد في الواجهة الشمالية صف من ثلاثة عقود متساوية الارتفاع، ويوجد في النَّاحية الجنوبية منها الإيوان الرئيسي وهو مركز المدرسة، ويحيط به نوافذ كانت تطل على الحديقة وعلى نهر يزيد، ومنه تطل على مدينة دمشق.

تتمتع المدرسة بواجهة حجرية ذات قيمة معمارية فائقة من حيث تدكيك الحجارة الجيرية وتركيبها، وبها أربعة شبابيك تطل على الغرف، ولكن ينقصها الزخارف والعناصر التزيينية التي تمتعت بها بقية المدارس في تلك المنطقة، إلا أن

بوابتها لها سحر جميل أخاذ، والباب الفخم مزين بمقرنصات حجرية رائعة على شكل محراب، وهي معقودة بثلاثة صفوف من الانحناءات الأفقية الجميلة على هيئة مقرنصات محرابية الشكل، وبها ست صدفات منحوتة نحتًا جيدًا وصولًا إلى تاج البوابة.

وفي منتصف ساقفة باب المدرسة حُفرت نقوش بديعة مزخرفة بالخط الكوفي المتأخر وكتب عليها ما نصُّه:

«مدرسة الصاحبة أنشأتها ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٦٢٨ هجرية».

أخذت المدرسة شكلَ مستطيل، ومدخل بابها الرئيس من الجهة الشماليةً، مع وجود نوافذ بالجبهة الحجرية يعلوها سواقف، وفوقها يوجد أشكال حجرية مربعة محفورة حفرًا هندسيًا أخذت شكل حزام.

أما ضريح الواقفة فيوجد في الغرفة الغربية الوسطى من المدرسة، والتي تضم أيوانان: شرقي وغربي، ومسقوفة بأعمدة مزدوجة، والضريح نفسه وضع بشكل منحرف عن استقامة الغرفة كي يتناسب وجوده، ووضعه مع اتجاه القبلة.

أوقاف المدرسة الصاحبية

ذكر النعيمي . رحمه الله تعالى . في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس» أنه عُلِمَ الآن من وقفها: «غالب قرية جبة عسَال، والبستان الذي تحت المدرسة، والطاحون، وحاكورة . أي حديقة صغيرة .، وغالب تلك الحارة التي بجوارها».

التاريخ العلمي للمدرسة الصاحبية

ذكر الشيخ ابن شداد، عز الدين الحلبي . رحمه الله تعالى . في كتابه «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة»، وغيره، أنَّ أول من درَّس بالمدرسة الصاحبية:

١. الشيخ الكبير عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب الجزري السعدي المعروف بـ «الناصح ابن الحنبلي»، عالم بفقه الحنابلة، ومؤرخ.

وقد أكَّد سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: «أن ربيعة خاتون (الصَّاحبة) أنشأت هذه المدرسة من أجل الشيخ عبدالرحمن الناصح ابن الحنبلي للتدريس فيها،...وقد وهبتها لتدريس الفقه على المذهب الحنبلي...»

وكان قد حضر درسه الأول في المدرسة الصَّاحبيَّة . بعد افتتاحها . جمع من العلماء وطلاب العلم، كما قال بدر الدين الأسدي في كتابه «الأعلام بتاريخ الإسلام»: «ودرَّس بالصَّاحبة الناصح ابن الحنبلي في شهر رجب وكان يومًا مشهورًا وحضرت الواقفة (الصَّاحبة)

وراء الستر».

والناصح ابن الحنبلي أصله -رحمه الله- من شيراز، ولد بدمشق سنة: (٥٥٤هـ)، ورحل إلى العراق ومصر والحجاز وفلسطين، وكانت له حرمة عند الملوك والسلاطين، خصوصا ملوك الشام بني أيوب، وحضر فتح القدس مع صلاح الدين، وله كتب، منها: «أسباب الحديث» عدة مجلدات، و«الاستسعاد، بمن لقيت من صالحي العباد، في البلاد»، و«تاريخ الوعاظ» وغيرها من الخطب والمقامات، وكان رحمه الله. حلو الكلام مهيبًا شهمًا، توفي سنة: (٦٣٤هـ) بدمشق ودفن فيها، ثم تولى التدريس بعده بالمدرسة الصاحبية ابنه:

٢. يحيى بن عبدالرحمن بن نجم الحنبلي الشيخ الإمام سيف الدين بن الناصح ابن الحنبلي، سمع من حنبل وابن طبرزد والكندي وغيرهم بدمشق والموصل وبغداد، وهو آخر من حدَّث بالسماع عن الخشوعي، وحدث بمصر ودمشق، وسمع منه العلامة تاج الدين الفزاري، وأخوه والحافظ الدمياطي وابن العطار وجماعة، توفي. رحمه الله تعالى. سنة: (٦٧٢هـ)، ثم تولى التدريس بعده بالمدرسة الصاحبية ابن أخيه شرف الدين محمد بن علي بن عبدالله ابن الشيخ ناصح الدين، ثم بقيت على أولاده من بعده، وينوب عنهم فيها الشيخ المحدث تقي الدين ابن الواسطي المتوفى سنة: (٦٩٣هـ)، ثم تولى التدريس بعده:

٣. الإمام العلامة محمد بن عبدالقوي بن بدران بن عبدالله المقدسي، الفقيه المحدث شمس الدين أبوعبدالله، (صاحب منظومة الآداب)، تفقه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، ودرس وأفتى وصنف، وولِّي تدريس «الصَّاحبة» مدة بعد تقي الدين ابن الواسطي، وتخرج به جماعة، وممن قرأ عليه العربية شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، وله تصانيف، وروى عنه إسماعيل بن الخباز في مشيخته، توفي -رحمه الله- سنة: (٦٩٩هـ)، ودفن بسفح جبل قاسيون.

هذا، ويجد الباحث في تاريخ هذه المدرسة العريقة أنه لا يكاد يذكر اسم عالم من علماء دمشق أو ممن نزلوا بها. وخصوصًا الحنابلة منهم. بعد سنة (٦٢٨هـ) إلا وقد درس أودرَّس أو زار هذه المدرسة للالتقاء بكبار العلماء أو للاستفادة مما كانت تقدمه من علم تأصيلي عريق.

الخاتمة:

يقول الأستاذ عماد الأرمشي الباحث في التراث الدمشقي:

"وأثناء زيارتي الميدانية للمدرسة بصيف العام: (٢٠٠٥م) وجدت لوحة تأسيسية حديثة باللون الأسود كتب عليها: مدرسة الصاحبة، للتعليم الأساسي "الحلقة الأولى" والتابعة لوزارة التربية السورية. مديرية التربية في محافظة دمشق، وما تزال هذه المدرسة الصامدة تؤدي وظيفتها التعليمية منذ إنشائها وحتى يومنا هذا... وقد حاولت مديرية أوقاف مدينة دمشق الحفاظ عليها كمدرسة، وتم تأجيرها إلى وزارة التربية السورية،...وقد أضيف إلى بناء المدرسة غرف مغايرة للبناء الأصلي، مما أدى إلى شيء من عدم الانسجام مع الشكل الأصلي للبناء الأيوبي.

وأخيرًا فإن هذه المدرسة العريقة بعراقة التاريخ مازالت قائمة حتى يومنا هذا كمدرسة ابتدائية للبنات... وظلت صامدة ومحفوظة من العصر الأيوبي ولغاية القرن الحادي والعشرين، يستخدمها أهل الصَّالحية جيلاً بعد جيل، فرحم الله هذه السيدة الجليلة الفاضلة سليلة الملوك والأمراء الأيوبيين «ربيعة خاتون» وأجزل لها الإحسان والثواب على هذه المدرسة التي كانت. ومازالت. دار علم ونور على مرِّ العصور.

المراجع:

١- الأعلام للزركلي.
٢- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح (ت: ٨٨٤هـ)
٣- رحلة ابن بطوطة.
٤- معجم البلدان لياقوت الحموي.
٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان.
٦- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شداد.
٧- الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي.
٨- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لابن بدران.
٩- الأعلام بتاريخ الإسلام، للأسدي.
١٠- مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي.
١١- المدرسة الصَّاحبيَّة للباحث عماد الأرمشي، (وقد استفدت منه كثيرًا).

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

إعداد: التحرير

٨٣/١/٧ بيع الأجل

السؤال الأول: هل بالإمكان شراء الذهب والفضة بالأجل، وقبل حلول فترة الاستلام نقوم ببيعها فورًا بالأجل عن طريقنا؟

أجابت اللجنة: إن الأوراق المالية قائمة مقام النقدين (الذهب والفضة)، ولما كان بيع الذهب بالذهب أو بالفضة، وعكسه، لا يجوز شرعًا إلا يدًا بيد، ويشترط أيضًا أن يكون مثلًا بمثل إذا كان التقابل بين سلعتين من جنس واحد، فإن شراء الذهب والفضة بمقابلة بدل نقدي أو ذهبي أو فضي مؤجلًا حرام، وهي معاملة فاسدة يجب فسخها، وعلى هذا تعتبر المعاملة الثانية أيضًا حراما، وهي القيام ببيعه قبل حلول فترة استلامه، بل هي أوغل في الفساد لأنها تشتمل على بيع ما لم يقبضه الإنسان وهو منهي عنه أيضًا. والله أعلم.

السؤال الثاني: معلوم لديكم أن أسعار العملات تختلف قيمتها من وقت لآخر طبقًا لظروف بلدانها الاقتصادية، وتطورات الأحداث العالمية، كما تعلمون أيضًا أن كثيرًا من الشركات الاستثمارية تعمل في مجال شراء وبيع هذه العملات لتحقيق أرباح، لذا نود من إدارتكم الفتوى بخصوص هذا الأمر.

أجابت اللجنة: أن بيع العملات بعضها ببعض إن كانت من جنس واحد كالدولار الأميركي بدولار أميركي فلابد فيها من التساوي قدرًا، ولابد من التقابض في المجلس ومثل ذلك إذا كانت دنانير كويتية بدنانير كويتية، وأما إذا اختلف الجنسان كبيع الدولارات بالدنانير أو العكس أو بالين مثلًا فهو جائز بشرط التقابض في المجلس، إما حقيقة وإما بشيك حال أو بأية طريقة تدل على أن البدل أصبح في حيازته، ولا يجوز أن يكون أحد البدلين مؤجلًا مهما قلت المدة أو معلقًا بشرط. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨٤/٤١٣/١ بيع المريض

رجل مريض بورم مثانة خبيث، ولكنه لم يرتم وبكامل قواه العقلية والجسدية، ولم يترك عمله التجاري ولو يومًا، وهو يتنقل من بلد إلى آخر بسبب أعماله التجارية، فباع نصف منزله السكني إلى زوجته وهو ينقسم إلى قسمين، فباعها قسمًا منه بيعًا قطعيًا وأمام شهود وكاتب عدل، ويرافق هذا تقرير طبي، يثبت بأنه خال من الأمراض العقلية، وتم البيع والشراء وسلمها سند التمليك، وبعد أسبوع توفي الرجل، فما هو الحكم الشرعي من هذه العملية؟ وهل يحق إرجاع البيت للورثة؟ أم ثمن البيت مثلما باعه إلى زوجته؟

أجابت اللجنة: إن كان هذا المرض تزايد في أيامه الأخيرة حتى اتصل بالموت فيكون تصرفه قد صدر في مرض الموت، فإن كان البيع بأقل من ثمن المثل فيعتبر النقص وصية لا تنفذ إلا بإجازة بقية الورثة بعد الوفاة، وإن كان المرض لم يزدد وكان كما جاء في السؤال بحيث لم يقعده عن مباشرة أعماله ومصالحه المعتادة فيكون تصرفه نافذًا. والله أعلم.

٨١/١٧٢/٥ استبدال المعاش التقاعدي

ما الحكم الشرعي في استبدال المعاش؟ (ما يسمى ببيع المعاش).

أجابت اللجنة: أنه إذا كان هذا الاستبدال بين صاحب المعاش والدولة فلا ترى اللجنة في ذلك بأسًا، لأن المعاش لا يأخذ حكم الدين، ولا حكم التركة، بل هو صلة من الدولة لصاحبها، ولورثته من بعده. أما إذا كان الاستبدال لغير الدولة فترى اللجنة حرمة ذلك. والله أعلم.

٨٤/٤١/٣ أخذ الأجرة على السمسرة

عرض على اللجنة السؤال المقدم من مؤسسة للتجارة والمقاولات وأحضرت المؤسسة نموذج اتفاقية تأجير، ونموذج اتفاقية استئجار، ونص الاستفتاء كما يلي:

هل يجوز شرعًا تحرير مثل هذه الاتفاقية؟ نرجو إفادتنا جزاكم الله خيرًا بالإجابة، سواء كانت الإجابة بالنفي أو الإيجاب مع بيان دليل ذلك شرعًا؟ وما هو الحل البديل لمثل هذه الاتفاقية؟ مع الشكر وجزاكم الله خيرًا.

بعد الاطلاع على اتفاقية التأجير المتضمنة التعهد بدفع رسم يساوي نصف قيمة الإيجار الشهري حال القبول بالمستأجَر وعدم استرداده ولو بعد ذلك.

أجابت اللجنة بما يلي: الاتفاق على ذلك جائز لأنه أجرة على عمل وهو (السمسرة) على أنه ينبغي أن يحدد هل المراد نصف قيمة إيجار الشهر الأول أم الإيجار الشهري دائمًا لأن عبارة «نصف

قيمة الإيجار الشهري» فيها جهالة تورث النزاع.

واطلعت اللجنة أيضًا على اتفاقية الاستئجار المتضمن التعهد بدفع المستأجر رسمًا يساوي نصف قيمة الإيجار الشهري، ونص الاتفاقية كما يلي:

نحن الموقعون أدناه نوكل السادة مكتب العقاري المتفاوض نيابة عنا للحصول على سكن، ونتعهد بأن ندفع لهم رسمًا يساوي نصف قيمة الإيجار الشهري حال قبولنا بالسكن، ولا يحق لنا الانتقال إلى هذا السكن قبل دفع هذا الرسم.

كما أننا نوافق أنه عندما نكون قد قبلنا بالسكن ودفعنا الرسم المستحق للوكيل فإنه لا يجوز لنا استرجاع مبلغ الرسم المذكور.

كما أننا نعلم بأن أي سكن يعطى لنا عنوانه من قبل الوكيل يجب أن يعامل بسرية تامة، فإذا أعطينا هذا العنوان إلى شخص آخر فإننا نصبح ملزمين بدفع الرسم المقرر للوكيل في حالة أخذ هذا السكن.

أجابت اللجنة: أن أخذ الرسم بهذا الشرط لا يجوز، وأن أخذ هذا المال من أكل أموال الناس بالباطل، لأنه تعويض فوات ما يتوقع من ربح وليس معهودًا في الشرع، ومع هذا فعلى من يفشي المعلومات التي تعهد بحفظها سرًا الإثم، وعلى صاحب المحل الاحتياط بألا يبوح بالمعلومات التي تنفعه إلا لمن يثق به. والله أعلم.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي) بشأن برمجة القرآن الكريم في الكمبيوتر

إن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي المنعقد بدورته التاسعة في مكة المكرمة من يوم السبت ١٤٠٦/٧/١٢هـ إلى يوم السبت ١٤٠٦/٧/١٩هـ قد نظر في موضوع برمجة القرآن الكريم والمعلومات المتعلقة به وتخزينها في الجهاز الآلي (الحاسب الإلكتروني الذي يسمونه بالدماغ الإلكتروني)، وذلك لحفظ العلوم القرآنية التي قد دونها علماء الإسلام السابقون في كتب ألفوها خصيصًا في هذا المجال، وإضافة كل ما يمكن أن يضاف إليها من معلومات تتعلق بالقرآن العظيم، مما قد يحتاج الباحثون في هذا العصر إلى معرفته في الجامعات وسائر المراكز العلمية في العالم. وكان هذا الموضوع قد طلب من مجلس المجمع أن يبدي فيه رأيه من الناحية الشرعية، وأجل النظر النهائي فيه حتى يستكمل المعلومات عن هذا الجهاز، وطريقة عمله وخصائصه، والإمكانات والنتائج التي يتيحها، واللغة التي تستخدم فيه، وما إلى ذلك مما يتوقف عليه البت في حكم هذه البرمجة العلمية القرآنية فيه، وكتب المجمع إلى عدد من الجامعات والمجامع والشخصيات العلمية أن يوافوه بإيضاح هذه النواحي، وجاءت تقاريرهم في هذا الشأن. وقد قدم أيضًا فضيلة الدكتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة عضو مجلس المجمع الفقهي الإسلامي تقريرًا إضافيًا وافيًا في ضوء التقارير الواردة من الجهات التي طلب المجمع منها ذلك الإيضاح. وقد تبين أن هذا الجهاز الذي هو من مبتكرات هذا العصر يمكن أن يخزن فيه بطريقة فنية خاصة- تسمى البرمجة- كل ما يراد من معلومات ونصوص يحتاج إليها الباحثون، مهما عظمت كميتها، وتنوعت أنواعها، كما يمكن إضافة معلومات جديدة للتخزين فيه، وتقوم الجهات بتصنيفها، ثم يستدعى منه ما يراد الرجوع إليه من تلك المعلومات بسرعة مذهلة آنية، فيعرضه الجهاز على لوحة ضوئية، فيرى فيه الطالب ما يشاء من المعلومات أو النصوص التي استدعاها. ونظرًا لأن مثل هذه البرمجة في هذا الجهاز قد أصبحت ممكنة باللغة العربية، كما أنه قد سبق لبعض الأساتذة المختصين في علوم الحديث النبوي والسنة المطهرة أن طبقوها على بعض كتب السنة فآتت أحسن النتائج من حفظ المعلومات في هذا الجهاز وتسهيل الرجوع إليها عند الحاجة، ولذلك وبعد المناقشة المستفيضة بين أعضاء المجلس حول الفوائد المحققة في هذا المشروع والمحاذير المحتملة فيه، تقرر بالإجماع في شأن برمجة علوم القرآن وبالأكثرية في شأن برمجة النص القرآني نفسه جواز القيام بهذه البرمجة للقرآن الكريم وعلومه في الحاسب الإلكتروني، بل استحسان ذلك بالنظر الشرعي لما فيه من خدمة جليلة لعلوم القرآن، وتسهيل عظيم على الدارسين، والباحثين، وذلك بالشروط التالية:

أولًا: الرجوع في الناحية الفنية إلى المختصين ليكون استعمال الجهاز بطريقة دقيقة وسليمة، يؤمن معها من كل خلل يؤدي إلى تغيرات بسبب سوء الاستعمال.

ثانيًا: أن تكون البرمجة باللغة العربية، وأن تضبط بالشكل الكامل نصوص القرآن، والحديث، والكلمات المحتاج إليها من غيرها، وأن يكون النص القرآني بالرسم العثماني.

ثالثًا: أن يشترك الفنيون المتخصصون مع علماء المسلمين المتخصصين في القرآن وعلومه، فيقومون معًا بمهمة البرمجة، أي في إدخال المعلومات في الحاسب الإلكتروني وتخزينها فيه.

رابعًا: أن يتولى بعد ذلك علماء ثقات مسؤولون عن الناحية العلمية مراجعة النتائج للوثوق من دقتها وسلامتها.

إعداد: خالد خلاوي

اصنع فرصتك

هل انتظرت الفرصة المناسبة في حياتك، ولم تأت هذه الفرصة؟ هل جلست يومًا على شاطئ البحر تنتظر أن يطفو لك السمك من تلقاء نفسه وتأخذه، وانتظرت طويلا ولم يظهر، يحدث ذلك لأن الفرصة المناسبة قد يطول انتظارها، وقد تأتي مرة وتذهب ولكنها تصنع ٩٩ مرة، وقيل: اللؤلؤ لا يطفو على السطح!! عليك أن تغوص من أجله والحياة فرص والفرص لا تطرق الأبواب.. إذن توكل على الله وخذ بالأسباب واصنع الفرص بنفسك.

وصناعة الفرصة تتطلب حسن اختيار مجال حياتك، فمجال الحياة هو الجانب الذي أنت مستعد أن تبذل كل عمرك فيه وتعطيه حياتك وتريد أن تضع فيه بصمتك وتبدع فيه وتصبح من أعلام ورموز هذا المجال.

ولكن كيف تحدد مجالك؟

هناك تمرين رائع يساعدك على تحديد المجال للمحاضر د.طارق السويدان، وفيما يلي ملخص هذا التمرين:

توجد ثلاثة عناصر رئيسية على أساسها تحدد تخصصك ومجالك نجمعها في كلمة: «رِفق» وتعني: «ر» الراء = الرغبة، «ف» الفاء= الفرصة، «ق» القاف= القدرة.

١- الرغبة: إياك أن تجعل تخصصك ضمن مجال لا تحبه.. فالذي يعمل فيما يُحسن سينتج.. لكنه لن يبدع إلا إذا عَمِل فيما يحب ويعشق، وعندها سيستمتع بعمله وتكون له إضافات وإبداعات، فإياك أن تستشير غيرك دون مراعاة رغبتك الشخصية، فالاستشارة في اختيار تخصصك مهمة لكن الأهم هو ما تحبه أنت لنفسك.

٢- الفرصة: إياك أن تذهب لتخصص فيه زحمة ومنافسة كبيرة، على سبيل المثال: الشاب الذي يعشق علوم الدين ويريد أن يكون عالم شريعة سيواجه مشكلة كبيرة نظرا للكم الهائل من طلاب الشريعة.. والحل الأمثل هنا أن تكون متميزًا وتصنع فرصتك بنفسك، وهنا نطرح سؤالًا مهمًا: «الفرصة.. تُصنع أم تأتي؟».. طبعًا تُصنع وتأتي في الوقت نفسه، لكن ما هي النسبة: أثبتت إحصائيات علمية أن الفرصة تأتيك بنسبة ٠,٢٪ والباقي عليك أن تصنعه لنفسك.. فمن يقول: إن فلانًا نجح لأن الحظ كان بجانبه فهو مخطئ.. عليك أن تصنع فرصتك وأن تكون مستعدًا لها في نفس الوقت.

٣- القدرة: الكثير من العلوم والتخصصات تتطلب مواهب استثنائية، فالطب يتطلب ذاكرة قوية، والهندسة تتطلب التمكن من الرياضيات، والإعلام يتطلب هيئة جسمية مقبولة والتمكن من اللغات.. ولا تكن مثل هذا الشاب الذي يريد أن يكون من أحد المقرئين الكبار لكن صوته خشن، فمن المستحيل أن يتميز فيما يريد، ويجب حساب درجة توافر هذه العوامل الثلاثة لديك، والتنسيق بين هذه العوامل الثلاثة «رفق» بالإضافة إلى عنصر رابع «درجة الندم» ويعني درجة ندمي عندما أختار تخصصًا ما، وهنا ما عليك سوى أن تختار التخصص الذي يمثل أقل درجة من الندم من بين التخصصات.

ويجب التوفيق بين المجال والهواية.. قد يسأل البعض: أنا أحب مجالين أريد أن أتخصص فيهما؟ والجواب اختر مجالا واحدًا فقط تتخصص فيه، والآخر اعتبره هوايتك الأساسية.. ولكن ما الفرق في تقسيم جهدي ووقتي بين المجال والهواية وحياتي؟ والجواب: مجالك أعطيه ٥٠٪ من وقتك وجهدك (خارج وقت النوم ٨ساعات)، بينما هوايتك الأساسية أعطيها ١٠٪، والأربعين المتبقية خصصها لأمورك اليومية (الأهل والعبادة).

ابذل المزيد من الجهد في كل ما يزيد من إمكانياتك ومهاراتك في مجالك، فإذا كنت تقرأ كتابين في الشهر عليك أن تقرأ كتابا في مجالك، حاول أن تحضر وتشاهد أكبر قدر من المحاضرات والدورات والمؤتمرات الخاصة بمجالك، كوّن علاقات مع أهل التخصص وعش معهم وبعلمهم قدر ما استطعت.

وإذا نجحت في تحديد مجالك.. فكيف تحدد مشروعك، هناك عدة معايير وهي:

١- **الانتشار:** وذلك يعتمد على انتشار مشروعك، فالبرنامج التلفزيوني هو الأكثر انتشارا ثم يليه تأليف كتاب ثم محاضرة عامة (إذا كانت في التلفزيون فهي تعتبر كبرنامج تلفزيوني) ثم دورة تدريبية.

٢- **الاستمرارية:** طبعًا الكتاب هو الأكثر استمرارية (إن كتاب العالم هو ولده المخلد) لأن الكتاب يبقى ويستمر لأجيال ولقرون كثيرة، ثم تلفزيون ثم محاضرة وهكذا.

٣- **عمق الأثر (تأثير المشروع):** وهذا المعيار مهم، فنحن نعلم أن برنامج تلفزيوني يمكن أن تشاهده وترد على سماعة الهاتف وقد تأكل وأنت تشاهده وقد تتكلم مع من بجوارك.. فهو غير مؤثر، وحال انتهاء البرنامج ينتهي الأثر، ثم يأتي دور المحاضرة العامة.. ولذلك لا تكثروا من إشغال أوقاتكم في المحاضرات العامة أو التلفزيون لأن الأثر والاستمرارية قليل، ثم يأتي دور الكتاب ثم الأكثر أثرًا.. إنها الدورة التدريبية.. نعم، فقد تعطي دورة لـ٢٠ أو ١٢ أو ١٠٠ وهو عدد قليل بالمقارنة مع ملايين المشاهدين في التلفزيون، لكن عمق الأثر يكون في الدورة قويًا جدا لأنك تحتك بهم وتدربهم.. حسنًا، التأثير يبدأ من دورة تدريبية ثم تأليف كتاب.

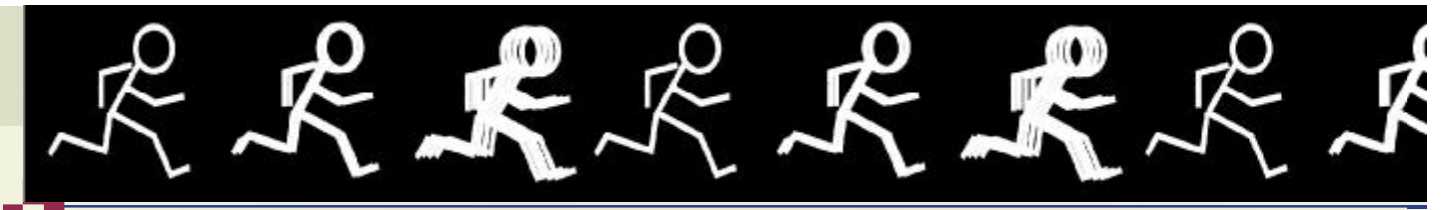

صور من حياة المتميزين

الباحث عن الحقيقة

كان سلمان الفارسي رضي الله عنه أول من دخل الإسلام من بلاد فارس وقصة دخوله الإسلام مرت برحلة بحث طويلة عن الدين الذي رضيه الله لعباده دينًا، ولقد تنقل سلمان بين عدد من البلدان في رحلة بحثه حتى وصل المدينة المنورة، وهناك تعرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصل إلى مبتغاه فأعلن إسلامه.

يقول سلمان رضي الله عنه عن هذا اللقاء: أخذت بعض التمر ثم ذهبت به إلى رسول الله وهو بقباء فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته إليه، فقال رسول الله لأصحابه: كلوا وأمسك يده هو فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه أول علامة لا يأكل الصدقة.

وانصرفت عنه فجمعت شيئًا من التمر، وتحول رسول الله من قباء إلى المدينة ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال فقلت في نفسي: هاتان علامتان وبقيت واحدة.

ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال رسول الله: تحول فتحولت فقصصت عليه قصتي فأعجب رسول الله أن يسمع ذلك أصحابه.

وعده رسول الله ﷺ من السباقين إلى الإسلام فقال: السباق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة.

كلمات في التميز

الفرصة

العظيم لا ينتهز الفرصة بل يوجدها

كولتون

لا تنتظر سنوح الفرص بل اجتهد أنت في إيجادها.. والفرص كثيرة ولكن الذين يعلمون أنها فرص قليلون.

محمد جمال

بالنشاط واقتناص الفرص يكتسب النجاح.

حكيم

الفرصة لا تسنح إلا لمن يبحث عنها

مارتن لوثر كنج

لا تنتظر أن تسنح لك فرص خارقة.. بل انتهز الفرص العادية واجعلها عظيمة.

حكيم

كثير من حالات الفشل في الحياة كانت لأشخاص لم يدركوا كم كانوا قريبين من النجاح عندما أقدموا على الاستسلام.

توماس أديسون

الفشل هو الفرصة الوحيدة التي تتيح لك البدء من جديد على نحو أكثر ذكاء.

هنري فورد

إعداد: هيفاء حسن

ماذا تفعل إذا سقط هاتفك النقال في الماء؟

الكل يعلم أن الماء حين يدخل إلى أي من الأجهزة الكهربائية، فإنه يتلفها. ولكن أصبح بالإمكان التعامل مع جهاز الهاتف الذكي او الكاميرا الرقمية والأجهزة عالية التقنية الأخرى إذا سقطت في بركة ماء أو في مياه البحر. إذ يمكن إعادة تشغيلها من خلال القيام ببعض الخطوات.

ردة الفعل الأولى لمن يتعرض جهازه للسقوط في الماء هي إخراج البطارية ومحاولة تجفيفه المرة تلو الأخرى، وإبقاء البطارية منفصلة عن الجهاز حتى يجف تماما لتفادي حدوث «شورت».

ومن ثم استخدام منشفة لتجفيف البطارية والأجزاء الداخلية للجهاز، حيث مكان البطارية.

ولكن عليك تجنب استخدام مجفف الشعر لتجفيف الجهاز أو وضعه في أشعة الشمس.. فلابد من تجفيف الجهاز بوضعه في الهواء الطلق والهواء الجاف وليس الساخن.

ويجب ألا تتوقف عملية تجفيف الجهاز عند تنظيف المناطق المبتلة بالماء، ضع الجهاز في وعاء مغطى بالأرز الطازج والناشف لكي يمتص كل الرطوبة من الجهاز، وعليك إبقاء الجهاز منقوعًا بالأرز لمدة ٢٤ ساعة وفي بيئة باردة وجافة.

أخرج الجهاز بعد ذلك من الأرز، وحينها يفترض أن يكون قد أصبح خاليا من الرطوبة ومن المؤمل أن يعود للعمل كالمعتاد.

عشرة كواكب جديدة

قال علماء فلك دوليون إنهم استطاعوا اكتشاف ١٠ كواكب بعيدة جديدة، بينها اثنان بحجم كوكب نبتون وواحد بحجم كوكب زحل.

واكتشف الفريق الدولي، الذي ضم علماء من جامعة اوكسفورد البريطانية الكواكب العشرة عن طريق استخدام تلسكوب (corot) الفرنسي.

وأشار العلماء الى ان من بين هذه الكواكب العشرة، واحدا اكتشف في مدار حيث يبدو نجمًا صغيرًا غير عادي.

وقالت الباحثة المسؤولة عن الدراسة في جامعة اوكسفورد، سوزان ايغرين إن «إيجاد كواكب حول نجوم صغيرة هو أمر مثير، خصوصا أن الكواكب عادة تنشأ بسرعة أولًا قبل أن تستقر على نمط تطور أكثر ثباتًا»، مضيفة أنه إن اردنا فهم ظروف نشأة الكواكب، فنحن بحاجة أن نكتشفها خلال فترة أول بضع مائة مليون سنة.

المحيط المتجمد الشمالي يغزو المحيط الأطلسي!

قال علماء إن طحالب دقيقة وأنواعًا من الحيتان موطنها الأصلي المحيط الهادي عبرت مياه المحيط المتجمد الشمالي الذي بدأ في الذوبان مما قد ينذر بغزو للكائنات البحرية يهدد الثروة السمكية في المحيط الأطلسي بالخطر، وأضاف العلماء أن السجلات الحفرية تشير إلى أن هذه الطحالب المجهرية ظلت غائبة عن شمال المحيط الأطلسي لمدة تقرب من ٨٠٠ ألف عام ويبدو أنها عادت إليه من المحيط المتجمد الشمالي في أعقاب التغيرات المناخية التي تضمنت ذوبان الجليد لتحملها التيارات البحرية ثانية الى مياه الأطلسي، والاسم العلمي لهذه الطحالب هو (نيو دنتيكيو لا سيمايني).

عمر العنكبوت في بيته

وجد باحثون فرنسيون أن حشرات العنكبوت الصغيرة تنسج يوميًا بيوتها بشكل محترف ودقيق وبزوايا دقيقة وأنماط منتظمة لكن مع تقدمها في السن يتراجع أداؤها فتصبح أقل احترافًا في نسج بيوتها التي تظهر فيها فجوات، وأوضح الباحثون أن حشرات العنكبوت تحيك بيوتها بحرفية وشكل منتظم ودقيق بينما يتراجع أداؤها مع التقدم في السن حيث تظهر ثقوب وقلة انتظام في بيوت العنكبوت المسنة، وقالوا: إنهم عن طريق دراسة العنكبوت كنموذج قد يؤدي بهم البحث الى اكتشاف كيف ان العمر يؤثر في سلوك الكائنات الحية الأخرى وبينها البشر.

(سبيريت) قد يعود للمريخ

أوقفت وكالة الفضاء الأميركية محاولاتها للاتصال بالروبورت سبيريت المخصص لاستكشاف كوكب المريخ في ٢٢ مارس ٢٠١٠م.

وأملت (ناسا) في الاشهر العشرة الأخيرة أن يستعيد سبيريت قواه مع ازدياد الطاقة الشمسية بعد نهاية فصل شتاء طويل في المريخ لم تسطع فيه الشمس كثيرًا، فمن دون مصدر كاف من الطاقة التي توفرها الألواح الشمسية للروبوت لتشغل نظام التدفئة فيه، وكان سبيريت قد حط على كوكب المريخ في الثالث من شهر يناير عام ٢٠٠٤م في مهمة كان يفترض أن تدوم ثلاثة أشهر، وبعدما أنجز المهمات المبرمجة حقق سبيريت أهدافًا أخرى وعمل لمدة ست سنوات.

القناعة كنز لا يفنى

هذا المثل العربي الشهير «القناعة كنز لا يفنى» أكدته الآن دراسة جديدة أجرتها جامعة بريطانية، جاء فيها أن الاكتئاب والقلق كما هو معروف يضعان الناس في خطر اكبر للاصابة بالأمراض الفتاكة، غير ان العلماء اثبتوا الآن منافع القناعة والحياة المرّضية في تعزيز صحة القلب، وأضافت الدراسة ان القناعة في مجالات معينة في الحياة وخاصة الوظيفة والأسرة والحياة الجنسية هي اصول صحية إيجابية، وحذرت من أن التدخلات الرامية من خلال العقاقير الطبية الى تحسين الحالة النفسية وجعلها إيجابية وليس فقط تخفيف الحالات النفسية السلبية قد تسبب مخاطر عالية للأفراد.

من هنا وهناك

– أكد علماء فرنسيون أن الانسان يفهم أساسيات الهندسة بالفطرة أي من دون دروس في الهندسة، وبرهن الباحثون من جامعة باريس على هذه الحقيقة من خلال إخضاع شعب (موندورو كو) بمنطقة الغابات المدارية في البرازيل لاختبار مدى قدراتهم الهندسية.

– يعمل العلماء في جامعات ادنبرة وكامبريدج وشيفيلد في بريطانيا الآن على بناء أجهزة تحاور الناس وتتفاعل معهم بطريقة طبيعية وذكية وسيساعد الذكاء الصناعي هذه الأجهزة على أن تصبح قادرة على الفهم والتحدث والتصرف مثل بني البشر.

– شيخوخة المجتمع من التحديات الكبيرة التي تواجهها ألمانيا وأكثر دول أوروبا داعية وزير الداخلية الألماني عن تشككه ازاء المطالب التي تنادي بتشجيع الهجرة الى المانيا لسد العجز في العمالة المتخصصة.

– قال باحثون اميركيون ان على الأطفال أن يذهبوا في العد أبعد من الرقم ثلاثة كي يستوعبوا المفهوم الحقيقي للحساب.

– قدم عدد من العلماء في فرنسا بحثًا جديدًا حول الميول السلوكية للطيور قالوا فيه: إن طيور الحمام لديها القدرة على تذكر الأشخاص الذين يتعرضون إليها بالإساءة بل ويمكنها أن تخطط في وقت لتجنبهم بحيث تنجو من تصرفاتهم نحوها.

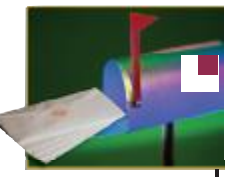

إعداد: التحرير

الموروث الثقافي الإسلامي وانفتاحه على الثقافات العالمية

يعد الموروث الثقافي في الثقافة الإسلامية إشكالية قديمة اهتم بها علماء وفقهاء الأمة الإسلامية في كل العصور ومع مرور الأجيال المتعاقبة على الحضارة الإسلامية العريقة، وسيستمر هذا التواصل إلى المستقبل بحول الله، فالتفاعل بين مختلف التصورات أمر مطلوب ومرغوب فيه، لأنه يخلق تكاملًا وانسجامًا من أجل سيرة ثقافية شاملة تحافظ على هويتها وتبرز مواهبها وأنشطتها للتجاوب مع متطلبات العصر الحاضر، وقد أكد الفيلسوف المشهور ابن رشد منذ ثمانية قرون في هذا المضمار أن «النظر في كتب القدماء واجب بالشرع»، ويقصد بهذا فلاسفة اليونان الذين كانوا يمثلون الثقافة المحلية، وينطبق هذا على الثقافة المستوردة ويستوجب على الأفراد والباحثين والمهتمين أن يفتحوا الأبواب على مصارعها لاستقبالها لخلق برامج ثقافية ذات تفعيل جديد من المستوى المتميز الذي يبث ثقافة تتلاءم مع ظروف العصر الجديد ومتطلباته في جميع المجالات والميادين المنوطة به، ولتقييم يؤدي إلى استفادة أمتنا الإسلامية من جميع أنواع المدارك والمعارف لأجل تقدمها ونهضتها، ويمكن القول إن الاتجاه الذي سلكه الفلاسفة العرب كان اتجاهًا في محله، بل كان اتجاهًا صائبًا يهدف إلى الحفاظ على الموروث الثقافي الذي يعبر عن الحضارة الإسلامية المتشعبة ذات الأمجاد كالحضارة الإغريقية والحضارة البابلية والحضارة الهيلينية والحضارة العباسية التي انبثق من صلبها اندماج في شتى المعطيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مما شكل لدى الأمة الإسلامية تراثًا عربيًا أصيلًا يعبر عن الأصالة العربية الإسلامية.

إن انفتاح الأمة الإسلامية العربية على باقي الثقافات جعل منها أمة قوية من ناحية الكم والكيف وذات سلاح فكري فتاك جعل منها أمة تزخر برصيد ثقافي هائل شكل لديها موروثًا ثقافيًا مهمًا يهتم بدراسة جميع أنواع الفنون والعلوم، فالعقيدة الإسلامية بالنسبة للأمة الإسلامية تشكل في حد ذاتها موروثًا ثقافيًا رسميًا بالنسبة لها، منها ما هو يتلاءم مع ظروف العقيدة، ومنها ما هو يتنافى مع ظروفها كالشرك بالله تعالى وتصديق ما هو متناف مع الأخلاق والعادات والتقاليد والأعراف الإسلامية.

كاتب غيور

صنف من المخلوقات

ذكر الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة أن الإنسان يتميز عن الحيوان بجزء مخه الأمامي، حيث فيه مشاعر الاكتئاب وبعض الاضطراب، ومن لم يكتئب ويضطرب في بعض حياته يتساوي بالحيوان.

وقد يصل الأمر بالبعض إلى الانتحار، واستفيد من هذا التشخيص الطبي بأن الجبابرة والطغاة تعطل عندهم حالة الإحساس في مقدمة أمخاخهم، وذلك بسبب طغيانهم والتأليه من قبل خدمهم ودهس شعبهم والنكاية بمعارضيهم والتمثيل بمن لا يروق لهم، وهذا ولاشك سلوك يتفق وسلوك الوحوش في الغابة.

وهذا يتفق ودلالة الإعجاز في الآية الكريمة ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾، حيث يتفق التفسير الطبي مع الحال الواقعي مع النص القرآني.

وتدعيمًا لقولي واستنباطي هناك فئة من هذه الفئات أقل من الحيوان، حيث تعيش تمارس القسوة بمنتهى الامتهان قال تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾.

وهذا هو الواقع في دول الإسلام، وللأسف هذه الفئة في كثير من المواقع، وبيدها مصالح المسلمين، ولهذه المصالح مستغلين، وبمن تحت أيديهم باطشون، وعليهم وزرهم ووزر المعذبين.

■ عصام الحسين حميد

واصبر نفسك

لا يختلف اثنان على أن الصبر لغة هو الحبس ومعناه حبس النفس عن الجزع أو الشكوى، ويقوي هذا المعنى قول المولى عز وجل ﴿ واصبر نفسك﴾ أي احبس نفسك، وقال ذو النون المصري الصبر هو تلقي البلاء بالوجه الضاحك.

والصبر ثلاثة أنواع، أولها الصبر على طاعة الله، وثانيها الصبر على أقدار الله، أما ثالثها فهو الصبر عن محارم الله، فالصبر على طاعة الله معناه أن يحبس الإنسان نفسه على العبادة ويؤديها كما أمره الله ولا يتهاون في أدائها، وما أجمل قول البوصيري «إذا حلت الهداية قلبًا نشطت الأعضاء للعبادة»، فأما الصبر على أقدار الله فمعناه التسليم لما يقع على الإنسان من الهموم والبلاء، وألا يقابل ذلك بالضيق والشكوى لغير الله، ويعلم أن نزول البلاء بأسباب وأن له أحكامًا لا يعلمها إلا الله، فأما الصبر عن محارم الله فهو تجنب الوقوع فيما حرمه الله، سواء ما يتعلق منها بحقوق الله أو بحقوق العباد، ومتى عرف الإنسان عاقبة الذنوب كان أحرى به أن يتجنبها خوفًا من علام الغيوب.

■ **خلف أحمد عبدالعليم**

مفهوم الثقافة والمبادئ الثقافية

تعد الثقافة مجموعة من الأفكار والمعطيات التي تشكل في عمقها رصيدًا ثقافيًا لدى المثقف، وتهتم في مجملها بالسلوك وأنماط العيش التي تكمن في شخصية المثقف الذي يخلق أنماط التفكير حسب مؤهلاته ونشاطاته الثقافية، والثقافة تعبر عن اهتمامات وميولات متعددة ومركبة كالاقتصاد وعلم النفس والجغرافية، ويجب على المثقف أن يحافظ عليها، لأنها تطبع شخصيته وهويته كمثقف ضمن المبدعين في ميدان الثقافة من الأدباء والشعراء والعلماء الذين اهتموا بثقافات متنوعة كالشعر والقصص والخط العربي والفنون التشكيلية، فهؤلاء جميعًا تركوا بصماتهم الثقافية موسومة في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

وتعتبر القيم الثقافية مبدأ من المبادئ المتعارف عليها ثقافيًا من أجل إضفاء لون عليها للتعريف بهوية المثقف ككل، والمجالات الثقافية ذاتها تستهدف خلق برامج للتوعية والتثقيف في ميادين متعددة كالتربية والتعليم والمعلوماتية والإعلام وتنظيم مهرجانات دولية ثقافية والحث على انعقاد مؤتمرات تربوية.

وقد وضعت رهن إشارة الباحثين والمثقفين الذين لديهم اهتمام بهذا المجال مؤسسات ومراكز ومكتبات ومقاهي الإنترنت لأجل إبراز مواهبهم الثقافية وتنميتها وصقلها وبالتالي إدماجهم في جميع أنواع الثقافات العالمية، والثقافة الإسلامية عرفت بدورها تقدمًا ملحوظًا لتكون موسوعات ثقافية عالمية بالنسبة لجميع المثقفين الذين ورثوا رصيدًا ثقافيًا شكل لديهم معلومات قيمة ذات طابع ثقافي واجتماعي وسياسي واقتصادي منفتح على جميع الثقافات الأوروبية والأمريكية ككل.

■ **بداوي مليكة**

الجراد المنتشر

تعودنا مع «الوعي الإسلامي» قول الحقيقة بشجاعة وواقعية، وقول الحق ولو كان مرًا وبدون مصلحة ولا منفعية، ومن هذا المنطلق فإنني أصل إلى مرادي من خلال مجلتي الواعية المستوعبة، أصل لوصف حال كثير من الدول الإسلامية ولا أجد إلا الجراد مثالاً، انظر إلى الجراد في تكاثره وإليه في هجومه على الزرع وتقاطره وإليه في الانتشار وتناثره والنتيجة أنه لا يبقي ولا يذر إلا الشر المستطر، حيث الحطام للزرع هو الأثر، والخطر يأتي من فئة قليلة عميت بصائرها قبل البصر في العالم الإسلامي كله أو معظمه.

وإذا سألت عن الثروة ومصادرها فهذه الفئة لم تبق للأمة شيئًا إلا فيما ندر، والواحد من هؤلاء على نهبه من الثروات قد سهر، واستحوذ عليها ومن يقترب منها يبطش به، وهذه الفئة بفرعون وهامان وقارون لا تعتبر، وعن قوله تعالى ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ أعرضت ونأت وولت الدبر ولقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ لم تطل النظر وبسبب هذه الفئة تخلف العالم الإسلامي وصادر مهيض الجناح مقطوع الوتر.

■ **ناهد السيد شعبان**

إعداد: التحرير

شهر شوال

سمي من تشويل لبن الناقة فيه، أي: جف ونقص، وقيل: إن الإبل كانت تشول بأذنابها، أي: ترفعها طلبًا للإخصاب.

ويلفظ أيضًا بالألف واللام، فيقال: الشوال، وهو أول أشهر الحج.

قوت الأتقياء

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «القلب إذا أُكره عَمِيَ».
- قال ابن مسعود رضي الله عنه: «العلم أكثرُ من أن يُؤتى على آخره، فخذ من كل شيء أحسنَهُ».
- قال الحسن رحمه الله: «حادثُوا هذه القلوب، فإنها سريعة الدُّثور، واقدَعوا هذه الأنفسَ، فإنها طُلَعَةٌ، وإنّكم إلا تَزَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شرّ غاية».
- وقال أنَشْرَوانُ: «القلوب تحتاج إلى الحكمة، كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء».

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد).

ليس يكسف إلا الشمس والقمر

قال الشافعي رحمه الله تعالى:

الدّهرُ يومان: ذا أمْنٌ وذا خطرُ
والعيشُ عيشان ذا صفوٌ وذا كدرُ
أما ترى البحرَ تعلو فوقَهُ جيَفٌ
وتستقرُ بأقصى قاعه الدُّررُ
وفي السّماءِ نُجومٌ لا عدادَ لها
وليس يكْسفُ إلا الشّمسُ والقمرُ

(ديوان الإمام الشّافعي)

ابتسامة

فلا تصدقه!

استأجر رجلٌ حمالًا ليحملَ له قفصًا فيه قوارير، على أنْ يعلمَه ثلاثَ خصال ينتفعُ بها، فلما بَلغَ ثُلثَ الطريقِ، قالَ الحمّالُ: هات الخصلة الأولى.

فقال الرّجُل: «مَنْ قالَ لكَ إنّ الجُوعَ خَيرٌ مِنَ الشّبعِ فَلا تصدقه».

قال الحمّال: نعم. فلما بلغَ الثُلثَ الثّاني، قال: هات الثانية.

فقال الرّجُل: «مَنْ قالَ لكَ إنّ المَشْيَ خَير مِنَ الركوبِ فلا تصدقه».

قال الحَمّال: نَعم. فلمّا انتهى إلى باب الدّار، قال: هات الثالثة.

فقال: مَنْ قَال لكَ إنّه يوجَد حمّال أَجْهَل منْكَ فلا تصدقه.

فرمى الحمّال بالقفص فكسر جميع القوارير، و قال: مَنْ قالَ لكَ إنّه بَقيَ في القفصِ قارورة لم تنكسر فَلا تصدقه.

(روائع الدرر)

لا تُحَقّر شيئًا

«لا تُحقّر شيئًا مِنْ عَمل غَد أن تحققه بأَن تعجله اليوم وإنْ قَلّ، فإنّ مِنْ قليل الأعمال يجتمع كثيرها، وربما أَعجز أَمرها عند ذلك فيبطل الكل».

«ولا تحقّرن شيئًا مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث أَن تعجله الآن، وإنْ قَل، فإنّه يحط عنك كثيرًا، لو اجتمع لقذف بك في النار».

(مداواة النفوس)

أوّل مَنْ اتخذ صاحب شرطة

عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنّة، كان غنيًا شريفًا في الجاهلية، أسلم بعد البعثة بقليل، ومِنْ أعظم أعماله: تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، افتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص، وهو أوّل مَنْ اتّخذ صاحب شرطة اسمه «عبدالله بن قنفذ التيمي القرشي»، وهو أوّل مَنْ أقطع القطائع مِنَ الخلفاء (والقطائع هي الأراضي التي منحها للناس).

(الأوائل لأبي الهلال العسكري - معجم الأوائل)

اصطحب رجلين واهرب من الثالث!!

قال بعض الأُدباء: «النّاس ثلاثة فاصحب رجلين واهرب من الثالث: رجلٌ أَعلم منك، فاصحبه تتعلّم منه، ورجل أنت أعلم منه، يقبل منك، فاصحبه تُعَلّمه، ورجل مُعجَب بنفسه، ولا علم عنده ولا تعلّم، فاهرب من هذا».

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

فرعون وموسى

تنبأ رجل وادعى أنه نبي الله موسى، فبلغ خبره المأمون فأحضره وقال له: من أنت؟ فقال: أنا موسى الكليم، قال: وهذه عصاك التي صارت ثعبانًا؟ قال: نعم، قال: ألقها من يدك ومرها أن تصير ثعبانًا كما فعل موسى! قال: قل أنت أنا ربكم الأعلى كما فعل فرعون وأنا أصيرها ثعبانًا، فضحك الخليفة وعفا عنه.

(روائع الدرر)

أحسن لباس

قال أبوحاتم البستي: «الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل، وأحسن إزار يتزر به العاقل، والأدب صاحب في الغربة، ومؤنس في القلة، وزين في المحافل، وزيادة في العقل، ودليل على المروءة، ومن استفاد الأدب في حداثته انتفع به في كبره، لأن من غرس فسيلًا يوشك أن يأكل رطبها، وما يستوي عند أولي النهى، ولا يكون سيان عند ذوي الحجى: رجلان أحدهما يلحن والآخر لا يلحن».

(روضة العقلاء)

السّحر الحلال

عن ابن عباس قال: «اجتمع عند النبي ﷺ قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، ففخر الزبرقان فقال: يا رسول الله، أنا سيد تميم، المطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك- يعني عمرو بن الأهتم- فقال عمرو: وإنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أدانيه. فقال الزبرقان: والله لقد كذب يا رسول الله، وما يمنعه أن يتكلم إلا الحسد. فقال عمرو: أنا أحسدك؟! فوالله لبئيس الخال، حديث المال، أحمق الوالد، مبغض في العشيرة، والله يا رسول الله، ما كذبت فيما قلت أولًا، ولقد صدقت فيما قلت آخرًا؛ رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما وجدت؛ ولقد صدقت في الأمرين جميعًا. فقال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرًا».

(أخرجه احمد وابن حبان).

الحكم الشافعية

- الآمال قطعت أعناق الرجال، كالسراب خان مَنْ رآه، وأخلف مَنْ رجاه. (الانتقاء لابن عبدالبر)
- أبين ما في الإنسان ضعفه. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي)
- إذا ذُكِرَ الرجل في غير صنعته فقد وُهِصَ. (مناقب الشافعي للبَيهقي)
- إذا كثرت الحوائج فابدأ بأهمها. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي)
- أربعة أشياء قليلها كثر: العلة، والفقر، والعداوة، والنار. (الانتقاء لابن عبدالبر)
- أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثر الناس فضلًا من لا يرى فضله.

(مناقب الشافعي للبيهقي)

فقهاء المدينة السبعة

لقد اشتهر هؤلاء الفقهاء بسبب غزارة علمهم، وتبحرهم في الفقه والفتوى وهم:

١- سعيد بن المسيب.
٢- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.
٣- عروة بن الزبير بن العوام.
٤. سالم بن عبدالله بن عمر.
٥. سليمان بن يسار.
٦. خارجة بن زيد بن ثابت.
٧. أبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث.

(موسوعة الثقافة والمعلومات)

د. محمد حسان الطيان ●

العربية الخالدة

«اللغة العربية الفصحى في سبيلها إلى الموت»..

كلمة قالها أحد أدعياء الثقافة والتنوير، وأحد الرموز المستعصية على الفهم والهضم.. بَلَهَ التذوق والخَضْم والقَضْم.. بدءا من لقبه الذي تلقّفه من أسماء الآلهة المزعومة في أساطير اليونان، وانتهاء بنتاجه الذي ينضوي تحت ما يسمى شعر الحداثة وقصيدة النثر والشعر المنثور- بل النثر المشعور- وكروب أخرى جسام بلينا بها في زمن الرويبضة، وهو الرجل التافه يتكلم في أمرَ العامة، كما خبَّر الصادق المصدوق ﷺ.

نعم، زعم هذا المغرق في الموت أن العربية في سبيلها إلى الموت، وهو لعمري ميّت وابن ميّت.. وذو نسب في الهالكين عريق، على حين تتأبّى هذه العربية عليه وعلى أمثاله، بل تتأبّى على القرون، وتتحدى الزمان والمكان، وتعلو رايتها فوق كل راية، وهي تجبهه وتجبه كل منبهر بالآخرين إلى حدِّ كراهية الذات والتنكر للانتماء بأنها:

مخلّدَةُ الشباب على الليالي
فلا يدنو مشيبٌ من حِماها
يشيخُ الدهرُ حالا بعدَ حال
وما تنفكُّ تزهو في صِباها
عجبتُ لها ومنبتها الصحارى
تُغَذِّي إرْبَةَ الدنيا لُغاها
حباها بارئُ الأصوات أحلى
وأعذبَ ما يرفُّ به صداها
مُنغَّمةٌ كأنَّ لها رباطا
مع الإيقاع توقِعُهُ خطاها
هي الفصحى لنا وَزَرٌ وحقٌّ
علينا برُّها ومنى رضاها (١)

هي باقية خالدة لأنها لغة القرآن.. وهو ميت زائل لأنه بقية إنسان.

هي قوية راسخة لأنها هوية أمة.. وهو ضعيف واهٍ لأنه انسلخ حتى عن أمِّه.

هي عزيزة أبية لأنها تأبى الذل والدنية.. وهو ذليل خانع لأنه تابع منقاد.

هي ماكثة في الأرض لأنها تنفع الناس.. وهو ذاهب جفاءً لأنه زبَد.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد١٧).

أما أنت أيها الدعيُّ الجهول فقد هانت عليك نفسك، فهانت عليك لغتك، ولم تعلم أنَّ في تحقير لغتك تحقيرًا لذاتك. وفي عداء لغتك عداء لأمتك ووجودك، وفي كراهيتك لهذه اللغة كراهية لنفسك اللاقسة، وجبلّتك الثقيلة.

ولا تنس، وما أخالك ناسيا، أن التي تطعن بها هي لغة القرآن، التي اصطفاها الباري سبحانه لتكون لغة وحيه وكلامه، وهو جل وعلا قد تكفل بحفظها حفظًا لذكره وقرآنه حيث يقول في محكم تنزيله:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر٩).

وحقًا.. كان الخير أن تصمت.. بدلًا من أن تهرف بما لا تعرف، وتتطاول على ما لا تحسن.

مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ
لكَ عن داءِ الكلامِ
إنما السالمُ مَنْ ألـ
ـجمَ فاهُ بلجامِ

● منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة- عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق.

١- الأبيات للعلامة الشيخ محمد بهجة الأثري رحمه الله.

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Wael AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
عيد مبارك
التحقيق
الأصول الاجتهادية
علماء وأعلام
٤٧ عاماً من العطاء
الموضوعة الشاملة المصورة
لمجلة الوعي الإسلامي
الجزء الأول
الكشاف العام
من العدد (١) إلى (٣١٢)
www.alwaei.com
للاشتراك
١٨٤٤٠٤٤
صندوق البريد: 23667 الصفاة 13097 - الكويت هاتف:22467132 - 22470156 فاكس: 22473709
البريد الالكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com
www.alwaei.com

ساهم معنا في بناء معهد تعليمي
أول مشروع بجهود شباب الكويت في الصين

موقع المعهد: مدينة ينتشوان بمقاطعة نينغشيا (الصين).
عدد الطلبة: 746 طالبة.
التكلفة الإجمالية: 350 ألف د.ك.
تكلفة المرحلة الأولى: 100 ألف د.ك .
مساحة المعهد: 3.765 متر مربع.
المستفيدين: طالبات من الأسر المسلمة الفقيرة بالمناطق الجبلية جنوبي نينغشيا .

التصميم المقترح لمعهد اللغات العالمية للمسلمين بنينغشيا (الصين)
- لتعليم اللغات (العربية والإنجليزية) وعلوم القرآن والحديث والتاريخ الإسلامي ، وأحدث العلوم التكنولوجية

قيمة السهم 20 د.ك

يمكنكم إيداع المبلغ في حساب المشروع في بنك الكويت الدولي
082010014780

الاتصال على الخط الساخن 90004485 – 1808300